شفيق الكمالي

الشعر عند البدو



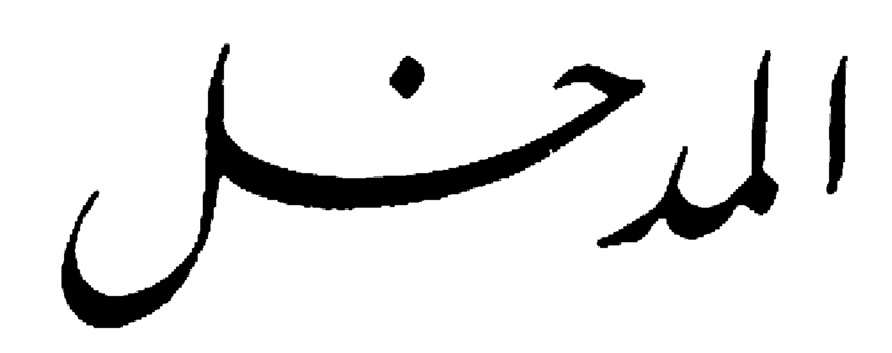
ساعدت جامعة بغداد على طبعه

شفيق الكمالي

الشعر عند البدو

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

مطبعة الارشاد ـ بغداد



المدخل

عندما أقدمت على كتابة هذا البحث ، كنت على علم بثقل المهمة التي القيتها على عاتقي ، وذلك لندرة المصادر التي تبحث في هذا الموضوع • اذ أن أحدا من الباحثين العرب لم يفكر في دراسة هذا الشعر على الرغم من أهميته ، وهو باعتقادي يشكل جانبا من تراثنا الادبي الذي قدر له أن يدون في عصر التدوين ، وليس من المعقول أن يقتصر تراثنا على هذا المدون فقط • فما زالت البادية تحكى الكثير من طبيعة الشعر العربي ، من احتفاظ باغراض هذا الشعر ومواضيعه ، وصوره ومعانيه •

ولقد حز في نفسي أن يهمل هذا الشعر ويترك نهبة للضياع والاندثار، ويسدل عليه ستار الاهمال والنسيان • فما أعلم أن باحثا قد خص هذا الموضوع بدراسة ، على حيويته وطرافته وعظم قيمته ، وجدارته بدراسة مفصلة مستقلة • ولا أعلم ايضا أن فنا من فنون هذا الشعر قد نال حقه من الدراسة ، على ما لهذا الشعر من أهمية ، فهو في رأيي لجدير بأن تستمد منه صور الحياة البدوية اذ أنه مرآة البادية ، ومجتلى عواطف أهلها ومعرض اخلاقهم ، وديوان معتقداتهم وعاداتهم ، والمترجم عن مثلهم ، فهو الصدى القوى الصحيح لحياتهم •

أقول ان أحدا من الباحثين لم يخص هذا الشعر بدراسة •• اللهم الا ما جاء في بعض المؤلفات التي انشئت عن البدو وانسابهم وعاداتهم •••الخ ولم يكن الشعر غاية في هذه المؤلفات وانما مر عليه أصحابها مرورا وبشكل لا يتعدى ذكر بعض النماذج واشارات الى التشابه الموجود بينه وبين الشعر الجاهلي فقط •

والسكوت عن هذا الشعر قديم • فلو فتشنا كتب التراث لما وجدنا فيها عنه شيئا ، وهذا نقص التفت اليه ابن خلدون ، فسجل منذ قرون نماذج منه ، وتحدث عنه في مقدمته المشهورة ، الا أن أحدا ممن جاء بعده لم يحاول ان يكمل هذا الذي بدأ به علامتنا ابن خلدون • فبقي محصورا في بوادينا والمدن الواقعة على سيف الصحراء عرضة للضياع والزوال دون أن يفكر فيه أحد •

ولقد التفت الدكتور طه حسين الى ذلك ، في بحثه عن « الحياة الادبية في جزيرة العرب » حيث يقول :

« ولسوء الحظ لا يعنى العلماء في الشرق العربي بهذا الادب الشعبي عناية ما ، لأن لغته بعيدة عن القرآن ، وأدباء المسلمين لم يستطيعوا – بعد – أن ينظروا الى الادب على أنه غاية تطلب لنفسها ، وانما الادب عندهم وسيلة الى الدين .... »

وهذا النقص الذي لاحظته هو الذي دفعني الى دراسة هذا الشعر والاهتمام به • فشرعت اجمع مادة هذا البحث منذ سنوات ، وتتبعت ما كتب في هذا الموضوع واستعنت به ، على الرغم من قلة هذا المكتوب مما لا يشبع حاجة الدارس ولا يعطي الصورة الكاملةالواضحة عن هذا الشعر لذا قررت الاعتماد وبالدرجة الاولى على النصوص ، ادرسها واستخلص منها واستنتج• فرأيت لزاما علي أن اتلقى هذه النصوص من منابعها الاصلية فتوجهت الى البادية ، وخالطت أهلها وتنقلت من حي الى حي ومن قبيلة الى قبيلة استمع واسجل كل ما أسمعه ، وأسأل واستفسر حتى خرجت بثروة قيمة من شعرهم كانت عمادي الاول – كما أسلفت – في دراستي هذه •

ولقد عكفت على هذه المجموعة ، أدرسها وانقب في ثناياها حتى خرجت بهذا البحث ولست أزعم اني أتيت على كل ما يمكن أن يقال في

هذا الموضوع الـــذي كانت آفاقـــه تتفتح أمامي كلما أوغلت في البحث وتقدمت فيــه •

ومما ساعدني على تفهم هذا الشعر والاحاطة به وتذوقه ، هو أنني أملك ما يلزم دارس هذا الشعر ، أعني السليقة التي تربت في محيـــط بدوي ، ونما ذوقها على مألوف عاداتهـم ، ومصطلح فنهم ، وتدربت عـلى طرائقهم في التعبير عن انفسهم وأحاسيسهم • وهذا امر مهم على ما اعتقـد لأن الدراسة والنقد والتحليل لا تكون الا عن فهم ، واحاطة ، وتذوق وتلك حالي • فقد نشأت في مجتمع قريب من البداوة تسيطر عليه المفاهيم والمثل البدوية ، مجتمع ينظر الى البداوة على أنها القمه في النقاء والاصالة وصفـاء النسب • وانها القدوة والمثال لكل ما هو حسن ، حتى ان الفرد في منطقنا ليتشبه بأهل البادية في حديثه وتصرفاته ان أراد الظهور بمظهر العريق في النسب والرفعة في المكانة • ومن الطبيعي أن يكون لنشأتي هذه أثر عميق في نفسي ، فنشأت معجبا بالباديــة ، محباً لأهلها ، التذ بأخبارها وأيامهـــا وحكاياتها ، شغوفا بكل ما يروي في المجالس عن البدو ، وكنت استمع الى اشعارهم يرددها الشعراء بمصاحبة الرباب فاهتز لها وأطرب ، واســـجل البعض منها واحفظه •

وبعد أن انتهيت من دراســة النصوص التي حصلت عليهـــا ودونت ملاحظاتي والنتائج التي توصلت اليها • رأيت من المهم والمفيد أن أتكلـــم عن البدو وأقسامهم وأوصافهم ومزاياهم وتكوينهم الاجتماعي وحالاتهـــم الاجتماعية وحياتهم العقلية والدينية ، ذاكرا أهم القبـــائل التي ما زالت على بداوتها حتى الآن محددا مساكن كل قبيلة من هذه القبائل ومناطـــق انتشارها ، وجعلت كل هذا بابا مستقلا هو الباب الاول ويتألف من خمسة فصول ، تحدثت في الفصل الاول عن البدو ، أوصافهم وأقسامهم وناقشـت آراء بعض الغربيين في هذا الموضوع أمثال مولر الفرنسي ، وذكرت آراء

أخرى لغربيين آخرين امثال رينو ورفيقه مارتينيه وبعض ما جاء في الرسالة الخاصة التي أصدرتها مصلحة الاستعلامات التابعة للمفوضية العليا الافرنسية أيام الانتداب على سوريه • وذكرت آراء بعض الكتاب العرب أمثال الاستاذ وصفي زكريا صاحب كتاب عشائر الشام • وفي الفصل الثاني تحدثت عن أهم القبائل البدوية وانسابها ومواطنها معتمدا في ذلك على ما أخذته منهم وعلى ما جاء في كتب الانساب وغيرها • وفي الفصل الثالث تحدثت عن التكوين الاجتماعي عند البدو وتناولت في الحديث الاسرة وتكوينها وعلاقات أفراد الاسرة فيما بينهم ، وحقوق وواجبات كل منهم ثم تكلمت عن طبقات الانساب مقارنا بين ما كانت عليه قديما وما هي عليه الآن• ثم تحدثت عن الرئاسة وما يشترط فيها وعن حقوق الرئيس وواجباته • ثم تطرقت الى مساكنهم واصفا اياها بدقة معددا لأجزائها واقسامها واسمائها ، وتعرضت الى ملابسهم رجالا ونساء • وفي الفصل الرابع تكلمت عن حياتهم الدينية والعقلية مستشهدا على ذلك بشعرهم • وفي الفصل الخامس تحدثت عن الحالات الاجتماعية ، اخلاقهم وعاداتهم ومزاياهم مستمدا ذلك من شعرهم ومستشهدا به •

ثم انتقلت بعد ذلك الى الحديث عن الشعر البدوي وذلك في الباب الثاني ، مستقصيا أصوله التاريخية ، ذاكرا أقدم النصوص التي وصلت الينا ومناقشا آراء من تعرضوا اليه متعرضا للرد على من هاجموه مفندا آراءهم ولقد خرجت في النهاية بنتيجة اعتقدتها ، وهي أن هذا الشعر في معظمه لا يمكن عده من الادب الشعبي • لأن الادب الشعبي يقوم بشرطين اساسين •• أولهما أن يكون الاصل فيه رواية شفوية ، وثانيهما أن يعبر عن شخصية الجماعة لا الفرد ، وهذان الشرطان يجعلان من الصعب ان تنسب آثار الادب الشعبي الى قائل بعينه ، على حين أن هذا الشعر معروف القائل ومنهم من لا يزال يعيش بيننا ، أضف الى ذلك وهو المهم أنه — أي الشعر البدوي — يعبر عن شخصية الفرد ووجدانه لا وجدان

الجماعة ، أقول هذا على الرغم من أن الشرط الاول متوفر فيه وهو الرواية الشفوية ، وعلى هذا فقد رفضت رأى من اعتبره أدبا شعبيا متأثرا بما شاع في اكثر الاوساط من أن أساس التفريق هو اللهجة التي يتوصل بها في التعبير الادبي ٠

وهذه الاوساط تذهب الى أن كل ما يصدر باللهجة الفصحى ، فهو غير شعبي وكل ما يصدر باللهجات التي تسمى بالعامية ، فهو أدب شعبي ، وهذا كلام مردود ٠ لأن الفيصل في واقع الامر كما يقول استاذنا الدكتور عبدالحميد يونس ، انما يلتمس في الوظيفة التي يقوم بها الادب ٠ وما اكثر المرويات المأثورة من الادب الفصيح التي كانت تقوم بوظيفة جمعية قبلية أو شعبية أو قومية ٠٠٠٠ وهي لا يمكن ان تكون الا أدبا شعبيا ، وما اكثر المدون باللهجة العامية ، أنشأه ادباء رأوا ان تؤثر عنهم الاجادة في جميع الاغراض والفنون الادبية لكي يشيع ذلك عنهم في جميع الطبقات ٠٠٠ هذا المأثور ، الذي تغلب عليه الذاتية الفردية لا يمكن بحال أن يكون أدبا شعبيا ٠

ثم تحدثت في الباب الثالث عن أنواع الشعر البدوي ، حيث تكلمت في بدء هذا الباب عن ملازمة الغناء لهذا الشعر وعن كون الشاعر شاعرا ومغنيا في نفس الوقت وخلصت من كل هذا الى القول بأن التلازم بين الشعر البدوي والغناء ما هو الا امتداد للتلازم الآنف الذكر بين شعر الجاهلية وبين الغناء ، وكذلك الحال بالنسبة لما قررناه عن مدى الترابط بين الشاعر وكونه مغنيا والذي قررته في هذا الموضوع هو أننا لا يمكن أن نجزم بأن الشاعر كان في الجاهلية مغنيا وانما الذي نرجحه هو أن الشاعر الذي كان يأنس في نفسه مقدرة على الغناء كان يغنى شعره أو شيئا منه على على حين اننا لاحظنا أن جميع شعراء البدو والمعاصرين ممن يتكسبون بشعرهم يغنونه غناء في حين أن الشعراء من الامراء والفرسان وذوي الجاه

لا يتغنون بشعرهم الا فيما ندر وانما يتركونه للآخرين يغنونه ٠

وهذا الترابط الوثيق بين الغناء والشعر البدوي أوقع الاستاذ عبدالله بن خميس في خطأ اذ اعتبر اقسام هذا الشعر ادوارا غنائية ٠ حيث يقول :

ـ ما أراك تشك في أن له ـ يقصد الشعر البدوي ـ ادوارا وانغاما واصواتا مختلفة العرض ، متباينة التلحين والمقاطع والاهزاج ٠٠٠

ثم يأتي على ذكر هذه الادوار ٠ ولقد إختلفنا مع الاستاذ فيما ذهب اليه ، صحيح ان هناك اختلافاً في النغم وتبايناً في التلحين ، ولكن ليس هذا هو كل الاختلاف ، وانما هناك اختلاف في الموضوع والاوزان والاغراض ايضا ٠ فكل نوع يتطرق الى مواضيع معينة وأداؤه محصور بأوزان معينة ايضا ، فالتقسيم يأتي بالدرجة الاولى من الاختلاف في الاوزان والموضوعات ومن ثم بالإلحان والانغام ، لا كما ذهب الاستاذ حيث اعتبر النغم هو الاساس في هذا التقسيم ٠ ومما يؤكد هذا الذي ذهبنا اليه هو أن البدوي يعرف نوع الشعر بمجرد أن يسمعه وبدون انشاد فلو كان النغم هو الاساس لما تمكن هذا البدوي من معرفة هذه الانواع الا بتأديتها منغومة مغناة ٠ أضف الى ذلك اننا لاحظنا عندهم انغاما أخرى تغنى في مناسبات مختلفة كالاغاني التي ترافق رقصة « الدحة » و « المصنع » وانغام الافراح الى غير ذلك ، ومع هذا لا نجدهم يعدونها من أنواع الشعر فلو كان النغم هو الاساس لوجب عدها ضمن الانواع الاخرى المتعارف عليها عندهم ٠

وخلصت من كل هذا الى القول بأن للشعر البدوي انواعا تختلف عن بعضها البعض ولكل نوع من هذه الانواع مواضيع معينة وأوزان معينة ومن ثم انغام معينة ينشد بها ، وأوردت بعد ذلك هذه الانواع وهي القصيد ، السامري ، الهجيني ، الحداء ، وقد تكلمت عن كل نوع من هذه الانواع محددا مواضيعه ومميزاته موردا نماذج منه ذاكرا طرق انشاده ٠ وعند

حديثي عن الحداء تطرقت الى العلاقة بينه وبين رجز الجاهلية من حيث اغراضه وأوزانه وقيمته •• وأوضحت بجلاء قدم الاقتران بين الرجز والحداء الذي تحدر الى بدو زماننا مع ما تحدر اليهم من اسلافهم وان كانوا حاليا قد أبقوا على كلمة حداء وأهملوا كلمة رجز •

ولقد رأيت استكمالا للبحث ان اذكر انواعا أخرى غير ما ذكرت مما يردده البدو في افراحهم وحفلاتهم وان كانوا لا يعتبرون هذه الانواع شعرا ذا قيمة ولا قائله شاعرا وانما الشاعر عندهم من يقول الشعر بجميع انواعه وخاصة القصيد •

وانتقلت بعد ذلك الى الباب الرابع وجعلته من ثلاثة فصول • تحدثت في الفصل الاول عن خصائص الشعر البدوي تطرقت فيه الى الحديث عن لغة هذا الشعر وهي لغة البادية وسجلت حقيقة ثابتة توصلت اليها وهي ان القبائل البدوية الحاضرة المنتشرة في صحارى الجزيرة العربية وبوادي الشام والعراق والاردن تختلف لهجاتها اختلافا واضحا ومع ذلك نسمع الشعر الصادر عن شعرائها فنجده واحدا ويروى بلسان واحد • فالشاعر البدوي لا ينظم شعره بلهجته الخاصة وانما بلغة عامة قبائلية دعوناها « لغة الادب أو لغة الشعر » تماما كما هي الحال في لغة الشعر الجاهلي • وتكلمت عن مجانبة هذه اللغة لقواعد اللغة العربية والتي لم أر فيها سببا يكفي لمهاجمة هذا الشعر والتجني عليه • ورفضت وصف الاستاذ وصفي زكريا لها بأنها لهجة مشوهة بالحوشي والغريب من الكلام ••• اذ أن هذا الوصف قد يصح بالنسبة له كحضري لأنه لم يتعود هذه اللهجة ، وأن الذوق اللغوي العام يتغير من بيئة الى بيئة ، فعدم فهمه له لا يعني انه ملىء بالغريب والحوشي • وقد يكون هذا النقد مقبولا لو أن البدو انفسهم أحسوا بشيء من الغرابة والحوشية • وعلى هذا فليس حكم الحضر على لفظ بالغرابة أو الحوشية بمقتض هذا الحكم نفسه عند البدو •

ومجانبة هذه اللغة للفصحى لا تعني انها مجانبة مطلقة اذ اننا نجد فيها الالفاظ والاساليب السليمة او التي ترجع الى اصل سليم كما اننا نلاحظ فيها البعض من ظواهر الاعراب • الا أننا لاحظنا عندهم ـ عموما ـ ميلا الى التسكين ، ولهجتهم بشكل عام فقدت الاعراب وتحدثت بعد ذلك عن مميزات هذه اللهجة وبعض ظواهرها كالتخلص من الهمزة وتخفيفها وابدالها ، وعن العوامل المؤثرة في هذه اللهجة كالقلب والابدال والنحت والحذف والمؤثرات النطقية كالاماله والكشكشة والتلتله ، وحاولت جهد الامكان ارجاعها الى أصولها من لهجات القبائل العربية القديمة •

ثم تحدثت عن معاني هذا الشعر وعن كونها مستمدة من بيئته التي نشأ فيها وهي نفس البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي ، لذا رأينا هذه المعاني تحاكي معاني الجاهليين • ومن خصائصه التي لاحظناها أيضا صدق عواطفه وملازمته للغناء ومرافقة القصة له ، فمن النادر ان تجد قصيدة بدوية الا ولها مناسبة معينة قيلت فيها ، وقد تطول هذه المناسبة حتى تصبح قصة طويلة تروى في مجالسهم واسمارهم ، وقد تتخلل القصة الواحدة عدة قصائد لتعدد المناسبات ، والمنشد عادة يروى القصة ومن ثم ينشد القصيدة •

وأنشأت الفصل الثاني للحديث عن القصيدة وخصائصها وذهبت في ذلك الى أن القصيدة البدوية ما زالت في الغالب الاعم مشابهة للقصيدة العربية في بنائها وخصائصها ، فالصورة التي جاءت بها القصيدة الجاهلية من ابتداء بالغزل أو الوقوف على الاطلال ثم الانتقال الى وصف الابل ومغاوز الصحراء ومجاهل الطرق ثم الانتقال الى الغرض الاصلي ، ما زالت واضحة كل الوضوح في غالبية القصائد البدوية المعاصرة • وقد التفت الى ذلك الدكتور طه حسين في بحثه الموجز عن « الحياة الادبية في جزيرة العرب »• وقد استشهدت على ذلك بنماذج متعددة من القصائد •• وتعرضت الى

أساليبهم الاخرى في افتتاح القصيدة كافتتاحها بذكر الله والدعاء والتوسل اليه أو بذكر النبي(ص) أو الابتداء بكلمة « يا راكبا » ، أو راكب اللي •• أ ويا نديمي ••• وذكرت طريقتهم بالانتقال من معنى الى آخر فهم يتوخون ان يكون تخلصهم حسنا • الا انهم كثيرا ما ينتقلون فجأة وبدون مقدمة ويكتفون بقولهم « من بعد ذا » او « وخلاف ذا » او « هذا و •••» وهي تتكرر بكثرة في اشعارهم وهي مشابهة الى حد بعيد لبعض انتقالات شعرائنا الجاهليين مثل زهير ولبيد •

وتحدثت عن خاتمة القصيدة وكيف تكون نهايتها عادية تماما كما تنتهي القصائد العربية الا انهم قد يختمونها احيانا بالصلاة على النبي (ص) أو بالدعاء الى الله •

وقد استشهدت على كل ما ذهبت اليه بأشعارهم حيث أوردت أمثلة متعددة لذلك •

وفي الفصل الثالث من هذا الباب تحدثت عن القوافي والاوزان فقلت أن الدارس لهذا الشعر يجد صعوبة جمة في حصره بأوزان محددة خاضعة لتفعيلات معينة يمكن للدارس أن يحدد على ضوئها عدد البحور التي ينظم فيها هذا الشعر ، أو أن يتمكن عن طريق اتقان هذه التفاعيل أن يلم بأوزانه •

ولقد حاولت جاهدا أن أحصر اوزان هذا الشعر فلم أصل الى نتيجة الا أننا رغم فشلنا في ايجاد بحور معينة له قد لاحظنا ان الوزن في هذا الشعر خاضع لمقاطع صوتية كما هو الحال في اوزان الشعر الغربي ، لذا نراه قد جاء على اوزان لا يحصرها عد كما هي الحال في الزجل حتى قيل ان صاحب الف وزن ليس بزجال •

وهذه المقاطع الصوتية يختلف عددها بين قصيدة وأخرى ولما لم يكن

هناك ضابط أو عدد متعارف عليه لهذه المقاطع الصوتية في كل وزن وانما الشاعر حرفي اختيار العدد الذي يخضع له قصيدته • لذا تعددت الاوزان وكثرت حتى لم يعد في الامكان حصرها أو تحديدها •

وقد ذهب السيد أحمد حسن الخطيب الى أن النغمة هي الضابط الاول والاخير للوزن • وان هناك انغاما معروفة هي كالقالب للشعر يصاغ هذا الشعر ويصب ضمن اطارها • فالوزن يتبع النغمة وكل نغمة تختلف عن الاخرى بطريقة غنائها تماما كما هي الحال في الحاننا الشعبية ، اذ عندما يريد الشاعر أن ينظم زجلا لكي يغنى على لحن من تلك الالحان يرصف الكلام الذي ينطبق على ذلك اللحن •

الا أننا رفضنا هذا الرأي • صحيح ان كل نغمة تختلف عن الاخرى بطريقة غنائها فلكل نوع من انواع الشعر البدوي نغم خاص يغنى بـه • ولكن ليس صحيحا ان هذه الانغام كالقوالب للشعر يصاغ ويصب ضمن اطارها • فلو كان الحال كذلك لوجب أن يأتي الشعر البدوي جميعه على اوزان معدودة بعدد انغامه التي لا تتجاوز الاربعة أو الخمسة انغام • ولما جاء هذا الخضم اللاطم من الاوزان • وقد يصح قوله هذا الى حد ما بالنسبة للحداء والسامري الذي يلتزم كل منهما وزنا معينا ونغماً يساعد على تحديد هذا الوزن • ولكنه لا يصح في حال من الاحوال على القصيد الذي يعتبر أهم انواع الشعر البدوي وغالبية هذا الشعر تدخل ضمن نطاقه ، وقد جاء على اوزان لا تحصى لكثرتها فلو كان النغم هو القالب الذي يصب فيـه لوجب ان يأتي على وزن واحد كما هو الحال في الانغام الشعبية المشهورة في البلاد العربية اذ تلتزم الاشعار المغناة بها أوزانا ثابتة لا تتغير بتغير الاشعار وانما تحافظ على عدد من التفعيلات أو المقاطع الصوتية في كل بيت فالنغم الصعيدي المعروف (سلم علي) أو (آه يازين) تلتزم الاشعار المغناة بهما وزنا واحدا خاصا بكل واحد منهما لا يتغير • في حين أن

ذلك غير وارد بالنسبة للقصيد الذي تتغير مقاطعه الصوتية من حيث عددها ونوعها من قصيدة الى أخرى ، وعلى هذا يمكننا القول بأن النغمة ليست بالضابط الاول والاخير ولا هي بالقالب الذي يصب هذا الشعر في اطاره وانما هي باعتقادنا قد تكون مساعدا لهم في ستر عيوب بعض الابيات المفككة البناء والمخلخلة الوزن وهذا ليس بالامر الجديد فقد جاء في الهوامل والشوامل « ان القوم كانوا يجبرون بنغمات يسمعونها مواضع من الشعر لا يستوى بها الوزن » •

وهذا الذي قلناه لا يعني ان الشعر البدوي جميعا لا يخضع لاوزان معينة محددة وانما هذا القول يصح على قسمين مهمين وهما القصيد والهجيني وهما يشكلان ـ وخاصة القصيد ـ الجزء الاعظم من هذا الشعر اما الحداء والسامري فيلتزم كل منهما وزنا معينا • فالحداء يلتزم بحر الرجز بكل ضروبه وان كان الاعم الاغلب فيه يأتي على مجزوء الرجز والسامرى يلتزم ـ الا النادر الاقل ـ بحر الرمل •

وقد لاحظنا خلال محاولاتنا لايجاد بحور واوزان لهذا الشعر ان هناك قصائد تخضع برمتها أو مع تعديل بسيط في بعض ابياتها الى اوزان العروض العربي ، أضف الى ذلك اننا وجدنا ابياتا كثيرة مبثوثة في ثنايا القصائد جاءت على أوزان الخليل • وقد ذكرت بعض هذه الابيات على سبيل المثال لا الحصر •

وتحدثت بعد ذلك عن القوافي وتعرضت بايجاز الى نشأة القافية وتطورها وذهبت الى ان القافية نشأت نشأة صوتية متفقا في ذلك مع الدكتور مصطفى عوض الكريم في كتابه « فن التوشيح » اذ اننا لاحظنا خلال دراستنا للنصوص الشعرية البدوية خروج بعض الابيات عن القافية في القصيدة الواحدة مع ملاحظة ان كلمتى القافية متفقتان في الجرس الموسيقي

على الرغم من اختلاف الحرف الاخير مثال ذلك « الهيل والشين ومحروم ومقرون •• » وذهبت الى أن هذه الظاهرة انما هي بقية من كون القافية صوتية في نشأتها الاولى •

وخلصت بعد هذا الى الحديث عن القوافي في الشعر البدوي محاولا في ذلك اعطاء صورة شاملة وواضحة • فقلت أن القافية عنـــدهم تسمى (القاف) والقصيدة البدوية مبنية ـ عادة ـ على قافيتين : قافية في الصدر وأخرى في العجز يلتزم بهما الشاعر الى آخر القصيدة • وقد لفت نظري ان هاتين القافيتين تكونان في الغالب الاعم من حرف واحد الا انهما تختلفان في الحركة أو أن يسبق احدهما الف أو ياء ••• الخ كأن تكون القافيـة في الصدر « انشاد » وفي العجز « نشيد » أو « ساق » و « سوق » وهذه الطريقة هي الغالبة في التقفية عندهم •• وهناك طرق أخرى ذكرناها منها الطريقة المعروفة في القصيدة العربية أي التزام القافية في آخر البيت فقط • ومنها طريقة الرباعيات وهي أن تلتزم ثلاثة الاشطر الاولى قافية والشطـر الرابع قافية وتكون قافية الشطر الرابع ملتزمة في كل الاشطر الرابعة في القصيدة على حين تتغير قافية الاشطر الثلاثة • ومن الملاحظ ان جميع هذه الطرق معروفة في الشعر العربي حتى الطريقـــة الاولى اذ يسميها أهل البديـــع « التشريع » •

ولقد لاحظت في بعض القصائد أبياتا تشتمل على قواف داخلية مما يسميه ابن رشيق « التسهيم » وهي ظاهرة معروفة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي ، كما في شعر امرىء القيس والخنساء وفي اشعار بعض الهذليين •

وفي ختام الفصل ذكرت ما لاحظته عند بعض شعرائهم من تفنن وترف في نظم قصائدهم وخاصة الرباعيات ، كأن يبنون القصيدة على حروف الهجاء يخصون كل حرف ببيتين ويكونون بهذا قد أضافوا قافية أخرى في

أول شطر من كل رباعية • وقد لا يكتفون بذلك بل نراهم أحيانا يلتزمون في بداية كل شطر من اشعر الرباعية بذلك الحرف •• او ان يبدأ الشاعر الرباعية بالحرف الذي تختص به وتختم الاشطر الثلاثة به أيضا • ومنهم من يسترسل في ترفه الى حد يلتزم فيه الكلمة بدل الحرف فيبدأ كل رباعية بنفس الكلمة التي انهى بها الرباعية السابقة • وقد أوردت لكل ذلك أمثلة ونماذج متعددة •

وبعد ان انتهيت من حديث القوافي والاوزان انتقلت الى باب جديد هو الباب الخامس ، تحدثت فيه عن أغراض الشعر البدوي وخصصت لكل غرض فصلا مستقلا : الفصل الاول للغزل ، والفصل الثاني للمديح والفصل الثالث للرثاء والفصل الرابع للفخر والحماسة ، والفصل الخامس للهجاء والفصل السادس للوصف • وقد تحدثت باسهاب عن كل غرض من هذه الاغراض ذاكرا صورهم ومعانيهم وتشبيهاتهم وأساليبهم في المدح والرثاء والهجاء والفخر والحماسة • وقد لاحظت تشابها كليا في كل ذلك مع الشعر الجاهلي فالاغراض هي الاغراض وهم يتغزلون ويفخرون ويتحمسون ويمدحون ويرثون ويصفون مستخدمين التشابيه التي كان يراها اسلافهم في البادية ، ويستعملون المعاني والاستعارات التي كان الجاهليون يأتون بها •

ولقد لفت نظري هذا التشابه الكلي فعقدت بابا مستقلا للمقارنة بين الشعرين وهو الباب السادس تحدثت فيه عن وجوه الالتقاء بين الشعرين فذكرت الصور والتشبيهات والمعاني المشتركة بينهما وكذلك المواضيع والاغراض وأتيت بأمثلة توضح ذلك ، واتيت على بعض المعاني المطروقة في الشعرين والتي جاءت متفقة في كل شيء عدا اللغة • ثم ذكرت بعض الابيات المعروفة لشعراء جاهليين جاءت في ثنايا الشعر البدوي مفسرا وجود هذه الابيات في ثنايا قصائدهم •

وخلصت من كل هذا الى أن الشعر البدوي ما هو الا امتداد للشعر الجاهلي أو هو نفسه بكل خصائصه ومميزاته وصوره ومعانيه واغراضه مع اختلاف في اللغة فقط •

ورأيت من المهم والمفيد أن أورد بعض النماذج من هذا الشعر فأنشأت لذلك الباب السابع حيث أوردت فيه عددا من القصائد المشهورة عندهم مع ترجمة موجزة لصاحب كل قصيدة من هذه القصائد •

ولقد سميت بحثي هذا « الشعر عند البدو » ولابد لي من أن اشير الى أن المقصود بالبدو انما هم بدو الجناح الشرقي من الوطن العربي ، اعني بدو سيناء وبوادي الاردن ونجد والشام والعراق والكويت والبحرين وقطر • وكل ما جاء في رسالتي من احكام وآراء انما هي عن شعر هذه المنطقة فقط • واني لآمل أن يقوم الباحثون بدراسة الشعر عند بدو الجناح الغربي مصر والسودان وليبيا والمغرب • لنحصل بذلك على صورة واضحة كاملة لأدب البدو في الصحارى العربية •

وختاما نقول بأننا لا ندعى اننا لم نترك قولا لقائل ولا اننا أتينا على كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع • وحسبي ان اتقدم بهذا الجهد المتواضع آملا أن أكون قد قمت ببعض ما يمليه علي الواجب تجاه امتنا الكريمة وخدمة أدبها ولغتها المجيدة • والله أسأل أن يلهمني السداد في القول ، والفكر ، والعمل ، هو حسبي ونعم الوكيل •

بغداد ٩ رجب ١٣٨٤ هـ
١٤ تشرين الثاني ١٩٦٤م

شفيق عبدالجبار الكمالي

البَابُ الأوّل

الفَصْلُ الأوَّلْ

أوصـــاف البدو وأقســـامهم

البدو ويقال لهم الاعراب • مفردها بدوي واعرابي ، جاءت تسميتهم هذه من سكناهم للبادية حيث يقضون حياتهم في التنقل ، والارتحال ، طلبا للكلأ ، والماء لابلهم ، التي تعتبر العماد الاول لحياتهم في هذه البيئة القاسية • فالبداوة خلاف الحضر ، يقال تبدى أي أقام بها (أي في البداوة) وتبادى تشبه بأهلها والنسبة بداوي كسخاوى وبداوي بالكسر وبدوي محركة وبدا القوم خرجوا الى البادية •

والبدو عادة يسكنون بيوت الشعر ، ولا هم لهم الا الغزو والحرب وجوب الصحراء ، مرتحلين من مكان الى مكان ، ضاربين في البراري والقفار وراء مساقط الغيث ومنابت الكلأ • ومن هنا أطلقوا على ترحالهم اسم « النجعة » « والانتواء »[١] •

والتبدي درجات فمن البدو من يتبدى دائما وبلا انقطاع وفي كل المواسم ومنهم من يستقر في مكانه أكثر أيام السنة ولا يتبدى الا ضمن دائرة محدودة قصيرة المدى • الا أنه كثيراً ما تكون القبيلة الواحدة على قسمين ، قسم يستقر ويسكن المدر • وقسم يبقى بادياً في أهل الوبر •

فمن ذلك جهينه التي كان قسم منها باديا في نواحي جبلي « رضوى وعزور » بينما يسكن القسم الثاني في المدر في « ينبع »[١] •

ونهد كانت كجهينه قسم يسكن في المدر في قرية الصفراء وقسم يسكن في الوبر دون المدر في جبلي « رضوى وعزور »[٢] •

ومزينه كان قسم منها متبديا في جبل ورقان وجبلي القدسين وجبلي نهبان وقسم في المدر في قرية الفرع[٣] •

---

(١) النجعة : في اللغة طلب الكلأ وارتياد مساقط الغيث في مواضعها يقال خرج القوم للنجعة ، وانتجع القوم الكلأ أي ذهبوا لطلبه في مواطنه •

الانتواء : نوى القوم بمكان وانتووه بمعنى قصدوه •

(١) ، (٢) ، (٣) ـ كتاب أسماء جبال تهامه وسكانها ص ـ ٧ عرام بن الاصبغ السلمى •

وما زالت القبائل في عهدنا الحاضر على هذه الشاكلة أي أنها اما أن تكون بدوية من أهل الوبر كقبائل •

الضفير

العجمان

عنزه •••• الخ

واما أن تكون من أهل المدر كقبائل

العقيدات

العــزه

العبيــد •••• الخ

واما أن تكون القبيلة الواحدة تحيا الحياتين المذكورتين فقسم منها في الوبر وقسم منها في المدر كقبائل شمر •

فشمر طوقه من أهل المدر وشــمر جربا من أهــل الوبر ســكنة الصحراء •

والبــدو يمتازون بخصــال ينفردون بها دون غيرهم من العــرب المتحضرين وسكنة الارياف والقرى • فهم أصحاب أجسام رشيقة في الغالب الاعم ووجوه أسيله لوحتها الشمس فأكسبتها سمره ، وجباههم عريضــة بارزه واسنانهم بيضاء كالثلج • هذا والبدوي يمتاز بجلد غريب وصبر على الشدائد وطبع نزق ومزاج عصبي وذكاء حاد وقناعة لا توصف • يرضى بشظف العيش وحياة محفوفــة بالمخاطر وفي براري قفراء ، حرها لاهب وبردها قارس • شديد الحرص على عرفه وعــاداته التي كان عليها آباؤه وأجداده باق على الفطرة والبساطة اللتين كانوا عليها منذ مئات السنين ••• متمسك بهذه الاخلاق والخصال الصــالح منها والطالح • صعب المراس ،

جرىء حافظ للذمام ، كريم مقدام ، يثور ولا يقف عند حد في ثورته اذا ما جرحت كرامته وانتهكت حرمته • ميال الى حرية لا يحدها حد • والحرية التي يفهمونها هي الحرية الشخصية لا الحرية الاجتماعية والوطن الذي يذكرونه هو مضارب القبيلة ومنازلها •• وهو بالتالى فخور بنفسه وعشيرته وقد أصاب الاستاذ وصفي زكريا بقوله •• والشعور والاعتزاز عندهم أناني فردي قبلي ، فالبدوي لا يمدح الا نفسه وفرسه ومهنده وفرسان قبيلته ، واذا اعتز وافتخر فبأهله وعشيرته ، فهو يتغنى بانتصارها ويعدد محامدها ويهجو العشيرة الاخرى من أجلها[١] •

وشظف العيش لا يمحو الناحية المثالية من شخصيته • فكلامه موزون ومعقول في عبارة صريحة وسرعة انطلاق نحو الهدف يزخرفه بضرب الامثال والتشبيهات التي تصدر عن رويه ومعرفة •

ويذهب رينو ورفيقه الى أن البدوى في حقيقته أقل فروسية وأنقص في المثالية مما يصوره الروائيون والقصاصون فهو خليط من المحاسن والمساوىء • ولكنه مهما كانت مزاياه يظل رجلا مستحقا كل الاستحقاق للاحترام والانجذاب والتودد نحوه[٢] •

وهذا الذي ذهب اليه رينو فيه الكثير من الصحة ونحن نتفق معه في ذلك الا أننا لا يمكن أن نتفق في حال من الاحوال مع المقدم مولر فيما ذهب اليه من أن البدو اذا تكلموا كذبوا واذا تناقشوا واربوا واذا تقاضوا ما حكموا وعندهم الطمع والجشع وحب السلب والنهب وقسوة القلب وحرمان الرحمة وضعف الدين والولع بالخرافات وهم بخلاء الا اذا وجدوا مأرباً في البذل وجبناء الا اذا وجدوا خصما ضعيفا وهم ان أظهروا شجاعة واندفاعا للطعان

---

(١) عشائر الشام ـ وصفي زكريا ـ ص ١٢٦

(2) Capitaine Raynaud et Medicin - Major Martinet, Ies Bedouins de la Mouveuce de Damas 1922.

والبراز فما هو في الغالب الا للبخترة والمباهاة ، واذا تراؤا اشداء فذلك للزهو وكسب الشهرة لا للاخلاص والتضحية ، لان الاخلاص والتضحية وفكرة الواجب أمور تكاد تكون مجهولة لديهم • ولقد ذهب مولر في شططه الى حد تأويل حسنات البدو حسب رأيه فمما قاله : ان كان البدوي قنوعا وجلودا فلأنه يعجز عن حمل مؤونته الى أماكن بعيدة ، وان كان راضيا بعيشه وزاهدا بدنياه فلأنه لا يرغب شيئا يجهله • وان كان بعض الاحيان كريما مضيافا فلأنه ينتظر أن يقابل بالمثل من ضيفه أو غير ضيفه أو لأن في ذلك الكرم غرور شخصي •• وان عطف على أولاده فعلى أمل أن يكونوا له أعوانا وحماة • لكن أولاد البدو لا يحملون عطفا واحتراما كافيين نحو آبائهم ومقام النساء عندهم يأتي بعد المال والحلال الا ما ندر وللبنات قيمة أكثر مما لامهاتهن لأنهن سيعرضن يوما ما للبيع • وهم يفرحون لموت الامرأة لأنه سيسبب تبدلا جديدا في الحياة ، ويحزنون لموت البنت لان فيه خسرانا لمورد لا يعوض[١] • الى غير ذلك مما هرنه وقذفه هذا الحاقد والذي لا أرى في أقواله الا القذف والتهجم • مدفوعا بحقد وضغينة لا تستغرب من أمثاله ونحن نرفضها كما رفضها الاستاذ وصفي زكريا[٢] لأنها تجانب الواقع ولا ظل لها من الحقيقة •• وهي بالتالى تنافى والاسلوب العلمي الصحيح الذي يفترض النزاهة والتجرد والحياد في الكاتب أو الباحث •

وقد جاء في الرسالة التي أصدرتها مصلحة الاستعلامات في الشرق التابعة للمفوضية العليا الافرنسية ، ان البدوي قنوع وذو صبر وجلد جديرين بالاعجاب • فغذاؤه القليل الذي لا يتغير جعله رجلا عصبي المزاج نحيفا وذا قوة عضلية قليلة نسبيا ، وهو يعيش عامه على الحليب

---

(1) Commandant Victor Muller, en Syrie avec les Bedouins.

(٢) عشائر الشام ـ وصفي زكريا ص ١٧٩ •

والخبز والبرغل والتمر ولا يرى اللحم الا اذا زحف نحو مائدة الشيخ عند قدوم الضيوف حيث يكون الطعام عادة من الرز والخراف المطبوخة • وقائمة الطعام هذه تتوالى دونما تبديل على مدى السنة كلها •••• وجاء فيها أيضا أن البدوي قليل الفتك وغير سفاك للدم • أما الكرم والوفاء فهما في ذروة الشهرة التي نالها[١] •• وهذا الكلام أعدل حكما وألطف لهجة من كلام المقدم مولر •

أقسام البدو :

ما زالت القبائل العربية في بعدها وقربها عن الحضارة كما كانت عليه في الجاهلية نحن نعرف ان القبائل العربية كانت في جاهليتها اما :ـ

أهل وبر : من الموغلين بالصحراء والفيافي البعيدين عن العمران والذين قست قلوبهم وغلظت أكبادهم وهؤلاء هم البدو أو الاعراب الذين وصفهم القرآن الكريم بالكفر والنفاق •

وأما أهل مدر : لا يعجلهم التنقل والارتحال عن أن يقيموا لأنفسهم قرى لا تختلف في شيء عما نعرفه من حياة المدن في بلاد العرب لذلك العهد • وهم في العادة يستقرون في قراهم اكثر أيام السنة ولكنهم لا يلبثون أن ينتجعوا الى الصحراء في فصل الربيع •

وأهل الحضر : وهم سكنة المدن الذين استقروا وتحضروا وتركوا جوب الصحراء نهائيا كما هي الحال بالنسبة لمكة والمدينة والطائف وغيرها • ونخلص من كل هذا الى القول بأن هذه القبائل تقسم الى ثلاثة أقسام وهي :

---

(1) Les tribus nomades et semi - Momades des Etats du levant places sous mandat Francais, 1930, Beyrouth.

(١) البدو الرحـل :

وهم من ذوي النجعة البعيدة ويوصفون باهل الوبر لانهم يتخذون بيوت الشـعر سكناً والخيل مركبا والابل معاشا وهم في حـل وترحال دائمين ، يجوبون الصحارئ طلبا للـكلأ وارتيادا لمواقع المطر •

(٢) البدو نصف الرحل :

وهم أهل الغنم من ذوى النجعـة المحدودة ويطلق عليهـم اسـم « الشوايا » بحكم رعيهم للشياه وهؤلاء لم يفقدوا نهائيا صفاتهم البدويـة فهم أيضا أهل ابل وخيل وضرب وطعن وارتحال كالبدو الرحل الا أنهم لا ينتجعون الى البادية الا في مواسم معينة وتكون عادة في الربيع على عكس البدو الذين يجوبون البادية طيلـة أيام السنة وعليـه يمكننا أن نسميهـم القبائل المترددة أي أنها مترددة بين الاستقرار والتبدي وهم في الجملـة يشبهون أهل القسم الاول •

(٣) العشائر المسـتقرة :

وهم الفلاحون ويسمونهم « الفلاليح » وهؤلاء استقروا نهائيا وتركوا الابل وتفرغوا للزراعة أكثر من تربية الماشية وهم في العادة محتقرون من قبل البـدو •

وسنأتي الآن على ذكر القبائل التي ما زالت على بداوتها وعلى ذكـر منازلها وسنقتصر على هذا القسم من القبائل لعلاقته ببحثنا هذا •

الفصل الثاني

أهم القبائل البدوية

(١) قبائل شمر :

وهي من كبريات القبائل العربية البدوية وهي قحطانية الاصل نزحت من اليمن واستوطنت جبلي طيء المعروفين « أجا وسلمى » والمعروف أن شمر من طي[١] • وكان مقامهم في توران على ما قاله ياقوت في معجمه اذ يذكر أنها قرية في أرجاء أحد جبلي طي لبني شمر من بني زهير وقد تحالفوا مع بعض القحطانية فأزالوا طيئا وزبيدا وحلوا محلهم وغلبت تسميتهم على القبائل التي حالفتهم وعلى قبائل طيء الاخرى فأطلق على الجميع اسم « شمر » •

---

(١) شمس العلوم ص ــ ٥٧ ــ نشوان الحميري •

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية في مادة (بلاد العرب) قولها : وبنو طيء يعرفون اليوم باسم « شمر » وهو اسم أحد بطونهم الذي تسلط على من بقي منهم • ولا يتسمى اليوم باسم طيء الا عشيرتان في الجزيرة وقد بقيتا تابعتين لشمر لكنهما لا تدفعان لها الخوه ويعتبرونها مساويتين لهم• انتهى •

قلت : ليس هناك سوى عشيرة واحدة تدعى باسم طيء الا أنها ذات فرق أعظمها وأكبرها فرقتا العساف والحريث • ولعلهما المقصودتان بكلمة عشيرتين أما عدم دفع الخوة فصحيح وقد استبدلت الخوة حين دخول فارس الجربا الى الجزيرة بالمصاهرة • فقد زوج ابنه صفوق من عمشة ابنة شيخ طيء • وكان ذلك في حدود ١٢٢٥هـ •

هذا ما حدثني به العض من شيوخ شمر • وهو ما ذهب اليه وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام •

وقبائل شمر تتألف من أربعة مجاميع كبرى بالنسبة لمناطقها وكل مجموعة من هذه المجاميع تشتمل على عدد من القبائل وهذه المجاميع لم يكن قيامها على أساس كون كل مجموعة منها تتألف من قبائل معينة غير القبائل التي تتكون منها المجاميع الاخرى بل كثيرا ما نرى أن القبيلة الواحدة موزعة على هذه المجاميع •

وعلى الرغم من أن كلمة شمر عند الاطلاق يراد بها جميع هذه القبائل سواء القحطانية منها أم الطائية •• الا أن هذه القبائل فيما بينها تعرف أصولها ان كانت من قحطان أو طيء •

ونحن في تقسيمنا هذه القبائل الى مجاميع تدفعنا الى ذلك الرغبة في التعميم والايجاز لأننا اذا أردنا أن نذكر القبائل والبطون التي تتألف منها كل مجموعة لقادنا ذلك الى اطالة نحن في غنى عنها •

(أ) المجموعة الاولى :

شمر الجبل :

وهي القبائل التي سكنت جبلي أجأ وسلمى في نجد وكانت هذه القبائل تحت امارة آل رشيد في حائل ولا فرق بينها وبين القبائل الاخرى وانما أطلق عليها هذا الاسم المتفريق بينها وبين غيرها وتدعى هذه القبائل أحيانا بـ « قوم آل رشيد » •

(ب) المجموعة الثانية :

شمر الجربا :

وهي القبائل التي انضوت تحت لواء آل الجربا ونزحت من نجد قبل أن تظهر امارة آل رشيد وكان نزوحها هذا في القرن السابع عشر الميلادي وتسكن الآن بين النهرين دجلة والفرات في لواء الموصل في العراق ولواء الجزيرة وجزء من لواء الفرات في سورية •

(ج) المجموعة الثالثة :

شيمر طوقة :

وهي من القبائل والافخاذ الشمرية المختلفة نزحت من نجد واستوطنت الشاطىء الشرقي لنهر دجلة في المنطقة المحصورة بين الكوت وديالى وقد فقدت هذه المجموعة الكثير من خصائصها البدوية وأصبحت تعد من قبائل الارياف •

(د) المجموعة الرابعة :

الصايح :

وهم مجموعة من القبائل والافخاذ الشمرية ولم يكن اسمها هذا هو الذي يجمعها وانما هي تسمية حديثة أطلقت على هذه المجموعة من قبائل شمر التي كانت قد تابعت الصديد عندما حارب الجربا •

منازلها في العراق في منطقة « الحويجة » في قضاء سامراء في المنطقة المحصورة بين « نهر العظيم » وجبل « حمرين » ونهر « دجلة » •

٢ ـ قبائل عنزه :

وهي من القبائل العربية الكبرى منتشرة في العراق وسورية ونجد والحجاز ، وقد برزت منها ثلاثة بيوت حاكمة وهم آل سعود ملوك العربية السعودية وآل الصباح أمراء الكويت وآل خليفة أمراء البحرين • والغالبية العظمى من « عنزة » تسكن بادية الشام والعراق وقد نزحت من نجد في منتصف القرن السابع عشر والمعروف أنها من أولاد « عنز » بن وائل أخي بكر بن وائل وأخيهما تغلب • قال السمعاني عنزة حي من ربيعة ، والعنزي بفتح العين المهملة وسكون النون وكسر الزاي هي النسبة الى

عنز وهو عنز بن وائل أخو بكر وتغلب ولدى وائل[1] ...

ويؤيد ذلك ما جاء في نهاية الارب[2] وأصل موطن هذه القبيلة الحجاز في أنحاء المدينة المنورة والمعروف اليوم أنهم ينقسمون الى جذمين كبيرين هما :

١ ـ بشر

٢ ـ مسلم

ومن هذين الجذمين تفرعت كافة قبائلهم ..

أ ـ قبائل بشر :

وتتألف من القبائل التالية :

(١) الاسبعة : ومنازلها في بادية الشام ويميلون شتاء الى العراق حيث ينزلون منطقة « القعرة » .

(٢) الفدعان : منازلها بين الخابور والبليخ والفرات الى حلب .

(٣) العمارات : منازلهم بادية الشام .

(٤) الجبل : مواطنها الشامية العراقية جنوبي لواء الدليم حول الرطبة ووادي حوران .

(٥) الدهامشة : سكنت هذه القبيلة العراق ثم نزحت عنه وبقيت تتردد بين نجد والعراق .

---

(١) انساب السمعاني ص ٤٠١ ـ ١

(٢) نهاية الارب جـ د ص ـ ٢٢٠

ب ـ قبائل مسلم :

وتتألف من فريقين هما :

١ ـ جلاس •

٢ ـ وهب •

والفريق الاول يتفرع الى :

(أ) روله : منازلها الى الجنوب الغربي من تدمر حتى دمشق وجنوبها في الجولان وحوران •

(ب) محلف : وهي مترددة بين الجوف والشام •

أما الفريق الثاني فيتفرع الى :ـ

(أ) المنابهة : ومنهم الحسنة منازلهم بين تدمر وحمص ومنهم المصاليخ « المساليخ » ومنازلهم الجوف « دومة الجندول » ومن المساليخ عائلة آل سعود الحاكمة في السعودية •

(ب) ولد علي : وهم من وهب وقد شاع تسميتها على الكل بما فيهم المنابهة والمساليخ • والولد على منتشرين ومنازلهم الاصلية مجاورة لمنازل قبائل حرب •

(حـ) الايدة : منازلهم حول المدينة المنورة •

٣ ـ الضفير :

وهي من القبائل العربية الكبيرة المنتشرة بين نجد والعراق يتجولون في الجانب الغربي من نهر الفرات بين الزبير وأنحاء السماوة الى البادية الجنوبية ومنطقة الحياد وجنوبها في الاراضي النجدية مركز هذه القبيلة « البصية » في البادية الجنوبية من العراق •

ويقال أنهم يرجعون في نسبهم الى بني سليم القبيلة العربية الجاهلية المشهورة •

قال صاحب مطالع السعود في حديثه عن الضفير •
وسمعت ممن أثق به أنهم من بني سليم[1] •

٤ ـ قبائل حـرب :

منازلها الحجاز ونجد في المنطقة المحصورة بين النفوذ والبحر الاحمر وقد مال قسم منهم الى العراق بسبب حروبهم مع آل سعود وسكنوا في الشامية قرب الاخيضر بين الابيض في أنحاء الحجرة وبين عين تمر •

وهي من القبائل العدنانية أخت عنز بن وائل ويدعون أن جدهم معاز بن وائل ولكنا لم نعرف اسم معاز الذي يدعون الانتساب اليه الا أن القلقشندى يؤيد ادعاءهم بالانتساب الى بكر بن وائل حيث يقول في انسابه « بني حرب من بكر بن وائل من العدنانية »[1] وتعد قبيلة حرب من أعظم وأكبر قبائل نجد والحجاز •

٥ ـ المطـير :

منازلها جنوبي وادى البطين في أنحاء القرية •

٦ ـ العجمان :

منازلها في الحسا والقطيف •

٧ ـ بنى مره وبنى هاجر :

منازلهم في نجد في صحراء الربع الخالي ـ الخراب •

٨ ـ قحطـان :

منازلهم الى الجنوب من الرياض محاذين للربع الخالي •

---

(١) مطالع السعود ص ـ ١٣٦
(١) نهاية الارب في انساب العرب ص ١٩٤

٩ ـ بني خالـد :

يدعون أنهم من نسل خالد بن الوليد ولا يوجد ما يؤيد هذا الزعم والارجح أنهم بطن من غزية من هوازن كما يذكر صاحب نهاية الارب القلقشندي •

منازلهم الآن حول مدينة الرمثا في شمال شرق الأردن قرب الحـدود السورية • وقسم آخر منازله في محافظة حمص بسورية •

١٠ ـ الحويطـات :

من قبائل الاردن الكبير « تسكن الى الجنوب من الاردن حول معان وقسم منها يسكن الساحل الشرقي لخليج العقبة ويعرفون بحويطات تهامـة وقسم منهم يسكن حول العقبـــة الى الجنـوب والشـــرق داخل الارض السعودية وقسم الى الشـــمال من العقبة وأكثـرهم في فلسطين ويعرفـون بالسعيدين وقسم منهم نزح الى مصر وهم الآن فلاحون يسكنون بالقـرب من طنطا • والكثير من البدو يطعنون بنسبهم ولا يعتبرونهم أقحاحا •

١١ ـ العـدوان :

ينتسبون الى عدوان واسمه الحارث بن عمرو بن قيس من قيس عيلان من العدنانية منازلهم الآن في الغور (غور نمرين) الشونة ونواحي السلط في الاردن •

١٢ ـ بني صخـر :

من القبائل الكبيرة نزحت من الحجاز ونزلوا في العلا ومكثوا بهـــا حوالى ١٠٠ عام ثم اصطدموا مع قبائل الضفير وحلـــوا محلهم في الاردن وينقسم بنو صخر الى فخذين كبيرين هما :

(أ) الطوقـــة :

ويتألفون من عشائر الغبين والغفل والخضير •

(ب) القعاينـــه :

ويتألفون من الخرشان والجبور •

ويذكر القلقشندى أن قسما منهم يسكن في مصر •• وقد حدثنـــي أحدهم ممن أثق به مؤيدا القلقشندي في ذلك قائلا أن جزءا من قبيلتهـم موجود الى الآن في مصر وهم عرب البواسل ومنهم الزعيم الوفدي المشهور المرحوم حمد الباسل وموطنهم في الفيوم •

ومنازل بني صخر الآن في الاردن في منطقة البلقاء الى الشرق مـــن عمان حتى الحدود العراقية • وهناك قسم منهم في دير الزور الواقعـــة على نهر الفرات في سورية الا أن هؤلاء قد تحضروا منذ أمد طويل وفقدوا كل علاقة لهم بالبادية وحياة البدو •

١٣ ـ صليب أو الصلبـة :

وهي من القبائل المتحيرة التي لا يعرف أصلها وقيل أنهم من « آل » أي القحطانية كما قيل أنهم من بقايا الصليبين وقد استدل البعض في نسبتهم الى الصليبين باستنطاق ملامحهم وبعض خصائصهم كما ذهب كثير مـــن الكتاب ومنهم البستاني في دائرة معارفه في مادة « صليبـــة » وفي المقتطف المجلد الثاني عشر وفي مجلة المشرق ج ١ ص ٦٧٥ وهؤلاء الكتاب لم يعينوا نسبهم بوجه الصحة والتأكيد وغاية ما ضربوا عليه وتر الصليب ولم يدعموا ذلك بأي دليل سوى المشابهة باللفظ فقط •

وقد أرسل الفرنسيون أيام احتلالهم لسورية المبشرين لاعادتهم الى المسيحية كما يعتقدون ولكنهم فشلوا •

وهذه القبائل محتقرة من القبائل البدوية ولا يعترف البدو لهم بسمو نسب مطلقا الا أن الصليب أنفسهم يعتقـدون أنهم « صبه ، صليبه » أي صلب الشيء ومن العريقين في النسب الا أنهم قد نسى أصلـهم أو أخفوه

لسبب أو لآخر وكتموه حتى عن أولادهم وبمرور الزمن أصبح نسبهم مجهولا والقبائل البدوية لا تغزوهم ويعتبر من أظلم الظلم ومن العار أن يغزوهم أحد .

والواقع أنهم لا يختلفون في حياتهم وعاداتهم عن البدو الآخرين ودياناتهم الاسلام وان كانوا كبقية البدو لا يقومون بالوجائب الدينية تماما .

ويعتبرهم بروكلمان خلفا لقبائل الباريا[1] .

وعلى كل حال فهم بدو ولكن عيشتهم أخس عيشة ويمتهنون بعض الاعمال والحرف التي تعتبر محتقرة عند البدو . وهم لا يأنفون من الاستجداء يعيشون على الصيد في غذائهم ولباسهم حيث يصنعون من جلود الطرائد لباسهم وبيوتهم .. ويقتنون الحمير الوحشية وسائر الحمير التي لا يقتنيها البدو عادة .

ويعتبرون من أعرف الناس بمساقط المطر ومسالك الصحراء وآبارها لذا نجدهم يوغلون في الصحراء بعيدا جدا عن المعمورة وقد اشتهروا بالطب حيث يطلق عليهم اسم « أطباء البادية » حتى أننا نجد الكثير من أهل المدن يركنون اليهم في طلب العلاج على الرغم من وجود أطباء المدن والطب الحديث .

وفيهم عدد كبير من الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم وهم قبائل متعددة كثيرة العدد .

---

(١) تاريخ الادب العربي ص ـ ٤٨ وقد جاء في هامش الصفحة نفسها قبائل الباريا ـ اصطلاح على العناصر الحقيرة في شعب من الشعوب سواء اكانت منه أم غريبة عنه ، وهي تحترف حرفا وضيعة ، والصليب شعب من شعوب الباريا يسكن شمالي جزيرة العرب ووسطها ويبلغ عدده بضعة آلاف نسمة ويعيش على الصيد والحرف الوضيعة .

فمنهم الجميل ومساكنهم في باديـة الشام في منطقـة الحماد ويسكن العوازم في نجد بمنطقة الاحساء والقطيف وفي الكويت يســكن الرشايدة ويسكن في العراق أقسام أخرى في الشـامية ومنهم في شمال الجزيـرة العربية وأواسطهـا .

★ ★ ★

هذه أهم القبائل البدوية التي مازلت حتى الآن محافظة على عاداتهـا وطبيعة البداوة ، من جوب للصحراء وان كان بعضها بدأ يفقد شيئا منهـا ولكن ببطىء وهناك قبـائل أخرى لم أذكرها وانما اقتصرت على ذكـر القبائل المشهورة فقط ... وهناك قبائل أخرى فقدت الكثير من طبعهـا البدوي وان كانت محافظة على النجعـة المحـدودة في فصل الربيع مثل العقيدات والعزة والعبيد والجبور .... الخ لا أرى مبرراً لذكرها لأنها على الرغم من انتجاعها في فصل الربيع لا يمكن عدها من القبائل البدويـة البحتـة .

الفصل الثالث

التكوين الاجتماعي عند البدو

إن التكوين الاجتماعي عند البـــدو بسيط لا يتجـــاوز حد الاسرة « العائلة » واسم الاسرة عندهم « الاهل » وتتألف من الرجل والمرأة ومن فروعهما •

والاب هو رئيس الاسرة فاذا مات خلفه ابنه الاكبـــر في الرئاسة • على ان هذا يجوز ان يتخلى عن حقه الى اخيه الـذي يليـــه في السن • وللرئيس على الاسرة حق الحياة والموت دون منازع[1] •• وما على افراد الاسرة سوى الطاعة أو الرحيل •• ورئيس الاسرة مسئول عن ادارة الاسرة وتدبير معيشتها وحل المشاكل التي قد تقع داخلها والدفاع عنها اذا وقـــع عليها مكروه من خارجها •

والتضامن الـكامل موجود في الاسرة البدوية بأوسع معانيه ، وعاطفة التضامن هذه من أروع مظاهر الحياة في البادية •

والبدو يعتزون بانسابهم اعتزازا يفوق الوصف وهم في ذلك انما يسيرون على سنة اسلافهم العرب • وقد كانت طبقات الانساب قديمـــا كما يلي :

الشعب ، والقبيلة ، العمارة ، البطن ، الفخذ ، الفصيلة ، والعائلة أو الاسرة يقول القلقشندي : وكأنهم رتبوا ذلك على بنية الانسان فجعلوا الشعب بمثابة أعلى الرأس والقبائل بمثابة قبائل الرأس وهي القطـــع

---

(١) عشائر الشام ــ وصفي زكريا ــ ص ١٦٤

المشعوب بعضها الى بعض والعمارة العنق والصدر وجعلوا الفخذ تلو البطن لان الفخذ من الانسان بعد البطن وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ ـ لانها النسب الادنى الذي يفصل عنه الرجل ـ بمثابة الساق والقدم اذ المراد بالفصيلة العشيرة الادنون بدليل قوله تعالى « وفصيلته التي تؤويه » أي تضمه اليها ولا يضم الرجل الا اقرب عشيرته واعلم ان اكثر ما يدور على الالسنة من الطبقات الست المتقدمة القبيلة ثم البطن ، وقل ان تذكر العمارة والفخذ والفصيلة وربما عبر عن واحد من هذه الطبقات بالحي ، اما على العموم فيقال حي من العرب واما على الخصوص فيقال حي من بني فلان[1] .

هذا ما كانت عليه طبقات الانساب قديما اما بدونا المعاصرون فلهم تقسيماتهم التي تختلف قليلا عما ذكرناه سابقا . وهذه التقسيمات هي :

« البيت » ويعنون به الاسرة أو العائلة . والبيوت أو الأسر القريبة من بعضها تؤلف « الفخذ » أو « الآل » مثل « آل سعود » و « آل محمد » و « آل مهيد » وتجتمع الافخاذ فتؤلف « الفرقة » أو « الفنده » وتجتمع الفرق أو الافناد فتكون « العشيرة » مثل عشيرة « الروله » وتجتمع العشائر فتكون « الضنأ » مثل « ضنأ مسلم » و « ضنأ بشر » في قبيلة « عنزه » وقد يتساهلون فيسمون العشيرة قبيلة أو الفخذ فصيلة أو الفنده فرقه .

ويزعم رواة البدو ان القبيلة انما تنشأ من أب عام يورث اسمه الى قبيلته كبنى صخر وبني خالد . وهذا باعتقادي امر مبالغ فيه واذا صح في قبيلة لا يمكن ان يصح على القبائل عموما .

والرئاسة عندهم ينالها أهل العصبية والجاه ويكون على رأس كل فرقة رئيس ورؤساء الفرق خاضعون لشيخ العشيرة وشيوخ العشيرة لشيخ القبيلة المعروف عندهم بشيخ المشايخ . وهم يسمون الرئيس شيخا حتى

(١) نهاية الارب في معرفة انساب العرب ـ القلقشندي .

ولو كان حديث السن فكلمة شيخ عندهم تعني الشيخوخة والرئاسة معا •

وقد يبرز رئيس احدى الاسر بشجاعته ومضاء عزمه وذكاء جنانه فتلتف حوله أسر أخرى وتلجأ الى حماه ويتقدم رجالها لخدمته ويصيرون من ثم اتباعا لتلك الاسرة التي ترأست •

والامير البدوي مع سلطته المطلقة قل ان يستبد في احكامه • كما وانه لا يحتجب عن احد ولا يمتهن أحداً • يجالس الناس ويخالطهم رفيعهم ووضيعهم وهم لا يعرفون القاب التفخيم ولا نعوت التملق فاذا خاطب بدوي اميره ناداه باسمه وطالبه بحقه بعبارات تشف عن عزة النفس والأنفه •• والشيخ لا يمتاز الا بكونه مقـــدما على الاقران وهو مكلف بادارة امور القبيلة وله حق اعلان الحرب أو عقد الهدنة أو ابرام الصلح مع العشائر الاخرى وهو عادة لا يقدم على ذلك قبل ان يستشير ذوي الرأي من قبيلته •

والعشيرة لا تعترف الا بشيخ واحد والمفروض بالشيخ ان يمتـــاز بالاريحية والنجده والبسالة ورجاحة الفكر • فالمقام الاول عند البدو في المشيخة للجدارة الشخصية • يقول الاب جوسن الدومنيكي انه سأل ذات يوم احد كبراء البدو كيف يصيرون شيوخا عندكم ؟ فأجابه وهو يهز سيفه : بالفهم السوي والزند القوي •(١)

فالبسالة ورجاحة الفكر مع طلاقة اللسان والحلم عند الغضب ورباطة الجأش امور يفترض وجودها عند الشيخ اضف الى ذلك الكـــرم فعلى الشيخ ان يكون بيته مفتوحا في وجه كل قاصد يقول احدهم وهو من بدو سيناء لم اقف على اسمه •

الشِيْخَـــةْ ما هِي بالجُوخَـــةْ

ولاَ بكُبْرِ اْلعبايَـــةْ يا بنيـــه

(1) P. Jaussen et Savignac, Coutumes des Arabes en pays de Moabe.

الشـــــيخه صَبٌ القَهَــــاوى
زي العيــــون المرويـــــــة

الشيخـــه جـــر المناســـــف
في الســــنين الرديــــــه[1]

مســـاكنهم :

يسكن البدو في الخيام المصنوعة من شعر الماعز الذي يعطيها هـــذا اللون الاسود مع تموجات كستنائية غامقة • وهم لا يستعملون كلمة خيمة او فسطاط أو مضرب ولا غيرها مما جاء في اللغة وانما يستعملون كلمـــة « بيت » او « بيت شعر » •

وبيوت الشعر هذه تكون حاره في الصيف وباردة في الشتاء الا انهــا على علاتها ما زالت منـــذ آلاف السنين مأوى البـــدو ومساكنهم يطوونهــا وينشرونها في حلهم وترحالهم •

وتنسج هذه البيوت كما قلنا من شعر المعزى لأن هذا الشعر لا يمتص الماء وهو في لحمته وسداه ـ ذو خيوط غليظة يؤلف حزما متراصة جــدا ويزداد هذا التراص حين هطول الامطار بحيث تمنع نفوذ الماء ، بيد انهــا لا تمنع اشعة الشمس من المرور •

وهي تتألف من مستطيل كبير مؤلف من قطع مستطيلة تدعى « شقق » ومفردها « شقة » ولهذه البيوت حبال تشد الى اوتاد لتثبيت البيت وتسمى هذه الحبال « اطناب » « ومفردها » « طنب » ويرفع السقف على اعمـــدة يتراوح ارتفاعها من المتر الواحد في الخربوش الى الثلاثة أو الاربعة امتار في بيوت الشيوخ ، وهذه الاعمدة توضع في الخط المتوسط على امتـــداد

---

(١) المناسف : مفردها ونسف وعاء كبير يقدم فيه الطعام وهو الجفنـــه •
السنين الردية : يقصد سنى القحط والمحل •

البيت ، ويتألف البيت أيضا من « الرواق » وهو قطعة طويلة من نسيج شعر الماعز يربطونها بطرفي السقف او بطرف واحد منه حسب هبوب الرياح او ورود اشعة الشمس ولهذا يظل بيت البدوى مفتوحا من احدى الجهات .

وينقسم داخل البيت الى قسمين هما :

الربعة او المضيف ـ وهي مجلس الضيوف والرجال

المحرم او الخدر ـ وهو مجلس النساء

ويفصل بين الربعة والخدر بفاصل يسمى « النضيد » وهو في العادة عبارة عن امتعة البيت من الاكياس المحتوية على المؤنه من الحنطة والطحين والتمر وما شابه ذلك ، وعلى الفرش والوسائد والاغطية والبسط ...الخ.

ولكل بيت « كاسران » و « الكاسر » هو العمود الجانبي الذي يقوم عليه البيت والعمود الذي في الوسط يسمى « الواسط » وجمعها « وسط » والعمود الامامي « المقدم » والعمود الخلفي « الميخر » اي المتأخر وأسياخ الحديد التي يربط بواسطتها الرواق بالسقف تسمى « الخلال » .

وتختلف اسماء هذه البيوت باختلاف عدد الاعمدة فيها فالبيت ذو العمود الواحد باستثناء العمودين الجانبيين يسمى « قطبه » واذا كان صغيرا ورثا وبدون عمود متوسط يسمى « خربوشا » وذو العمودين يسمى « مقورن » واذا كان له ثلاثة اعمدة فهو « مثولث » او اربعة فهو « مروبع » او خمسة فهو « مخومس » وهكذا ....

وللاعمدة قيمتها العظمى لدى البدو فهي قوام البيت ومنها قولهم « فلان عماد بيتنا » وهي كلما طالت وكثرت دلت على مركز صاحبها من حيث الثروة والرفعة وفي اللغة « فلان طويل العماد » اي بيته معلم لزائريه وفلان « رفيع العماد » اي شريف .

وللعمود قيمته المعنوية لديهم فاذا اقترف احدهم جرما وطورد فانه يدخل اي بيت يصادفه ويقبض على عموده فيكسب بذلك حماية اهل البيت •

واجتماع هذه البيوت تسمى « نزل » وجمعها « نزول » يقول شاعرهم :

صُبْحْ أرْبَعَة يلفَنْ نزُولِ كما الليلْ
غَلبَا ليَا عدتْ حمَاقْ القبَايلْ

ويكون النزل عادة على صفين اما اذا كان كثير البيوت فيكون من عدة صفوف ويسمى الصف « سماط » والفسحة التي بين الصفوف تسمى « المراح » وينصب بيت الشيخ في الصف الغربي او الاوسط ويمتاز برفع شارعته عن بقية البيوت ، و « الشارعة » هي العمود الامامي من الربعة وبها يستدل الضيوف الى بيت الشيخ دون الحاجة الى دليل •

ملابسهم :

ملابس البدو عادة بسيطة وتتألف من ثوب ابيض يمتاز بردون طويلة فيقولون « ثوب مرودن » والردون جمع « ردن » ويكون هذا الثوب واسع وطويل وفوقه ثوب اخر اوسع واطول حتى يصل الى القدم وكلما كانت اكمام الثوب طويلة دلت على عراقه صاحبها في البداوة واذا وقف البدوي وارخى يديه الى جانبيه يكاد ردنا ثوبه يمسان الارض •• ولكنهما في الغالب يعقدان وراء الظهر

وقد يلبس البدوي « الصايه » فوق الثوب والصايه او الزبون مصنوعة من قماش رقيق لماع وتكون مفتوحة من الامام • واكمامها اقصر من اكمام الثوب ويتحزم فوقها بحزام من الصوف •

اما غطاء الرأس فيتألف من الكوفيه وهي قطعة مربعة من النسيج

القطني تطوى وتوضع على الرأس تحت العقال ويسمونها (قضاضة) أو محرمه او « غتره » والعقال يكون اسود اللون وهو عبارة عن ضفيرة من شعر الماعز •

ويرتدي البدوي في الشتاء فوق ملابسه « الفروه » وهي مصنوعة من جلود الخراف وفي الصيف يلبسون العباءة ويرتدي الاغنياء منهم تحت الفروة « الدامر » وهو معطف قصير واسع من الجوخ لونه ازرق او اسود وهم لا يلبسون السراويل نساؤهم ورجالهم في ذلك سواء •• وغالبيتهم حفاة الاقدام •

والمرأة تلبس ثوبا داخليا مزركشا فوقه ثوب اسود او نيلي طويل الذيل ومصنوع من القطن ويسمونه « ثوب اسمر » وتتحزم عليه بحزام مصنوع من الصوف الملون ويكون على الاكثر احمر اللون • وتلبس فوقه معطفا واسعا قصير الاكمام لونه ازرق او اسود واسمه « دراعه » وهي تقابل « الدامر » عند الرجال وتضع المرأة على رأسها « المقرونة » وهي تقابل الكوفيه عند الرجل وهي مصنوعة من الحرير الاسود ، تجعلها المرأة بشكل عمامه ويسمونها « عصابه » او « عصبه » •

والنساء على الاكثر لا يلبسن احذية في اقدامهن ، اما في الشتاء فيلبسن حذاء من الجلد الاصفر او الاحمر له من الامام هدبات زرقاء متدلية ويسمى هذا الحذاء « زربول » •

هذا هو العام الغالب في لباسهم الا ان بعض النسوة وخاصة نساء الشيوخ وفتياتهم قد يرتدين الثياب الملونة • يقول الشاعر

انْهَضى اْلثُوبَ الاَحْمَرْ لا يَتْدَمَّرْ

ناوشي اْلرِدْن ثُوبكْ عَنْكَ اشيله

او يلبس ثياب الحرير الملونة ايضا ويسمونه « الجيني » نسبة الى

الصين يقول الشاعر :

دَاعِجِ ٱلعينْ رَاعي الجِينَ ٱلاصْفَر

مـا يضَفْضِفْ مَعَ الواطي شِليلَه

والمرأة تضع اللثام لتخفى به القسم الاسفل من وجهها وتظهر عينيها

فلا ْومَـرهْ اللـه يُـردُهْ و ْيثْنيـهْ

أرخى لِثامُـه لـِينْ تِبَـدَّى ثمانيـه

وهن لا يستعملن من ادوات التجميل والمساحيق سوى الحناء والكحل ويتزين ببعض الحلى الرخيصة • وقول المتنبي :

حسـن الحضـارة مجلـوب بتطريـه

وفي البـداوة حسـن غـير مجلـوب

ما زال ساريا حتى الآن وهو المرغوب عندهم يقـول الشاعر مقاربا المتنبي في معناه :

مَزْيونَةٍ مـن يـومْ كانَتْ صِغيرَةْ

ما هِـيْ مَنَ ٱللي زينْهِـنْ صُبغْ جاوه

الفصل الرابع

حياتهم الدينية والعقلية

حياتهم الدينية :

العقيدة عند البدو بسيطة بعيدة عن التكلف مبنية على قبول ما كان قريبا من اذهانهم واحق بالاخذ مما ينسجم مع روحيتهم ونفسيتهم ويلائم مداركهم وذهنيتهم •

والبدو جميعهم مسلمون ، والبدوي يعتقد بوحدانية الله عزوجل وبرسالة نبيه الكريم • فتراه يقول في كل خطوة من خطواته (الله ومحمد رسول الله)[1] وهم يميلون الى التوحيد الخالص الذي يتنافي وتعلق الناس بالاولياء[2] لذا نجدهم لا يميلون الى زيارة المراقد وينفرون من اضرحة الاولياء والصالحين ولا يهتمون بها اذ ان هذا بنظرهم شرك وعبادة للاشخاص من دون الله يقول احدهم :

يا عونْ من طالعَكْ برْزانْ
ونام بشْناقَكْ هني
ويا عونْ من فارقْ آلبرغوث
وفراق عبّادةْ على

وبرزان قصر ابن الرشيد في نجد • وعبّادة على اى عابدو على ويقصد بهم الشيعة في حين ان الشيعة لا يعبدون الامام عليا (رضي الله عنه)

---

(١) خمسة اعوام في شرق الاردن ـ بولس سلمان
(٢) عشائر العراق ـ عباس العزاوي

وانما يعتقدون فيه الامامه الا ان هؤلاء البدو لا يفرقون اذ انهم يرون مجرد الانقياد الى شخص عباده .

وهم كما اسلفنا يأخذون العقيدة مجرده من كل هذه القشور التي لحقت الاسلام ، يروى عن الشيخ صفوق الفارس الجربا ـ وقد عاش في بداية القرن الثالث عشر للهجرة ـ احد مشايخ قبيلـــة شمر انه كان في مجلس من مجالس بغداد فدخل المجلس رجل احتفى به الجميع ونـــال احترامهم فسأل عنه . فقيل له انه الشيخ فلان .

قال : هو شيخ اي قبيلة ؟

فقيل له : انه ليس بشيخ قبيلة وانما هـو شيخ الطريقة النقشبندية وهي طريقة دينيـه .

فكان جوابه : الدين ما به نقـــوش ، اي ليس في الدين نقوش او زخارف[1] .

وهذا الذي ذكرناه يتنافي وما ذكره المطران بولس سلمان من انهـم يأنسون الى المعتقدات الطبيعية ويكرمون الاحجار المقدسة والاشجار المورقة والمياه الرفيعة التي يعزون اليها شـــفاء الامراض ويقدمون اليها ذبائـــح شـــكر[2] .

ويبدو ان المطران بولس سلمان قد جانبه الصواب في ذلك والـــذي اوقعه في هذا الخطأ على ما اعتقد ـ هو عدم تفريقه بين البدو الاقحـــاح والفلاحين او انصاف البدو ...

والبدو رغم ايمانهم بواحدانية الله وبرسالة الاسلام نراهم يتساهلون كثيرا في الفروض والواجبات كالصلاة والزكاة والحج الى غير ذلك مـن

(١) عشائر العراق ـ عباس العزاوي .
(٢) خمسة اعوام في شرق الاردن ـ بولس سلمان

فروض الدين وهذا التساهل ليس عاما في البدو وانما ينحصر في بدو الاردن وسورية والعراق اما بدو نجد فقد اجبروا على تأدية هذه الفروض بعد انتصار الدعوة الوهابية وقيام حكومة آل سعود • وتساهل البدو في تأدية هذه الواجبات لا يعني انهم ضعاف الايمان[1] او قليلوا التعلق بالدين[2] •

والبدوي مهما كان قاسيا فاتكا فاسم الله ورسوله يتردد على السنتهم دائما • وكثيرا ما يرد في اشعارهم اسم الله يستغفرونه على ما فعلت ايديهم، ويتوسلون اليه بالدعاء ، وطلب الرحمة والمغفرة •

يَا اْللهْ يا عايْدٍ عَلى كُلِ دِيِرَهْ
يا رَبْ يا مِنْشى مِزْنٍ مُصَادِيرِ
يَا اللهْ عَسى ما تِكْرهْ النَفِسْ خيَرهْ
يا والىَ آلدنيا عليكَ آلتدابيرِ

أو

أَبْدى بِذِكْرِ آللي عَلى آلكلْ مَنَّانْ
يا ربْ يا خالقٍ عَرْشْ بْسِمَايا
نطلبكْ يا رَبْ يا رافِعِ آلشَانْ
تِرْفَعْ عَبِيدَكْ من جَمِيعِ آلدهايا

والبدوي يؤمن بان كل شيء من الله • فعقيدة القضاء والقدر هي المتسلطة على كل شيء لدى البدوي وكلمات (الله اكبر) ، (والله اعلم) و (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) و (اينما تكونوا يدرككم الموت)

1. Commandant Victor Muller, en Syrie avec les Bédouins 1931, Paris
2. Les tribus nomades et semi - Momades des Etats du levant placés sous mandat Francais. 1930, Beyrouth.

وامثالها هي القواعد التي يعتمد عليها البدوى طول عمره وهذا هو السبب في انه لما يتم البدوى حياته القاسية المتشردة وينقلب شيخا هرما ترى وجهه الذي كان نشيطا فعالا صار يشع صفاء روحيا تاما[٣] •

وهذا امر واضح كل الوضوح ويمكن لاي انسـان ان يحسه في حديثهم وتصرفاتهم ويجده في اشعارهم التي تنطق ابياتها بهذا الذي ذهبنا اليه يقول الشاعر محمد العبدالله القاضي •

وما قدّرْ آلبارى عَلى آلعَبْـدْ مقسـومْ
يِسْلَمْ وْيِرْضَى بالقَـدَرْ وِاْلسلامِ
فالعُمْر لَهْ حَـدٍ بِالاوْراقْ مَرْسُومْ
والرِزِقْ مَضْمُونْ حْسَابُهْ تِمَـامِ

أو كقولـه :

واْلقَدَرْ بالقَلمْ حُكْمُـهْ سبِقْ
نافِـذٍ وَالّلوحْ وَاْلَمشْفُوقْ عِيْقْ
وِاْلحَذرْ ما فَكْ مَشْفُوقٍ آلرَمَـقْ
والقَدَرْ مالي عَلى دَفْعُهْ طَرِيـقْ

وكقول العوني :

يِقضِي وْيِمْضي قَادِرٍ ما يْبَالِي
يِفْعَلْ عَلى ما رادْ مَحدْ كفيلَه
يْفَعْ وْياضَعْ قَادرٍ ما يْسَالي
واْلخَلَقْ ما تِفْعَلْ بِلا أمْرِه فعيله

3. Capitaine Raymaud et Méddicin - Major Martinet, les Bédouins de la Mouveuce de Damas 1922.

ماله شريك جل فوق متعالي
وعلمه أحاط بدقها والجليلة

يا واحد فوق السماوات عالي
من سطوته كل الخلايق ذليله

ومن الغريب انني لاحظت عندهم بقية من الجاهلية تحدرت اليهم فالمرأة في الجاهلية لم يكن لها من الميراث شيئا حتى جاء الاسلام وانصفها وجعل لها نصيبا حددته الشريعة بنصف حصة الذكر بدليل قوله تعالى « وللذكر مثل حظ الانثيين » • الا ان البدو ما زالوا رغم كونهم مسلمين موحدين يحرمون المرأة من الميراث فهي لا ترث في عرفهم ، وانما يعطون الام جملين فمن كل ثدى يعطونها جملا واحدا تعويضا لها • والاخوات لا يرثن والاخ مكلف باعالتهن ومساعدتهن ، والزوجة اذا مات زوجها معززة مكرمه ولا تحصل على شيء من ميراث زوجها واذا فضلت العيشة عند أهلها تعطى جملا واحدا •

وعلى العموم فالميراث ينحصر بالذكور فقط دون الاناث فاذا لم يكن للمتوفى اولاد فاخوته وان لم يكن له اخوه فالاعمام واذا لم يكن له اعمام ولا اولاد اعمام فالعصبية الاقرب فالاقرب •

والقاعدة هي حرمان الاناث من التركة كما اسلفنا وهي من الظواهر الجاهلية التي بقيت عندهم حتى الآن •

* * *

الحياة العقلية

البدو عامة أميون لا يعرفون من القراءة والكتابة شيئا الا ما ندر عند بعض ابناء الشيوخ • فهم باقون على السذاجه والفطرة اللتين كانوا عليهما

منذ آلاف السنين • لكنهم بصورة عامة اذكياء يدركون أموراً كثيرة بالسليقة واذا ألقيت عليهم مسألة تعلموها وفهموها حالا ولقد اكسبتهم قوة الملاحظة وتجاربهم الكثيرة واضطرار الحاجة طائفة من العلم المبني على التجربة والاستقراء •

فهم على معرفة واسعة بابلهم وكل ماله علاقة بها وعلى معرفة تامة بالصحراء وطرقها ومغاورها • فحياة التنقل والارتحال الدائمة دفعتهم لمعرفة دروب الصحراء ومعرفة النجوم للاستدلال بها في اسفارهم وهم على معرفة تامة بالنجوم ومطالعها وافولها وتأثيرها على الانسان والحيوان واثرها في تقلبات الجو وطول النهار وقصره وظهور الاعشاب والنباتات وتغير الفصول •• فظهور نجم معين يفهمون منه حلول الربيع او الخريف ••• الخ وتأثيره على الانسان والحيوان وهناك قصيدة للشاعر محمد العبدالله القاضي مؤلفة من خمسة وخمسين بيتا تدور كلها حول الانواء والنجوم وتأثيرها ومطلع هذه القصيدة •

سَبَكْ لَكْ نُجُومِ آلدَهَرْ بالفِكرْ حاذِقْ

حَوى وَاخْتِصَرْ مْضمونْها بأَمرْ خَالِق

وهذا راكان بن حثلين يقص لنا في احدى قصائده سفره الى مكان معين واستدلاله بالنجوم في سفرته هذه فيقول :

خَليْتْ نُوعَ (آلجِدي) بُوْرْكِ آلمُطِيَه

واسْفَرْ نُحَرْهَا عَنِ (سْهيلِ) آليَماني

وقد دفعهم اعتمادهم على المطر وتعرضهم لاحوال بيئتهم القاسية الى معرفة احوال الجو ، الانواء والرياح لعلاقتها بالكلأ والغيث بحيث يعرفون اماكن سقوط الامطار • وعرفوا البيطره والخيل والابل لاتصالها بالحرب ولكونها عماد حياتهم • وقد دفعتهم الحاجة الى مداواة انفسهم وحيواناتهم فألموا بعض الالمام البسيط بمعارف تجريبية في الطب مثل الكى بالنار

واستخلاص العقاقير الطبية من اعشاب ونباتات البادية •

وقد مهروا في الفراسة والقيافة الى حد الاعجاز وقلما يخطئون في استدلالهم باثار الاقدام واقتفائها وقد برع في هـذه الناحية « بنومره » في نجد حيث تعتمد عليهم الحكومة السعودية في الكشف عن الجرائم وغيرها عن طريق اقتفاء الاثر ويروى عنهم حكايا لا يكاد يصدقها العقل •

وهم على معرفة بسيطة بحوادث العرب القدامى وشخصياتهم اذ اننا نلاحظ في اشعارهم ورود اسماء لابطال العرب واجوادهم مثل عنتره العبسي وحاتم الطائي وخالد بن الوليد وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وعمرو بن العاص والمهلهل ••• وغيرهم من امثال ابي زيد الهلالي ودياب ابطال الملحمة الشعبية المعروفة ••• ويعرفون قصة ليلى والمجنون وقد روى لي احدهم ابياتا للمجنون (قيس بن الملوح) يخاطب بها ورد :

أَسَايِلْكْ بالنبي يا زُوْجْ لَيلى
بِجنحِ الليلِ كمْ قبلت فاها

وهذا البيت واضح انه تحريف لبيت المجنون :

بربك هل ضممت اليك ليلى
بجنح الليل او قبلت فاها

وقد رويت لي قصة عن عاشق اخر اسمه (رميم) وقالوا ان سبب تسميته بهذا الاسم راجع الى انه كان يضع في عنقه حبلا « رمه » وهذه الشخصية هي شخصية « ذي الرمه » الشاعر المعروف ولكن تقادم الزمن ادخل عليها هذا التحريف وهذه الزيادات على ما اعتقد •

وختاما نقول : ان معارفهم بسيطة كحياتهم التي لم تسمح لهم بالتبحر بالعلوم او التفكير بالفلسفة والقضايا الفكرية الاخرى لان حياتهم حياة قلقة غير مستقرة وعلى هذا فمعارفهم وليدة تجاربهم اليومية وملاحظاتهم العامة وحاجاتهم في بيئتهم القاسية ••

الفصل الخامس

الحالات الاجتماعية عند البدو

اخلاقهم ومزاياهم :

كان العرب في جاهليتهم ـ عدا سكان المدن ـ بدوا يضربون في الصحارى والقفار • وطور البداوة هذا ميزهم وخصهم بحالات اجتماعية واخلاقية ومزايا خاصة بهم عرفوا بها على مر الايام •

ومن هنا كان ما تذكره الروايات وكتب الادب والتاريخ عن عرب الجاهلية ينطبق جله ان لم نقل كله على البدو في مختلف العصور حتى عصرنا الحاضر •

فالبدوي بسكناه الصحارى المقفرة المحفوفة بالاخطار والمشاق وبعده عن المدن ونبذه الدور والاسوار وتفضيله لبيوت الشعر عليها وطبيعة الصحراء القاسية ولد فيه مزايا وخصالا امتاز بها عن الحضر سكان المدن • منها الشجاعة والعصبية والكرم والوفاء والصدق والانفة والنجده •

ولقد اضطرتهم الى هذه العصبية ـ وهي التضامن المطلق بين أفراد القبيلة ـ طبيعة حياتهم هذه • اذ ان توغلهم في المهامة القفراء وتولعهم بالغزو جعل حياتهم في حرب مستمرة •

شَابَتْ عَوَارِضْنَا بْزَارْقٍ ومَزْرُوقْ
وصُوَايْحٍ بِظْهُورْ طُوعَاتْ الارسانْ[1]

(١) زارق ومزروق : ضارب ومضروب يريد الاشتباك في المعركة واستعمال الرماح • زرق الرمح : قذفه ورماه • صوايح : مفردها صايح اي صائح من صاح يصيح ويريد صرخاتهم في المعركة • طوعات الارسان : الخيل •

وجعلهم بالتالي على استعداد دائم للقتال

جِضيعِي مِنْ الهِنْدِي مَصنْقُولْ صَارِمْ

لْمَا نَاشْ مِنْ جَثْلَ العِظَامْ رْمَاه

وْثُوبى مَنْ البولادْ دِرْعٍ وْطَاسَه

يْبَيِّنْ لْعِينِ النَاظرين سناه[1]

وأصبحت الشجاعة والبطولة طبيعة فيهم لا يهابون المنايا بل يطلبونها •

لا تَتَّقِي الاخطارْ يا نَفَسْ واشْرَهِي

ما زادْ باعمار الحريم التقانع[2]

ثم ان الموت نتيجة حتمية للانسان فعلام الخوف والجبن

لا بُدَّ مِنْ خِرْقةٍ بيضا على السِنَّةْ

والموتْ من قَبْلِنَا مَا عَافْ راكان[3]

ولما كان من المتعذر على الفرد لوحده مهما كانت شجاعته ان يقابل الاعداء بعددهم الوافر لذا نراه التجأ الى العصبية القبلية هذه العصبية التي تفرض عليهم التضامن فيما بينهم ونصرة بعضهم البعض لان الكل معرض للخطر والذي يصيب الفرد يصيب الجماعة •

كان ما فِزْعَتْ اليمنَه ليسراها

إعلَم اللي وِطا هَاذِيك واطيها[4]

---

(١) جضيعى : ضجيعى • ناش : اصاب • جثل العظام : قويها • البولاد : الفولاذ • يبين : بالتشديد يبدو •

(٢) اشرهى : اقدمى • الحريم : النساء عامة • التقانع : لبس القناع •

(٣) الخرقة : قطعة القماش ويقصد بها هنا الكفن • راكان : هو راكان بن حثلين من فرسان البادية العظام •

(٤) ما فزعت : لم تنجد • وطا : وطأ • هاذيك : تلك •

ومن هنا جاء اعتزازهم بانفسهم ونسبهم وفخرهم باصولهم •

حنـا كمـا صافي الذهبْ وابيض مْنَ الْخامِ الجديد

ثم ان ابتعاد البدوي عن المدن وتفرده في البوادي الموحشة جعله يكرم الضيف ويحمي الضعيف والجار الى حد تصل فيه هذه الاشياء الى مستوى العقيدة •

يا صارْ ما نِعطي الضيفْ ما كلْ لِنَا كارْ
نُقْعدْ مَعْ زيناتْ الذْوايِبْ بْحنّهْ(١)
تَرى الخَوِى وَالْضيفْ وَالْثالثِ الجارْ
مِثلِ الْصلاهْ ما بينْ فرضٍ وسنّةْ

وهـم يعتزون ويفخرون بانهـم يحمون الجـار ويجيرون من يستجير بهم •

وْرْفاقتْهْ واللي حِذانا لهـمْ جَـارْ
وْحِنّا عَلْيهمْ نْحَمِي الْجارْ وِنْجيرْ(٢)

وهذه الصفة اعني اكرام الجار وحماية المستجير ليست صفة عامة عند البشر في نظرهم والا لما عدت مفخرة وانما هي صفة يتصفون بها لوحدهم لذا جاء افتخارهم بها واعتزازهم بالقيام بها •

وَاحِـدْ على جـارْهْ بْخُتْرِي وْنَوارْ
وْاحـدْ على جـارْهْ صْفَاتٍ محيفَهْ(٣)

---

(١) ما ظل لنا : لم يبق لنا • كار : عمل • الحنه : الحناء وهو خضاب يستعملونه في صباغة الشعر •

(٢) رفاقته : رفاقه • اللى حذانا : الذين يحاذونا • حنا : نحن •

(٣) بخترى : نبات من نباتات البادية • صفات محيفة : ارض قفراء لا نبات فيها ولا ماء •

والرجل الذي ينزل فيهم يحمونه ويدفعون عنه الاذى ويكرمونه ويعزونه حتى وان لم يكن من اصل معروف أو نسب رفيع .

خَوِّينا وْلُو هُوْ مِنَ الْجد بِصْلِيْبْ
مِجْـــودِ منّـــا بْراســـَ الســـنامِ[1]

والـكرم هذه الصفة التي ما ذكر العرب الا وذكرت معهم ما زالت كما كانت ملازمة لقبائلنا البدوية الحاضرة يدلون بها ويعتزون حتى ان البدوي يحتال على جلب الاضياف احتيالا ليقوم لهم بواجب الضيافة والكرم .

لي ضَاقْ صدري قِمت أصوِّتِ لِنْوْرَهْ
هـاتي حَطَبْ وِارْميهْ للجـارْ والضيفْ

ثم انهذه الحياة القاسية التي يحياها فيهذه المهامة التي تطحنه بقساوتها خلقت عنده جلدا وصبرا على تحمل الصعاب وعوادي الزمن .

أشربِ هْماجَ المَا وْلُو كانْ مَطْرُوْق
وأصبِرْ عَلَى صَقْعاتْ بقعا وَالْاكوان[2]

الا انه رغم صبره على المـكاره وتحمله المشاق والصعاب نراه يأنف حياة الذل مع النعيم ويفضل عليها حياة مجدبة طاحنة تؤمن له حريته .

فَارْبَا بْنَفْسَكْ عَنْ دَارِ تْذِلّْ بْهَا
لَوِ انْ حصباءهـــا درٍ وْمرجـــان

فالذل لا يمكن ان يقيم عليه انسان في راسه شيء من الانفه والكرامة

---

(١) خوينا : رفيقنا او صديقنا او الذي يحتمى بنا . صليب : قبيلـــة محتقرة عند البدو . مجـــود ومتجـود منا براس الســـنام : يتبؤ الصـــداره .

(٢) هماج الماء : الماء المالح الغير نقي . صقعات : ضربات . بقعا : الحياة . الاكوان : المعارك والقتال .

الحيفْ ما يِصْبِرْ عَلَى ٱلحيفْ رجّالْ
ان كان في راسْهْ زَعَانِفْ صِطَارَهْ[١]

نعم ان البدوي ذو انفه وكبرياء تمنعه من الرضوخ للطغاه •

من دورْ سالمْ والشريفْ ما حنّا للجاسي ليان[٢]

والبدوي لا يرضى لنفسه ان يعيش على الهامش بل هو في الصدارة ولا يوجد بنظره من هو افضل منه لذا نراه يأنف ان يمس بشيء يرى فيه انتقاصا له أو امتهانا لكرامته ـ لذا تجده سريع الغضب والاقدام على المكاره اذا تخيل ان قد مس شرفه نتيجة كلمة قيلت أو فعلة مهما كانت تافهة والنفس اذا احست بما يضيرها انفعلت وتهيأ لها طريق الانتقام ومن هنا كان من السهولة تحريكهم الى الحرب بقليل من الكلمات •

والحربُ أمر طبيعي بالنسبة للبدو لكثرة ما خاضوا غمارها واصطلوا بنارها وهي عندهم امر لابد منه في حياة البادية التي يتحكم بها القوي وينفرد بمياهها ومراعيها فلابد لهم من الحرب حتى يزحزحوا ذلك المسيطر لينتزعوا منه المياه والمراعي •

أشربْ بِهِمْ صافي المياهْ الشَهَالِيلْ
وَانْزِلْ بِهِمْ غَصْباً على كلِ عايل[٣]

وعليه فقد كانت حياتهم حياة غزو وغاره وضرب وطعن والغزو أمر مشروع لديهم يفخرون به ولا يرون به نقيصةً كما يراه الآخرون فهو تابع للأخذ بالثأر واخذ الثأر امر عرفوا به من القدم ومن العار على البدوي ان

(١) رجال : بتشديد الجيم أي رجل • زعانف صطاره : بقية من انفه وحميه •
(٢) الجاسي : القاسي • ليان : لينون •
(٣) الشهاليل : العذبة • غصبا : رغما وقسرا • عايل : البادىء بالشر

لا يأخذ بثأره •• والغزو من ناحية أخرى يعتبر موردا من موارد رزقهم وهناك حالات أخرى تدعو للغزو كعداء مفاجىء وتجاوز وقتي أو على الكلأ والمرعى والمياه أو لمجرد ارضاء البدوي حبيبته واظهار شجاعته وفروسيته •• ومن هنا كانت الحرب هي الامر السائد والسلم امرا طارئا •• أي انهم يكونون في حالة حرب على الدوام والبدوي يعتز ويفخر بالغزو كما اسلفنا واستعدادهم للغزو من أجمل الايام في نظر البدوي •

يا ما حَلَى وَقْتَ ٱلضَحَى طَقْ شوباش
وقَامَتْ تنَازَا بالمناعير جَلْعُود
وَأنَا عَلى مِثْلِ ٱلندَاوى الى حاش
تنْزَعْ كَما ينزعْ من الكف بارود
ومَنْ لا يروى شَدِرَةَ السيفْ لا عاش
وَاصبح عليه موردِ ٱلجيب مَقْدُود(١)

بل انها ــ اعني أيام الحرب ــ في عرفهم أيام حبيبة على قلوبهم كأيام الاعياد تجلب السرور والفرح لهم •

العيدْ عيدٍ للبنات   حِنّا الحرَايبْ عيدنا
لاَطْعَنْ وادمي حرْبَتي   لِعيونْ من يريدنا

وحالة الحرب هذه التي نذروا لها أرواحهم وأصبحت لهم أمرا طبيعيا ومهنة ، لم تترك لهم مجالا لعمل آخر يقومون به •

---

(١) يا ماحى : ياما أحلى • تنازا : تجول وتجمع • المناعير : الشجعان جلعود : الخيل الاصيلة • الى حاش : اذا انطلق لقصده وهي مقاربه لمعنى حاش باللهجة المصرية • تنزع : تنطلق بسرعة والنزع قوة الدفع •

لذا نراهم كما كانوا في جاهليتهم يحتقرون الصناعة والحرف الاخرى ويعتبرونها مهناً حقيرة لا يتخذها الا من ليس بعربي أصيل ، نهم أهل حرب وطعن خلقوا للبطولة والشجاعة .. والكر والفر وتربية الابل والخيل والتجارة .

يا عبيد جد أمك يفحج على الكير
أصله صليبي يدق الصباره[1]
شاطرْ بصُنْعُهْ لَلْحذا والمسامير
ودقْنُهْ خلاصْ الكيرْ كُلّه بشراره[2]

وكانوا الى سنوات قليلة يحتقرون الزراعة ويعتبرونها أمرا معيبا الا انهم أخذوا في السنوات الاخيرة يزرعون القمح في بواديهم معتمدين على المطر في ريها وما زالت أمراً ثانويا بالنسبة لهم لم يحترفوها كلية وعلى ذلك فما زالوا حتى الآن يحتقرون أهل الريف ويسمونهم « فلاليح » ومن أقوالهم « الذل بالحرث والمهانة بالبقر » .

يَا الدَسِمْ ما رَبْعِي لَرَبْعَكْ فِلالِيْح
رَبْعي مْجَزّين العدو بالفعايل[3]
رَبْعِي فْلاحَتْتُهم عَلَى الفطّر الفيح
ومركوبهم قُبّ الِمهَارِ الاصايل[4]

---

(١) يفحج : يجلس مباعدا ما بين رجليه . يدق الصباره : يصنع الحديد .
(٢) شاطر : ماهر . الحذا والحذوه : نعل الفرس ويكون من الحديد .
(٣) ربعي : رفاقي ، اصحابي . فلاليح : فلاحون . الفعايل : الافعال
(٤) فلاحتهم : زراعتهم . الفطر الفيح : النوق والجمال القوية الآصيلة المهار : جمع مهره وهي الفرس الفتية .

وحصادهم رُوسَ العِيال المفاليح

.......................[1]

وهم أعني أهل الريف لا مفخرة لديهم في نظر البدو فيكفيهم عارا وذلة زراعتهم واقتناؤهم الشياه والماعز والبقر هذه المهن التي تمنعهم عن الايغال في البيداء ومناجزة الاعداء فيكفيهم هذا لينتفى عنهم كل ما يجعلهم محترمين .

يَخَيّهْ وَشْ نبِي نْقول
اهَلْ دِبْشِي وْعَجّور
واهلْ كَرْدٍ واهَلْ ثور
.... الخ

وكذا الحال بالنسبة للحضر سكان المدن فهم محتقرون لانهم فقدوا كل صفة من صفات البادية فلا شجاعة ولا اباء ولا محافظة على انساب ... ثم ان سكناهم للبيوت الحجرية عودهم على الترف والراحة . واتكالهم على الدولة لتحميهم عار ما بعده عار فأي شيء يجعلهم محترمين .. وأهم نقيصه يلصقها البدوي بالحضري غلقه لبابه في وجه الضيوف التي تعنى انتفاء صفة الكرم والمروءة .

يا موصيَ الْحرمهْ على صَكّةِ الْبيت
تْقُولْ مَا هُوْ فيه لُوْ هُوْ ورَاها

ومعيشة الصحراء هذه تصون حياتهم واخلاقهم من الدنس والبدوي بطبعه يمقت الزنا ويأنف منه كل الانفه فمن العار عليه ان يتصل بامرأة هي متاع كل واحد وفضالة كل شارب وقديما قال قائلهم :

---

(١) العيال : الفتيان . المفاليح : الاخيار ، الشجعان مفردها مفلح وفالح وهي عكس طالح .

اذا وقـــع الذبـــاب عـــلى انـــاء
رفعـــت يـــدي ونفســـي تشـــتهيه
وتجتنـــب الاســـود ورود مـــــاء
اذا كـــان الـكــلاب ولغـــن فيـــه

وما اشبه هذا القول يقول الشاعر البدوي :

خِرّي وَانَـا راكانْ زَمْـلَ الْوِنيـه
مـا يِقبَلَ الْفَضْلاَتْ كُوْدَ آلهداني

والفتـاة عندهم من الصعوبة اغواؤها • واحترام الرابطة الزوجيـة والاحتفاظ بالشرف والكرامة من غرائزهم وسجاياهم المخالطة لدمائهم والذي يتجرأ على انتهاك الحرمات ويخالف ما الفوه من عفه وطهر ـ يكون الموت نهايته الحتمية •

والمرأة في القبيلة لها من الحرية ما للرجل ولها مكانتها الرفيعة والمرأة لا تحتجب ولا يرى البدوي في سماحه لابنته بالاشتراك في الرقص والغناء والافراح مع بنات القبيلة وفتياتها أي غضاضة أو نقيصة • والغزل البريء الذي لا يتعدى حدود الكلام أمر مباح ومسموح به وهناك الكثير من الشعر الغزلي الصادر عن فتيات عاشقات قلنه في احبابهن دون ان يثير عليهن غضب آبائهن •

ومن تعلقهم ببداوتهم واعتزازهم بنقائهم أصبح عيبا قبيحا عندهم ان يتزوج احدهم بحضرية أو يزوج ابنته لحضري والمرأة البدوية تكاد تكون أشد تعلقا ببداوتها من الرجال فاذا طلبت احداهن لرجل من الحضر فهي تقول « صكاك باب ما اريدنه » أي انه يغلق الباب دونه اذا نام وهذا دليل الجبن والخوف أو يغلقه دون الاضياف وهذا منتهى البخل الذي يتنافى ومفهوم الكرم عندهم •

ولهذا نرى البدوي لا يفكر ان يتزوج بحضريه •

كُل يدَور رَغبتُه في زواجه
والبدو ما للحضر يوم يبغون

والرجل عليه ان يبحث عن حليلته بين البدو لانهم ما زالوا على نقائهم وصفاء انسابهم •

عَرّبْ وليدكِ عَرِّبُه والنار مِنْ مِجْبَاسِهَا
والعز بِوُرُوكِ ألنِسَا يَلّي بِعيدٍ سَاسِهَا

والبدوية كذلك تفضل البدوي مهما كان على غيره لنفس الأسباب •

ومن البدو جلف يربي نعاجه
ولا بسماقي مِنْ الورِس مَدْهُون

وما اشبه هذا بقول ميسون بنت جندل امرأة معاوية بن ابي سفيان

وخرق من بني عمي نحيف
احب الي من علج عنيف

وعيشة البادية على ما فيها من شظف العيش وخشونته حبيبة الى قلوب اهلها الذين يحنون اليها دائما ولو نقلوا الى خفض العيش وحياة الترف •

حلَفْت لو اعطى الحسا مَعْ خَرَاجَه
على بيبان الخضر مَا يصكُون
عندي أحب مِنْ القرع مَعْ دِجَاجَه
هيم مِجَاهيم بالاقفار يرعون

وَاحَبْ مِنْ لِبْسَ الْعِبِي وَالعِلاَجَه
شَاوِيَّةٍ شَقْرا بْهَا الشوكْ مدفون

ومن الحلو عدِ كثيرٍ ... هْمَاجَة
اَكْرَعِ برَاسي فيه مِنْ غير ماعون

وِمْنِ الْبَدُو جِلفٍ يرَبِّي نْعَاجَهْ
ولاَ سِمَاقِي مْنَ الْوِرِسْ مَدْهُون

كُلِ يْدَوّر رَغِبْتُهْ في زَوَاجَهْ
وَالْبَدُو مَا لِلْحَضَرْ يُوْمْ .. يبغون

هذه الابيات تصور لنا مدى ارتباطهم ببايتهم واعتزازهم بها وهي تشبه الى حد بعيد قول ميسون بنت جندل امرأة معاوية بن ابي سفيان حيث تقول :

لبيت تخفق الارواح فيه احب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني احب الى من لبس الشفوف
واكل كسيرة في جنب بيتي احب الى من اكل الرغيف
وخرق من بني عمي نحيف احب الى من علج عنيف

★ ★ ★

ومن الطبيعي ان يكون تعلقهم نابعا من حب عميق لحياة البادية بما فيها من صعوبة ومشاق وعدم استقرار يفرضه ارتحالهم الدائم وراء مساقط الغيث . وايام الارتحال هذه من أجمل الايام واحبها . يطرب لها القلب ويفرح فهذا شاعرهم يعبر عن احساس البدوي واستبشاره بهذه الايام .. أيام التشاريق (النجمه) .

وِتْبيشَرَنْ يِبْبَانْ قَلْبِي بالافــراح
عَلَــى عَبـرِيْبْ تِحَطْحَطَوْا بالنزيلي

يا ما حلا المِشراقْ يُوْمَ الْبَرِقْ لاح
وْيُوْمَ الْعَرَبْ تِقَضَتِ مْنَ المكيلي

يا ما حـلا الْمِسْلافْ بِرّياضْ شِيّاح
وْيُوْمَ الْرِكَايِبْ عِنِدْ وَجْهِ الْرحِيلِ

يا ما حلا زَهُوْةَ الْعَشَايِرْ بَالِمْرَاح
وِلْبِينْهِنْ عَالْرِيق يشفى الغليلِ

يا ما حلا رِيْحِةْ عَبِسْهِنْ لي فاح
وْعَشْرَهْ مَعْ عِشْرِيْنْ رحله تِشيلِ

★ ★ ★

البَابُ الثّانِى

الشعر عند البدو

من الصعب جدا على الباحث ان يحدد ـ جازما ـ الفترة الزمنية التي نشـأ فيها هـذا الشعر اذ ليس لدينـا من الادلة ما يكفي لهـذا التحديد والجزم فيه •

فأقدم اشارة وصلتنا عن هذا الشعر هي حديث ابن خلدون عنه في مقدمته وقد اورد في حديثه هذا نماذج لهذا الشعر مما ينسب لبني هلال • يقول ابن خلدون :

فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض ، على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه ، من النسيب والمدح ، والرثاء ، والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن الى فن ، في الـكلام ، وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم[١] •

ثم يقول : فأهـل أمصار المغرب من العرب يسمون هـذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي راوية العرب في أشعارهم ، وأهل الشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي[٢] •

هذه هي الاشارة الوحيدة التي جاءتنا عن هذا الشعر ويرجع تاريخها الى ما يربو على الخمسة قرون مضت • فهل يعني هذا ان هذا الشعر نشأ في هذه الفترة بالذات أم في فترة سابقة عليها ؟ والجواب الطبيعي على هذا التساؤل هو ان الشعر نشأ حتما في فترة سابقة ، اذ ليس من المعقول ان يكون هذا الشعر قد جاء دفعة واحدة وبالشكل الذي ذكره ابن خلدون • اذ لابد ان يكون قد مر بمراحل من التطور حتى استوى في صورته التي لقيه فيها علامتنا • خصوصا وان هذه الصورة مقاربة الى حد بعيد لما هو عليه الشعر البدوي الآن مثال ذلك قول سلطان بن مطفر بن يحيي قالها في سجن الامير

---

(١) مقدمة ابن خلدون • ص ٥١٢ •

(٢) مقدمة ابن خلدون • ص ٥١٣ •

ابي زكريا بن ابي حفص اول ملوك افريقية من الموحدين[1] :

يقول وفي بوح الدجا بعد وهنة ... حرام على اجفان عيني منامها
يا من لقلب حالف الوجد والاسى ... وروح هيامي طال ما في سقامها
حجازية بدوية عربية ... عداوية ولها بعيد مرامها
مولعة بالبدو لا تألف القرى ... سوى عانك الوعسا يؤتي خيامها
غيات ومشتاها بها كل شتوة ... ممحونة بيتها وبيها صحيح غرامها
ومرباها عشب الاراضي من الحيا ... يواتي من الخور الخلايا جسامها
تشوق شوق العين مما تداركت ... عليها من السحب السواري غمامها
وماذا بكت بالما وماذا تناحطت ... عيون غزار المزن عذبا حمامها
كأن عروس البكر لاحت ثيابها ... عليها ومن نور الاقاحي خزامها
فلاة ودهنا واتساع ومنه ... ومرعى سوى ما في مراعي نعامها
ومشروبها من مخض البان شولها ... غنيم ومن لحم الجوازي طعامها
تفانت عن الابواب والموقف الذي ... يشيب الفتى مما يقاسي زحامها
سقى الله ذا الوادي المشجر بالحيا ... وبلا ويحي ما بلى من رمامها
. . . . الخ

ومن ذلك أيضا قولهم في وصف الظعائن[2] :ـ

قطعنا قطوع البيد لا نختشي العدا ... فتوق بحوبات مخوف جنابها
ترى العين فيها قل لشبل عرائف ... وكل مهاة محتظيها ربابها
ترى اهلها غب الصباح ان يفلها ... بكل حلوب الجوف ما سد بابها
لها كل يوم في الارامي قتائل ... ورا الفاجر المزوج عفو رضابها

ومنه لامرأة قتل زوجها فبعثت الى أحلافه تغريهم بطلب ثاره تقول[3] :

---

(١) و (٢) و (٣) كتاب العبر لابن خلدون ج ١ ص ١١٢٩ وما بعدها (طبعة بيروت) .

تقـول فتـاة الحي ام سـلامه	بعـين اراع الله من لا رثى لهـا
تبيت بطول الليل ما تالف الكرى	موجعة كان الشقا في مجالهـا
على ما جرى في دارها وبو عيالها	بلحظة عـين البين غير حالهـا
فقدنا شهاب الدين يا قيس كلـكم	ونمتوا عن أخذ الثار ماذا مقالهـا
أنا قلت اذا ورد الـكتاب يسرني	ويبرد من نـيران قلبي ذبالهـا
أيا حين تسريح الذوائب واللحى	وبيض العذارى ما حميتوا جمالها

وهذا يظهر لنا ان الصورة التي وصل اليها الشعر في عهد ابن خلدون تكاد تكون صورة تامة وناضجة فمن غير المعقول ان يكون هذا الشعر قد نشأ في تلك الفترة وانما نشأ في فترة سابقة لعهد ابن خلدون ونحن وان كنا لا نقدر ان نحدد هذه الفترة بالضبط لوجود ستار كثيف بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الاولى الا أنه من الممكن ان نحدد ذلك على وجه التقريب •

فنحن نعتقد ان لهذه النشأة علاقة وثيقة بشيوع العامية على الالسنة ، ولا نعني بهذا ذيوعها على ألسنة سكان المدن والحواضر وانما نعني ذيوعها على ألسنة البدو • وطبيعي ان ذيوعها على ألسنة البدو جاء في وقت متأخر عن ذيوعها على ألسنة الحضر •

والبدو قد تعرضوا لما تعرض اليه الحضر وان كان تعرضهم أقـل وذلك لطبيعة حياتهم المنعزلة وقلة اختلاطهم بالاجناس الاخرى اذا قيس ذلك بالنسبة للحضر • وكان أكثر البدو تعرضا لذلك من نزل منهم على طرق السابلة ، ويقرب مجامع الاسواق حيث يقول الجاحظ ان اسـوأ اللحن لحن هؤلاء الاعاريب[١] •

ثم يذكر لنا اقدم لحن سمع في البادية وهو قولهم هذه عصاتي ، بدلا

---

(١) البيان والتبيين • ج ١ ص ٦٢ •

من عصاي[1] وهذه الاشارة ترجع الى بداية القرن الثالث الهجري ومن الطبيعي ان هذه الاشارة لا تعني ان البدو قد فقدوا فصاحتهم الا انها تعنى على الاقل تسرب شيء من الضعف الى سلامة ألسنتهم •• فلهجات الاعراب التي كانت النبع القراح الخالد الذي يستقى منه النحاة وعلماء اللغة معارفهم عن العربية الفصحى فقدت أهميتها تلك في أواسط القرن الثالث[2] • وفقدانها لاهميتها لا يعني انها فسدت كليا ، فقد كانت لغة البدو اذ ذاك في مستوى من الخلوص والنصاعة لا تدانيه لغة الزراع ، والحضريين لاسيما اذا كانت ألسنتهم لا تزال محتفظة بمظاهر الاعراب والتصريف القديمة • بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان ، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص الى الاقامة والاستقرار ، وبهذا الى الاتصال الذي لا غنى عنه بالسكان الزراع الذين كانوا يجدونهم أية سلكوا ، فقدت لغتهم من صفائها وخلوصها فقدانا كبيرا[3] •

ويكشف لنا الهمداني عن انعدام الفصاحة عند كثير من قبائل جنوب الجزيرة ونجد والحجاز حوالي نهاية القرن الثالث[4] •

وفي القرن الرابع نرى ابن جني يعقد في كتابه : الخصائص ، بابا مستقلا لاغلاط الاعراب[5] ذهب فيه بالاتفاق مع استاذه أبي علي الفارسي الى أن الاعراب قد يقعون في اللحن لانهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد •

وهذا الذي نراه من جرأة النحاة في تخطيء الاعراب انما يدل على ان البدو قد فقدو في هذه الفترة الكثير من ملكتهم وسليقتهم بحيث جروا

---

(١) البيان والتبيين • ج ٢ ص ٥ •
(٢) العربية ـ يوهان فك • ص ١٥٣ •
(٣) العربية يوهلن فك ص ١٥٤ •
(٤) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني من ص ١٣٤ ـ ١٣٦ •
(٥) ذكره السيوطي في المزهر ـ ج ٢ ص ٢٠٨ ـ ٣١٠ •

على انفسهم طعن النحاة مما دفع أحدهم وهو الشاعر عمار الكلبي على التوجع والشكوى من غرور هؤلاء النحاة فيقول[1] •

ماذا لقينا من المستعربين ومن ... قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافيه بكرا يكون بها ... بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنت وهذا ليس منتصبا ... وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

ويروى ان قائل هذه الابيات استعمل لفظ : مزعوج ، فخطأه هؤلاء لانهم لا يجيزون الا : مزعج وهذا من الاحوال التي استعمل فيها مفعول الثلاثي غلطا بدلا من مفعول الرباعي مثل : مأتور ، ومتعوب بمعنى متعب ، ومفسود بمعنى مفسد ، ومبغوض بمعنى مبغض • وهذه الحالة لها دلالتها على أن التجديدات التي لا يزال يجري استعمالها في اللهجات الحديثة لم تقتصر على المدن ، بل ظهرت كذلك عند البدو من الاعراب[2] •

مما تقدم يتضح لنا أن البدو فقدوا الكثير من نقاء لغتهم خلال القرن الرابع الهجري ، ولم تعد أشعارهم مثالا وشواهد لغوية •• ويبدو ان اللحن والاشتقاق والصيغ المخالفة لقواعد الفصحى استمرت في التسرب والسريان على السنتهم ودخلت اشعارهم بشكل تدريجي منذ القرن الخامس الهجري حتى وصلت الى ما هي عليه في عهد ابن خلدون واستمرت لغتهم في هذا التطور الى ما نراه الآن عند بدونا المعاصرين ••• ودليلنا على هذا التطور هو ان اقدم النماذج التي يذكرها ابن خلدون قريبة من الفصحى بشكل عام وعلاوة على هذه النماذج التي ذكرها ابن خلدون نجد في النماذج التي تروى لقدامى شعراء البدو امثال ابى حمزه العامري وراشد الخلاوي وغيرهم والتي يرجع تاريخها الى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، أقول نجد فيها مقاربة للفصحى بشكل واضح مما لا نحسه بنفس الوضوح

---

(١) ياقوت ــ ارشاد ــ ج ٥ ص ٢٦ •
(٢) العربية ــ يوهان فك • ص ١٦٢ •

في اشعار من جاء بعدهم وفي اشعار المعاصرين • مثال ذلك قول ابى حمزه العـــامري •

تأبى عن الطمـــع الزهيد نفوسنا وفروجنـــا تأبى عن الفحشـــاء
فشهرت رأس الرمح ثم ركـــزته في المهـــرة المقذولة الشـــقراء

وقول راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله فوقهـــا ولا غالب الا له الله غالبـــه

وعلى هذا يمكنا القول بأن هذا الشعر لم ينشأ نشأة مستقلة وأن نشأته لم تكن بدافع من شهوة التجديد وحب التحرر والانطلاق كما هو الحال في الازجال والموشحات وباقي الفنون الاخرى وانما هو في بدايته كان شعرا عربيا فسدت لغته على مر الزمن نتيجة لفساد لغة أهله والشعر كما يقول ابن خلدون : لا يمكن ان يهجر بفقدان لغة واحدة ، وهي لغة مضر الذين كانوا فحوله وفرسان ميدانه ••• وأهل كل لغـة من العرب المستعجمين يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ، ورصف بنائه على مهيع كلامهم[1] •

ونخرج من هذا الى القول بان هذا الشعر انما هو الشعر العربي قد تغيرت لهجته وجاء هذا التغيير نتيجة للتغيير الذي طرأ على لهجة البدو التي بدأت تنعكس على شعرهم بشكل تدريجي منذ القرن الخامس الهجري حتى الآن •••

ويبدو لي أن البدو قد صارعوا هذا الذي أصاب شعرهم مدة من الزمن قبل أن يألفوه ويقرضوه بدليل اننا نلاحظ ان بدو الجزيرة العربية ما زالوا الى الآن يسمونه الشعر النبطي ، ومن الطبيعي ان هذه التسمية لا تعني أن الانباط هم أول من قرضه وانما تدل على فساد لغته ومجانبتها اللغة الفصحى بحيث أصبحت تحاكي لغة النبط ، ولغة النبط المثل في البعد

---

(١) مقدمة ابن خلدون ــ ص ٥١٢ •

عن الفصاحة وعليه فقولهم شعر نبطي انما يريدون به انه جاء في بعده عن الفصاحة كلغة النبط في بعدها عنها ...

وقولهم استنبط فلان أي تشبه بالنبط وهي شتيمه عندهم يتهاجون بها يقول المتنبي في هجاء أبى الفضل وزير كافور .

بها نبطى من أهل السواد   يدرس انساب أهل الفلا

ويقول ذو الرمه في هجاء قبيلة امرىء القيس بن تميم .

ان أمرا القيس هم الانباط   زرق اذا لاقيتهم سناط
ليس لهم في حسب رباط   ولا الى قصد الهدى صراط
فالسب والعار بهم ملتاط

وهذا شاعرنا المعري يأسف لما وصل اليه العرب في زمانه فيقول :

اين امرؤ القيس والعذارى   اذ مال من تحته الغبيط
استنبط العرب في الموامى   بعدك واستعرب النبيط

من كل ما تقدم يبدو لنا أن هذه التسمية جاءت للطعن فيه أيام صراعهم له قبل أن يألفوه .

ولعل سائلا يسأل فيقول :

ما دام هذا الشعر امتدادا للشعر العربي أو هو نفسه ولكنه جاء بلهجة أخرى ، فعلام تغيرت أوزانه اذن ؟ واختلفت عن أوزان الشعر العربي وهذا تساؤل وجيه . نجيب عليه فنقول : صحيح أنه خرج في بعض أنواعه عن هذه الاوزان الا أنه بصورة عامة ما زال على أعاريض الشعر العربي فالحداء يلتزم الرجز والسامري يلتزم الرمل وحتى في الانواع التي خرج فيها عن العروض نجد فيها قصائد كثيرة تلتزم أوزان الشعر العربي وقد ذكرنا أمثلة منها في بحثنا عن أوزان هذا الشعر فاختلاف الاوزان ليس

مطلقا وانما هو محدود ويمكن تفسير ذلك بأن هؤلاء البدو بعد أن الفوا هذا الشعر وتغنوا بـه ظهرت عندهم أوزان جديدة فرضتها طبيعة هـذا الشعر • يضاف الى ذلك أن البدو القدامى كانوا يقولون الشعر سليقه دون أن يعرفوا هذه الاوزان التي وضعها الخليل الذي تم له حصر بحور الشعر التي قال عليها العرب شعرهم في خمسة عشر بحرا ، فليس من المستبعد اذا ان يكون جهلهم هذا سببا في هذا الخروج لانهم والحالة هذه لا يملـكون اصولا يراجعونها وينضمون أشعارهم على هديها وانما اعتمادهم في هـذا متأت في ملـكة عندهم جروا على مهيعها بالطبيعة ، يضاف الى ذلك ان الشعر الجاهلي لم يأت كله على هذه الاوزان التي حددها الخليل اذ اننا نجد فيه خروجا عن هذه الاوزان كما في قصائد المرقش الاكبر ، وعبيد بن الابرص وعمر بن قميئة وامرىء القيس ••• وغيرهم •

فمن ذلك قصيدة عبيد بن الابرص الاسدي[١] •

أقفـــر من أهله ملحـــوب فالقطبيـــــات فالـــذنوب

حتى قيل عنها لـكثرة ما دخلها من الزحاف والقطع كادت ألا تكون شعرا ويظهر أن بعض المتأخرين حاول تقويم شذوذها فتعددت رواياتهـا وكثر الاختلاف فيها • وقيل عن عبيد :ـ شعره مضطرب ذاهب[٢] وهذه القصيدة من بحر نادر غير مألوف لا نراه الا في قصيدة أخرى لامرىء القيس[٣] التي مطلعها :

عينـــاك دمعهـــا ســـجال كـــان شأنيهما اوشال[٤]

وقول امرىء القيس يخاطب شهاب اليربوعي[٥] :

---

(١) المعلقات العشر • ديوان عبيد •
(٢) حسين نصار ، مقدمة ديوان عبيد •
(٣) مقدمة ديوان عبيد طبعة ليال •
(٤) ديوان امرىء القيس ، مقدمة ديوان عبيد •
(٥) ديوان امرىء القيس (طبعة دار المعارف) •

أبلـغ شهابا وابلـغ عاصما ومالـكا هل أتاك الخبر مـال
انا تركنا منكـم قتلى بخـو عـى وسـبياً كالسـعالي
يمشـين حـول رحالنـا معترفـات بجـوع وهـزال

وقول شهاب اليربوعي في الرد على امرىء القيس :

لم تسـبنا يا امـرأ القيس حتى استفأناك من أهل ومال
ذاك وكم سـوداء كنـدية تستقبل القوم بوجه كالجعال
قايظننـا ياكلـن فينـا قـدا ومحـروت الخمـال
ايـام صبحنـاكم ملمـومة كانمـا نطقت في حـزم آل
من كل قباء تعـدو الوكرى اذ ونت الخيل بالقوم الثقـال

ومثل ذلك في الاضطراب قصيدة المرقش الاكبر(١) .

هل بالديار ان تجيب صمم لو كان رسم ناطقـا كلم

وهناك أمثلة كثيرة نكتفي بهذا الذي ذكرناه .

ويفسر بروكلمان ذلك بقوله :

ويبدو أن هذه الظواهر آثار قليلة لمرحلة من النمو لم نقف على كنهها بعد(٢) .

ولقد التفت الدكتور شوقي ضيف الى ذلك بعد أن تعرض الى أكثر هذه القصائد الخارجة عن أوزان الخليل حيث يقول : واضطراب هـذه القصائد في أوزانها مما يدل على صحتها وان أيدي الرواة لم تعبث بها . ثم يقول ومعروف أن الزحافات تكثر في الشعر الجاهلي ، بل في الشعر العربي بعامته(٣) .

---

(١) المفضليات ص ٢٣٧ .
(٢) تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ج ١ ص ٥٤ .
(٣) العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ـ ص ١٨٥ .

ويقول الدكتور شوقي ضيف أيضا :

أن نفس هؤلاء الشعراء الذين رويت عنهم تلك القصائد المضطربة في وزنها روى عنهم قصائد كثيرة مستقيمة في وزنها وقوافيها ، مما يدل على ان ذلك كان يأتي شذوذا وفي الندرة[1] .

الا أننا نقول ان هذه القصائد وان كانت قليلة بالنسبة لمجموع قصائد أصحابها فهي على كل حال تشكل ظاهرة تلفت النظر ، ثم ان هذا الذي جاءنا من الشعر الجاهلي لا يمثل كل هذا الشعر فلابد أن يكون هنـاك الـكثير منه قد فقد ولم يصل الينا ومن المحتمل أن يكون بين هذا المفقود ماتنطبق عليه هذه الظاهرة أعني خروجه على الوزن يضاف الى ذلك هذه الزحافات الـكثيرة في الـكثير من الشعر القديم ، كل هذا يعني بالنسبة لنا أن هذا الشعر لم يكن قد استقر بعد على الاوزان التي استخلصها الخليل ويعني أيضا ان هذه الظاهرة قد استمرت في شعر البدو اذ ليس لدينا ما ينفي ذلك لانهم لم يكونوا قد عرفوا علم العروض على حين اننا نرى ان شعراء الحضر انتفى ذلك عندهم لانهم كانوا على علم بعلم العروض فكانوا يسيرون على هديه في نظمهم .

نلخص من كل هذا الى القول ان خروج الشعر البدوي على الاوزان العروضية ليس وقفا عليه وانما هي ظاهرة قديمة وجدت في الشعر الجاهلي ، وكانت تمثل مرحلة من مراحل نمو الشعر العربي وقد استمرت عند البدو الى وقتنا الحاضر .

وعلى هذا فان خروج هذا الشعر لا ينفي كونه امتدادا للشعر العربي وبهذا نكون قد أجبنا على التساؤل الذي ذكرناه سالفا .

وننتقل الآن الى الحديث عن نقطة أخرى مهمة تتعلق بهذا الشعر

---

(١) العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ص ١٨٥ .

وهي هل أن هذا الشعر يعتبر من الادب الشعبي أم لا ؟ ..

وللاجابة على هذا التساؤل لابد لنا من تحديد المراد بالادب الشعبي لنتمكن على ضوء هذا التحديد من الاجابة بشكل واضح لا لبس فيه .

ان الخلاف بين النقاد ودارسي الادب ما زال قائما حول تحديد المراد بالادب الشعبي فقد ذهب بعضهم الى ان الادب الشعبي لاية أمة هو أدب عاميتها التقليدي ، الشفاهي ، مجهول المؤلف ، المتوارث جيلا عن جيل وأصحاب هذا الرأي هم نقاد الادب الذين تأثروا بآراء الفلكلوريين من أمثال بول سبيو[1] .

ومنهم من ذهب الى أن الادب الشعبي هو أدب العامية سواء أكان شفاهيا أم مكتوبا أم مطبوعا ، وسواء أكان مجهول المؤلف أم معروفه ، متوارثا عن السلف السابق أم انشأه معاصرون معلومون لنا[2] .

ومنهم من يذهب الى أن الادب الشعبي هو ذلك الادب المعبر عن ذاتية الشعب المستهدف تقدمه الحضاري ، الراسم لمصالحه يستوى في ذلك أدب الفصحى وأدب العامية ، وأدب الرواية الشفاهية وأدب المطبعة والأثر المجهول المؤلف والأثر المعروف المؤلف[3] .

فلو جئنا الآن الى هذا الشعر البدوي ننظر فيه على ضوء هذه الآراء لوجدنا أنه يخرج من حساب أصحاب الرأيين الاول والاخير ، فاركان الرأي الاخير لا تنطبق عليه لانه لا يعبر عن ذاتية جماعية وانما عن ذاتية قائلة .

أما أركان الرأي الثاني فتنطبق عليه الا أننا نرفض ذلك لاننا لا نذهب مذهب هؤلاء في أن كل ما جاء باللهجات التي تسمى عامية فهو أدب شعبي وكل ما جاء باللهجة الفصحى فهو غير شعبي لان الفيصل عندنا في واقع

---

(١) و (٢) و (٣) الادب الشعبي ـ أحمد رشدي صالح ـ ص ٩ .

الأمر ، انما يلتمس في الوظيفة التي يقوم بها الادب • ونحن في هذا نتفق وما ذهب اليه استاذنا الدكتور عبدالحميد يونس حيث يقول : وما أكثر المرويات المأثورة من الادب الفصيح التي كانت تقوم بوظيفة جمعية ، قبليه أو شعبيه أو قومية ••• وهي لا يمكن أن تكون الا أدبا شعبيا ، وما أكثر المدون باللغة العامية أنشـــأه أدباء رأوا ان تؤثر عنهم الاجادة في جميع الاغراض والفنون الادبية ، أو تسامروا ، وتماجنوا ، وتحامقوا باللهجـة العامية ، لـكي يشيع عنهم ذلك في جميع الطبقات •• هذا المأثور الذي تغلب عليه الذاتية الفردية لا يمكن بحال أن يكون أدبا شعبيا ••• ومن هنـــا صح عنـــد الدارسين المحدثين ، ان الادب الشعبي ، يقوم بشرطين أساسين ••• أولهما أن يكون الاصل فيه رواية شفوية ، وثانيهما •• ان يعبر عن شخصية جماعية لا فردية •• وهذان الشرطان يجعلان من الصعب ان تنسب آثار الادب الشعبي الى قائل بعينه •• ولو وجد ، لـكان ذلك على سبيل الشهرة أو الانتحال ، كالخلاف الذي لا يزال يشتجر حـول « هوميروس » وحول مؤلف « اغنية رولان »[1] •

وهذا التحديد الذي ذهب اليه استاذنا لمفهوم الادب الشعبي هو الرأي الذي نؤمن به ونعتقده •

ولو أردنا أن نطبق أركان هذا التحديد على ما بين أيدينا من الشعر البدوي لرأيناه في معظمه ، يخرج عن نطاق هذا التحديد ، وبالتالي عن كونه أدبا شعبيا فهـذا الشعر معروف القائل ، ومن أصـحابه من لا يزال يعيش في بوادينا • ثم ان هذا الشعر ــ وهو الاهم ــ يعبر في معظمه عن شخصية الفرد ووجدانه لا وجدان الجماعة وشخصيتها ••• أقول هذا على الرغم من أن الشرط الاول متوفر فيه وهو الرواية الشفوية •

---

(١) ص ٥ من محاضرة الادب الشعبي للدكتور عبدالحميد يونس ــ من مطبوعات الجامعة •

وليلاحظ ، بأني قلت : ان هذا الشعر في معظمه يخرج عن نطاق الادب الشعبي ولم أقل جميعه ، لان فيه ما يمكن أن يعد أدبا شعبيا ، كأغاني المناسبات وبعض الاهازيج التي يرددونها في مواقف معينة •

وعلى هذا فاننا نرفض رأي من اعتبره أدبا شعبيا كالاستاذ عبدالله بن خميس الذي تأثر على ما يبدو بالرأي الذي ساد في أكثر الاوساط من أن أساس التفريق هو اللهجة التي يتوصل بها في التعبير الادبي •

البَابُ الثّالِثُ

أنواع الشعر البدوي

الشعر البدوي شعر مغنى ، فهو يقرأ عادة منغوما بمصاحبة الرباب على الاكثر ، ومصحوبا بآلات أخرى كالطبول أو التصفيق بالايدي في حالات أخرى ، كل ذلك بانغام مختلفة تختلف باختلاف نوع الشعر .

والشاعر البدوي في الاعم الاكثر يغنى شعره غناء وهذه الظاهرة ليست حديثة اذ انها على ما يبدو قديمة جدا تحدرت الى بدو زماننا من اسلافهم بدو الجاهلية لان التطور الوزني للشعر لابد ان يصاحبه تنبه موسيقي قائم على أصول سليمة ...

فلا مراء في ان هذا الشعر كان يقترن في وقت ما عند الشاعر بالغناء وما دامت أوزان الشعر التي هي نتيجة تطور الغناء قديمة فان هذا العهد قديم هو الآخر[١] .

ونحن في تتبعنا لهذا الموضوع نجد الكثير من الروايات المبثوثه في كتب التراث تبرز لنا تلازم الشعر والغناء عند الشاعر من ذلك ما يذكره صاحب الاغاني في حديثه عن المهلهل من انه شرب خمرا مرة وهو اسير عند عمرو بن مالك البكري وشرب معه جماعة من بكر يقول صاحب الاغاني : فلما أخذ منه الشراب تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب[٢] .

ويذكر فارمر ان علقمه بن عبدة الفحل كان يغنى شعره وقد استنتج

---

(١) تاريخ الشعر العربي ص ٨٩ ـ البهبيتي .
(٢) الاغاني ج ٥ ص ـ ١٨٠ .

ذلك من عبارة للفارابي وردت في مخطوطه بليدن[١] .

وما ذكره جرجي زيدان في حديثه عن الاعشى بقوله : فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ولذلك سمى صناجة العرب[٢] .

ويبدو لنا ان حسان بن ثابت كان يغنى شعره أيضا نستنتج ذلك من قولـــه :

تغــن بالشــــعر اما انت قائلـــه
ان الغنـــاء لهذا الشعر مضمــار

وعن قرة بن خالد بن عبدالله بن يحيى قال : قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدي اسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك فأسمعه كلمه له ، قال لـــه وانك لقائلها ؟ قال نعم ... قـــال لطالما غنيت بهـــا خلف جمال الخطاب[٣] .

من كل ما تقدم يظهر لنا بجلاء تلازم الشعر والغناء هذا التلازم الذي يؤكده ابن خلدون حيث يقول في حديثه عن الادب ـ وكان الغناء في الصدر الاول من الاسلام من أجزاء هذا الفن ـ « ويقصد الادب »[٤] .

فالشعر عامة كان مغنى ولــكن هل يعنى ذلك بالضرورة ان يكون الشاعر مغنيا . يقـــول فارمر لا ريب في ان الشاعر في الاعم الاغلب كان موسيقيا مثله شاعرا[٥] .

ويقول بروكلمان من المحتمل جدا ان القصائد الجاهلية كان يقصد

---

(١) Farmer. A History of Arabian Music. P. 1.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ . ص ٥٦ .

(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٩٠ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٦٤٧ .

(٥) Farmer. A History of Arabian Music. P. 9.

بها الى ان تغنى مقترنة بمصاحبة موسيقية بسيطة[1] .

هذه النصوص يضاف اليها هذا التداخل اللغوي بين الغناء والالقاء في قولهم انشد وغنى وتغنى وغيرها من الفاظ الالقاء الشعري وقول عمر بن الخطاب للنابغة الجعدى اسمعني شيئا من غنائك ولم يقل من شعرك تدل على ان الشاعر كان يغنى شعره أو ان ذلك هو الاعم الاكثر وانه بالتالي امر متعارف عليه . حتى ان كلمة غنى وحدا أصبحت تعنى قول الشعر وترادفها .

يقولون : تغني فلان بفلان أو فلانة او حدا بفلان أو فلانه .
اذا صنع في احدهما شعرا ...[2]

قال ذو الرمة :

احب المكان القفر من اجل انني
به اتغنى باسمها غير معجم

وقال المرار الاسدي :

ولو اني حدوت به ارفأنت نعامته وابصر ما يقول

أقول رغم كل هذا لا يمكننا ان نجزم بان الشاعر كان مغنيا والذي نعتقده هو ان الشاعر الذي كان يانس في نفسه مقدرة على الغناء كان يغنى شعره أو شيئا منه .

نخلص من كل هذا الى القول بان التلازم بين الشعر البدوي والغناء ما هو الا امتداد للتلازم الآنف الذكر بين شعر الجاهلية وبين الغناء وكذلك الحال بالنسبة لما قررناه عن مدى الترابط بين الشاعر وكونه مغنيا وان كنا

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ . ص ٤٠٣ .
(٢) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ص ٣٦٩ .

نلاحظ ان جميع شعراء البدو المعاصرين ممن يتكسبون بشعرهم يغنونه غناء في حين ان الشعراء من الامراء والفرسان وذوي الجاه لا يغنون شعرهم الا فيما ندر وانما يتركونه للآخرين يغنونه •

وهذا الترابط الوثيق بين الغناء والشعر البدوي اوقع الاستاذ عبدالله بن خميس في خطأ اذ اعتبر أقسام هذا الشعر البدوي أدوارا غنائية حيث يقول •• ولا اراك تشك في ان هذا الشعر الذي ولج كل مولج وذهب كل مذهب وغنى به الملوك والسادة والقادة كما غنى به سواد الناس ودهماؤهم ـ وبالجملة حل محل الشعر الفصيح أيام ازدهاره وانتشاره ما اراك تشك في ان له أدوارا وأنغاما وأصواتا مختلفة العرض ومتباينة التلحين والمقاطع والاهزاج ••• »[1]

ثم يأتي على ذكر هذه الادوار

الا اننا نختلف مع الاستاذ فيما ذهب اليه صحيح ان هنالك اختلافا في النغم وتباينا في التلحين ولكن ليس هذا هو كل الاختلاف وانما هناك اختلاف في الموضوع والاوزان أيضا ، فكل نوع يتطرق الى مواضيع معينة واداؤه محصور بأوزان معينة أيضا ، فالتقسيم يأتي بالدرجة الاولى في الاختلاف في الموضوعات والاوزان ومن ثم بالالحان والانغام لا كما ذهب الاستاذ حيث اعتبر النغم هو الاساس في هذا التقسيم •

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه هو ان البدوي أي بدوي يعرف نوع الشعر بمجرد ان تقرأه عليه قراءة عادية بدون انشاد فيقول هذا قصيد أو سامري أو هجيني أو حداء ••• فلو كان النغم هو الاساس لما تمكن هذا البدوي من معرفة هذه الانواع الا بتأديتها منغومة مغناة •

ثم اننا نلاحظ عندهم أيضا أنغاما أخرى تغنى في مناسبات مختلفة فهناك « الطواح » أو (التطويح) الذي يغنى عادة عند العودة من الغزو

---

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٣٠٢ •

وهم منتصرون • وهناك أغاني الافراح منها التي ترافق رقصة « الدحة » ومنها « الصحجة » وأغاني « المصنع » وغير ذلك من الانغام ومع هـــذا لا نجدهم يعدونها من أنواع الشعر فلو كان النغم هو الاساس لوجب عدها ضمن الانواع الاخرى المتعارف عليها عندهم ولقالوا ـ علاوة على القصيد والهجيني والسامري ـ المصنع ، والدحه ، و و ••• الخ •

وهذا لا يعني اننا ننكر ما للنغم من أثر في الاوزان • بل على العكس فالاوزان في البدء كانت تطورا للغناء ••• ثم استقرت على ما هي عليه الآن •

نخلص من كل هذا الى القول بان للشعر البدوي أنواعا تختلف عن بعضها ولــكل نوع من هذه الانواع مواضيع معينة وأوزان معينة ومن ثم أنغام معينة ينشد بها •

وفيما يلي نورد هذه الانواع •

النوع الاول

القصــيد

ويراد به عنــد الاطلاق جميع الشعر البدوي وكلمة قصيد عندهم مرادفة لــكلمة شعر وقد اشتقوا كلمة قاصود واستعملوها مرادفة لــكلمة شـــاعر •

وكلمة قصيد يقصدون بها عند التخصيص نوعا معينـا يختلف عن أقسام الشعر الاخرى بمواضيعه وأنغامه وأوزانه وهناك أسماء أخرى غير كلمة قصيد يطلقونها على هذا النوع وهي محصورة الاستعمال في نجد فقط لانني لم أسمع بها عند بدو سورية والعراق والاردن ، انما يذكرها الاستاذ

عبدالله خميس في كتابه الادب الشعبي في جزيرة العرب فهو يذكر اسمين هما : « المسحوب والديواني » وهذه التسمية لها علاقة وثيقة بالمكان الذي ينشد به وبطبيعة انشاده فتسمية الديواني مأخوذة من الديوان نسبة الى ديوان « ايوان » الامير أو الشيخ لان هذا النوع ينشد في العادة في مجلس الامير واما تسميته بالمسحوب فيبدو انها مأخوذة من طبيعة الانشاد لان منشده في مده لحروفه وانينه عند بعض مقاطعه كأنه يسحبه سحبا .[1]

وهذا النوع من الشعر البدوي له المكانة الاولى والصدارة عند البدو ومن ثم تأتي الانواع الاخرى في الاهمية .

أوزانه :

يمتاز القصيد بأوزانه الطويلة النفس وان كان من الصعوبة بمكان تحديد هذه الاوزان ووضع تفاعيل ثابتة لها بحيث يستطيع المتتبع لهذا النوع من الشعر عن طريق معرفة هذه التفاعيل ان يلم بأوزان الشعر البدوي .

وقد اورد الاستاذ عبدالله بن خميس ما يقارب العشرين وزنا لشاعر واحد استخلصها من مجموعته الشعرية حيث يقول : فوصلت الى ما يقارب العشرين وزنا ولما اقارب من نهاية الديوان فكيف بجميع الديوان ثم كيف بجميع شعراء البدو قديمهم وحديثهم ... »[2]

وعلى هذا الاساس فلا يمكننا ان نحدد أوزانا بعينها يختص بها هذا النوع من الشعر البدوي لعدم وجود أوزان محددة ولكثرة ما يبتدع الشعراء من أوزان جديدة وعلى الرغم من وجود بعض الاوزان المعروفة في العروض العربي كالطويل والكامل والوافر وغير ذلك من البحور

---

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ـ ٣٠٣ .
(٢) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٦٠ .

ضمن أوزانه[1] •

وكل الذي نقدر ان نقوله هو امتيازه ببحور وأوزان طويلة النفس ويبدو لي ان للموضوعات التي يطرقها علاقة باختيار هذه الاوزان كما وان للبداوة أثرا في ذلك • فهذه الظاهرة أعني غلبة البحور الطويلة النفس قد لاحظها بروكلمان حيث يقول : وتغلب البحور الطويلة النفس عند قدامى شعراء الحماسة[2] •

وموضوع الحماسة على اختلاف فروعها من فخر واستنفار وحربيات ووصف للمعارك والملاحم واضحة كل الوضوح في هذا النوع من الشعر البدوي •

وأما اثر البداوة فيمكننا استنتاجه استنتاجا اذ ان شعراء الجاهلية على الرغم من انهم نظموا على جميع الاوزان الا ان « البحر الطويل يأتي بالمرتبة الاولى ثم الكامل والوافر والبسيط »[3] وقد وضع « فرايتاج » احصاء بذلك[4] اما البحور القصيرة والخفيفة فقد راج استعمالها وكثر بعد حياة الاستقرار والترف التي عاشها العرب •

فقد ذهب « كرنكو » الى ان اقصر العروض ظهر في الحجاز في ازمنة متأخرة ورد عليه بروكلمن بقوله « ولكن لا يؤيد زعمه ـ اي كرنكو ـ

---

(١) ما جاء على البحر الطويل :

عفا رسمسلمىواصبح النزلمنزاح ... ولعبت بدارس رسمها هوجالارباح

وعلى الكامل :

تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا ... وفروجنا تأبى عن الفحشاء

وعلى الوافر :

أرى سلمى تطاولني غناها ... تعاتبني وتجهر في عتبابى

(٢) تاريخ الادب العربي ص ٥٣ ـ بروكلمان •

(٣) تاريخ الادب العربي ص ٥٣ ـ بروكلمان •

(٤) فن النظم ـ فرايتاج •

ما استعمله عمر بن ابي ربيعة من العروض[1] وسواء أصح ذلك أم لا فاننا نتجرأ على القول بان للترف الذي اصاب العرب في حياتهم بعد الاستقرار اثرا واضحا في ميلهم الى اختيار الاوزان القصيرة وتفننهم في ابتداعها حتى برزت في العهود المتأخرة الموشحات قمة في هذا النوع من الاوزان . والموشح المشهور ••• ما للموله ••• من سكره لا يفيق ••• ياله سكران . من غير خمر ••• الخ الذي يذكره ابن خلدون خير دليل على ذلك[2] . فمجالس الشراب والغناء كانت تتطلب رقة وعذوبة تناسب وحياتهم المترفة الجديدة التي الفوها فسلست الالفاظ وعذبت وجاءت الاوزان قصيرة راقصة تتناسب وما يتطلبه الغناء والموسيقى ، كما وان بعض الشعراء عرف بصداقته لبعض المغنين فكانت هذه الصحبة تدعو الشاعر الى ان يضع شعره في اوزان تجرى مع اللحن[3] .

هذا في الوقت الذي كان فيه الشاعر البدوي يحيا حياة خشنة قاسية في صحرائه فمجالسه كانت مجالس فخر وحماسة وانسه طعن وحرب لذا جاءت الفاظه خشنة واحتاج الى البحور الطويلة كي تساعده على ترك الأثر القوي في نفوس سامعيه مما لا يتأتى للبحور القصيرة ان تفعله .

وكلنا يعلم انه في الوقت الذي كان فيه جرير والفرزدق والاخطل يرغون بشعرهم البدوي الجزل كان ابن ربيعه والعرجى تنضح اشعارهما رقة وعذوبة .

وليس الشاعر البدوى اليوم بأفضل من سابقه البدوى سواء في الجاهلية ام في الاسلام .

---

(١) هامش الصفحة ٥٣ من تاريخ الادب العربي « بروكلمن » .
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ـ ٥٨٥ .
(٣) تاريخ الشعر العربي ص ١٤٥ .

مواضـــيعه :

يمتـاز القصيد بمواضـيعه التي يطرقهـا •• فالمدائح والمـراثي ، والحربيات والمفاخر والحماسيات بانواعهـا ومراسلات الامراء والنقائض والمعارضات تدخل ضمن نطاق هذا النوع لذا وجدناه يستحوذ على اكثـر الشعر البدوي ومن هنا على ما اعتقد جاءت تسميته بالقصيد •

نماذج منـه :

نورد فيما يلي بعض النماذج التي توضح لنا بعضا من مواضيعه التي يطرقها هذا النوع من شعر البدو •

أ ـ نموذج :*

رسالة تتحمل معنى التهديد من ابن الرشيد الى ابن سعود[1]

يا نِـديمي عـلى مَنْ شَـامِخٍ نَابُـهْ

نَازْحَ اْلَدارْ مِرْواحُهْ يقَرِبْهَا[2]

قُلْ لْعَبْدَ اْلعَزِيْز يعَلْمْ اْصحَابُهْ

الحَرَايِبْ تَرانَـهْ ما نِمِلْ بْهَا[3]

(*) كل حرف « ق » ورد في هذه القصيدة يلفظ كالجيم المصرية أو كحرف (G) بالانكليزية •

(١) أكثر الرواة الذين رددوا هذه القصيدة اجمعوا على انها لابن الرشيد ما عدا الشيخ حواس الصديد رئيس قبيلة الصائح من شمر فقد نسبها لاحد آل سعود ممن كانوا مع ابن الرشيد •

(٢) شامخ الناب ـ أي الجمل ، مرواحة : وقت رواحه مساء •

(٣) الحرايب : الحروب • ترانه : ترانا ، تجدنا • ما نمل بها ـ لا نمل منها •

انْ مِشِينَا بِجَمْعٍ تِقِلْ سُورَابَهْ
مِزنَةٍ الْهَلّت آلما من سحايِبْهَا[1]

ولا نِقَلْنَا سْيُوفَ الْهِنِدْ نَصّابَهْ
اترك اللي نِقَلْهَا وْمَا يْخَضِّبْهَا[2]

وْقُلْ لُهْ وَالله النومْ مَاْ يتِهَنَّابَهْ
طول مِحْنَا عَلى الْدنيا نْدُوْجٍ بْهَا[3]

نموذج آخر :

من قصيدة لعبدالعزيز بن عبيد في مدح احد مشايخ شمر من آل الجربا :

يا الزِيْر يَا الْزَحّارْ يَا الْنِمِرْ يَا الذِيْب
يَاالِلِيْث يَاالْلايُوثْ يا الشِبِلْ يا الْدَاب[4]

نَطّاحْ طَابُوْر الْعَسَاكِرْ الَى هِيْبْ
بَالِسْيفْ لِرْقَابِ الْمَنَاعِيرْ قَصَّاب[5]

(١) تقل : تقول ـ الهلت : التي هلت • الما : الماء • سحايب : سحاب •

(٢) نصابه : نصابون والمراد هنا التظاهر دون الفعل • نقلنا : حملنا •

(٣) ما يتهنا به : لن يهنأ به • محنا : ما نحن •

(٤) الزير ، الزحار ، والليث واللايوث والشبل كلها من أسماء الاسد عندهم • الداب : الافعى •

(٥) نطاح صيغة مبالغة في نطح فهو ناطح ونطاح أي مبارز ، طابور : كوكبه • المناعير : الشجعان •

عيبُهْ إلى مَنْ قَالَوا النَاسْ بُـهْ عيـب
لِلْسَمِنْ فُوقْ مِفْطَحْ الحيْلْ صَبَّابْ[1]

نموذج آخر :

من قصيدة لمشعان بن هذال يفخر بها بقومه :

حِنّا شَبْاةَ الْحَرْب وإنْ شَبَّتْ الْنَـارْ
وتْفَازَعَتْ بين الْجُمُوعِ الْمشَاهِيرْ[2]
وْحِنّاهَلَ الْجَمْعِ الْمُسَمَّى الَى سَارْ
مِرْكَاضْنَا يِشْبَعْ بُهْ السَبعْ والْطيْرْ[3]
وْرفَاقَتُـهْ وَالّلى حِـذَانَا لُهُمْ جَارْ
وْحِنّا عَلَيهُمْ نِحْمِي الْجَارْ وْنِجِيرْ[4]

طريقة أداء هذا النوع :

يقرأ هذا النوع من الشعر في مجالس الامراء او الشيوخ حيث يطيب لهم عرض المفاخر والقصص عن غزواتهم وايامهم مع القبائل الاخرى وما قيل في فرسانهم وابطالهم .

والشاعر عادة يختار احد طريقتين في ادائه لهذا الشعر .

---

(١) الى من : اذا ما . مفطح : عجز ، الحيل الغنم وتأتى الابل والتي لم تحمل سنه أو سنتين . صبّاب صيغة مبالغة من صب .

(٢) حنا : نحن . شباة الحرب : حدها . تفازعت : نظرت . المشاهير : الكبار المشهورة .

(٣) الجمع المسمى : الجمع المشهور ، مركاضنا أرض المعركة ومركض خيلنا .

(٤) رفاقته : رفاقه وجماعته . اللّي حذانا : الذي حولنا أو بجانبنا أو المحاذين لنا .

الاولى : هي ان يغنيه غناء بمصاحبة الرباب فيمد صوته عاليا ليسمع جميع من في المجلس ويحاول ان يكون صوته عذب الجرس مؤثرا ذيانغام مشجية تفعل فعلها في النفوس والقلوب فتجد الحاضرين جميعا في صمت مطبق متجهين بحواسهم جميعا الى المنشد • وهذا الانشاد يؤدي بنغمين الاول وهو النغم العادي والثاني ويسمونه « هلالي » نسبه الى بني هلال •

والثانية : هي ان يعرضه على طريقة القراءة العادية بدون مصاحبة الرباب وبدون غناء وانما يقرأه ببطىء مع تجسيد لمعاني الالفاظ وتضخيمها ويحاول المنشد جاهدا ان يظهر شعره بمظهر القوة والسمو •

النوع الثاني

الحداء

والحداء معروف في البادية منذ ان كانت البادية وكانت للعرب قبائل تجوب هذه الصحارى والقفار وراء الكلأ ومساقط المياه •• وطلبا للحرب والغزو والطعان •

والحداء يأتي على شكل مقطوعات قصيرة تتألف في الغالب من بيتين وتلتزم كل قطعة قافية • وتتغير هذه القافية بتغير المقاطع وهذا ما كان عليه سابقا في الجاهلية فالشاعر كان يقول البيتين والثلاثة او نحو ذلك من الرجز[1] وكانوا يطلقون عليه اسم المقطعات يذكر صاحب الاغاني عن اجتماع بعض الشعراء وكان بينهم ابو النجم والفرزدق عند عبدالملك بن مروان فقال لهم من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق فله هذه الجارية

---

(١) بلوغ الارب ص ٧ •

فقاموا على ذلك ثم قالوا ان ابا النجم يغلبنا بمقطعاته ـ يعنون الرجز[1] وعن رؤبه وأبيه قولهم ••• لقينا جرير فقال يا بني ام العجاج والله لو وضعت كلكلي عليكما ما اغنت عنكما مقطعاتكما[2] •

والحداء في العادة يرتجل ارتجالا اثناء المعارك والعودة منها او الذهاب اليها ومما يساعدهم على ارتجاله وزنه السهل المستحب وهو الرجز ويبدو ان الرجز كان في الجاهلية يلبي حاجة الارتجال[3] ومجيء هذا النوع اعني الرجز على شكل مقطوعات قصيرة وقوله ارتجالا في مواقف معينة دفعهم الى التفريق بينه وبين الشعر • كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى المغيره وهو على الكوفة ان استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام فارسل الى الاغلب الراجز العجلى فقال له انشدني فقال[4] •

أرجزا تريد ام قصيدا   لقد طلبت هينا موجودا

وقيل ليونس : من اشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤبه • فقيل له ولم ؟ لم نعن الرجاز • فقال : هم اشعر من اهل القصيد[5]

بل ان بعض علماء العروض ينكرون عد الرجز من الشعر وهذا ما هو عليه بدو زماننا لان كل واحد منهم يقول هذا النوع وانما الشاعر عندهم هو الذي يقول جميع الانواع •

أوزانه :

يمتاز هذا النوع من الشعر البدوي بانه يلتزم وزناً معينا واحدا وهو

(١) الاغاني ج ١٥٣/٩ •
(٢) الاغاني ج ١٨ ص ٢٩١ •
(٣) تاريخ الادب العربي ج ١ ص ٥١ ـ بركلمان •
(٤) الاغاني ج ١٤ ـ ص ٢١٩ •
(٥) الاغاني ج ١٨ ـ ٢٩١ •

الرجز المعروف • واستعمال الرجز في الحداء قديم جدا • قال ابن حبيب[1] كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخر وما جرى هذا المجرى •

بل ان كلمة رجز وحداء كانتا مترادفتين اذ انهم يطلقون على الحداء اسم الرجز فهما اسمان لمسمى واحد •

يذكر صاحب الاغاني في رواية عن داود المكي قوله عن اجتماعهم في حلقه ابن جريج وكان عنده عبدالله بن المبارك وعدة من العراقيين ومر بهم ابن تيزن المغنى ثم يروى كيف غنى لهم تحت الحاح بن جريج اصواتا غادرهم بعدها ابن تيزن الى ان يقول : فالتفت ابن جريج الى اصحابه فقال : لعلكم انكرتم ما فعلت ؟ فقالوا انا لننكره عندنا في العراق • قال فما تقولون في الرجز ؟ ـ يعني الحداء ـ قالوا لا باس به عندنا قال فما الفرق بينه وبين الغناء[2] •

مما تقدم يظهر لنا بجلاء قدم هذا الاقتران بين الرجز والحداء وقد تحدر الى بدو زماننا مع ما تحدر اليهم من اسلافهم وان كانوا حاليا قد ابقوا على كلمة حداء واهملوا كلمة رجز •

وهم باستعمالهم لهذا البحر يميلون الى استعمال المجزؤ في الاكثر وان كانوا يستعملون في احوال اخرى هذا البحر كاملا •

والخلاصة انهم يستعملون هذا البحر بجميع اقسامه الا انهم كما قلنا سالفا يستعملون المجزوء اكثر مما يستعملون الاقسام الاخرى لانه يساعدهم على ما اعتقد على الارتجال بسهولة وبالسرعة التي يفرضها الموقف •

---

(١) الاغاني ج ١٨ ـ ٣٨٢ •
(٢) الاغاني ج ١ ص ٤٠٨ •

مواضيعه :

هذا النوع من الشعر يقال في العادة على ظهور الخيل وهي في طريقها الى الحرب وخوض المعارك لذا جاءت مواضيعه قاصرة على الفخر والحماسة وما يتطلبه الكر والفر من استنفار وتحفيز للهمم واثارتها والتشجيع على خوض المعارك وارخاص الارواح في سوق المنايا •

وهذه هي مواضيعه قديما قبل ان يصنع منه رؤبه والعجاج المطولات وينحوا به مناحي بحور الشعر الاخرى ويطرقا به اغراضها • يذكر الالوسي في كتابه بلوغ الارب نقلا عن ابي عبيده ان الشاعر كان يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا فاخر او حارب او شاتم[١] •

فمواضيعه اذا مرتبطة ارتباطا كليا بظروفه التي يقال فيها وهي ظروف المعركة وما تتطلبه من حماس وبذل وفخر وتشجيع وذلك واضح كل الوضوح في كتب التاريخ التي تبحث في حروب ومغازى وايام العرب اذ اننا نلاحظ استعمالهم لهذا النوع بكثرة على لسان الفرسان ابان المعركة وبعدها ففي معركة احد كانت هند بنت عتبه زوجة ابي سفيان تشجع قومها بقولها :

ويها بني عبد الدار   ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار[٢]

وقولها :

ان تقبلوا نعانق   ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق   فراق غير وامق

وهناك امثلة كثيرة غير ما ذكرنا مما يؤيد ما ذهبنا اليه في تحديدنا لمواضيعه والظروف التي يقال فيها ومن كونه يقال ارتجالا •

---

(١) بلوغ الارب ص ٩٠ •
(٢) الاغاني ج ١٤ ـ ص ٣٣ •

نماذج منـه :

١ ـ

يا ربنـا مَا مِنْ صِـديْق   جَمْعِيْن واْلثَالِثْ بَحَرْ
والله لفوجِ لْهَا اْلطِـريْق   لِعيُون بَرّاقَ اْلنَحَر[1]

٢ ـ

بِنْت اْلشَرَابي صَيَّحَتْ   شَقّتْ جِدْيد ثْيَابِهَـا
وَاْلدَقَّةِ اْلصَارَتْ عَلِيْه   تِسْوىاْلجزيْرةوْمَابِهَا[2]

٣ ـ

مِنْ دورْ سَالِمْ والشِريْف   ما حِنَا لِلْجَاسِـي لِيَانْ
حِنّا كمـا غَشَّ اْلعِرَاقْ   نِلْحَقْعَلى طول اْلزمَان[3]

طريقة أداء هذا النوع :

هذا النوع يقرأ عادة على ظهور الخيل وهي في طريقها الى الغـزو او في عودتهم منتصرين لذا جاء على انغام متعددة تنسجم والحالة التي هـم فيها • والحداء عادة لا ينشد بمصاحبة الرباب على عكس الانواع الاخرى •

فالحالة الاولى :

وهي الحالة الطبيعية في ذهابهم الى المعركة يقرأ بنغم بسيط ويقطـع

(١) يقول يا ربنا لا صديق معنا ، نحن محصورون بجمعين وخلفنا البحر فلا طريق لنا ولـكن سافتح لفرسي الطريق كما يفوج السابح في النهر كل ذلك من أجل حبيبتي ذات النحر البراق •

(٢) صيحت : صاحت • الدقـة : المصيبه أو النازلة • تسوى : تعادل ــ واثمن •

(٣) حنا : نحن • والجاسي : القاسي الظالم • ليان : لينون خانعون غش العراق : نوع من الحشرات •

تقطيعا يشبه تقطيع العروض • وهذه الطريقـــة في الغناء قديمـــة وكانوا يسمونها الركبانية •• قال ابو جعفر اذا قال احدهم الشعر بالركبانية اكفأ والركبانية ان يتغنى به ويقطع كما يقطع العروض[١] وما زال عرب العراق يطلقون على الحداء اسم الركبانية وهو نغم مشهور عنـــدهم يردده حتى سكان المدن •

الثانيــــة :

عند الاشتباك في المعركة وتكون نغمته سريعة تتداخل كلماته فلا تفهم الا بصعوبة ويسمى في هذه الحالة الحوراب اي الحربي •

الثالثـــة :

عند العودة من المعركة منتصرين ويكون نغمـه ممطوطا متكســرا ينسجم مع حركة التمايل التي يقومون بها على ظهو رالخيـــل بتحـريك اجسامهم الى اليمين والى الشمال ويسمونه في هذه الحالـــة التطـويح او الطـــواح •

النوع الثالث

الســامري

وهذا الاسم مشتق من السمر والسامر لان هـــذا النوع في الغــالب لا يقرأ الا ليلا حيث يجتمع القوم للسمر ويعتبر هذا النوع من اغنى انواع الشعر الاخرى بانغامه وممن اشتهر به لكثرة ما ادخل عليـــه من تفنن وابتكار لالحانه الشاعر ابن لعبون اذ يعتبر المجلى فيه « من حيث ابتكار

(١) شرح النقائض ١ : ٥٦ •

الادوار المرقصة وجودة الغزل ورقتـــه وسلاسته ويأتي بعد ابن لعبون ابن فـرج[1] .

الا ان هذا التفنن والتنويع النغمي يكاد يكون محصورا في الجزيـرة العربية وفي نجد على الاخص لان اكثر القبائل قد استقرت في المدن ونالت شيئا من المدنيه والتحضر وأصبح هـذا النوع من الطـاغي على الجزيرة والخليج العربي وهو نفسه الذي تقدمه الاذاعات على انه اغاني الخليـــج وجنوب الجزيرة .

هذا في الوقت الذي حافظت القبائل الاخرى التي ما زالت تجـــوب الصحراء على انغام معينة واوزان معينة لهـــذا النوع كما هو ملاحـــظ في بادية الشام وبوادي العراق والاردن .

أوزانـــــه :

يلتزم هذا النوع من الشعر وزنا واحدا هو الرمل واقسامه وهــذا هو الثابت بالنسبة لكل ما جمعته من نماذج لهذا النوع ، على اني لاحظت بعض التغيير في هذا الوزن في بعض النماذج النجدية التي ذكرها الاستاذ عبدالله بن خميس في كتابه « الادب الشعبي في جزيرة العرب» وذلـــك راجع على ما اعتقد للتطور الذي اصاب هـــذا النوع في نجـــد والخليج فكثرت انغامه مما دفعهم بالاخير الى ايجاد بعض الاوزان التي تتناسب مـــع هذه الانغام الجديدة الا ان الغالب هو بحر الرمل وحتى الاوزان الاخرى يمكن ارجاعها الى الرمل باضافة سبب أو نحوه مثال ذلك .

سَقى صَوْبُ الْحَيا مُزْنٍ تَهامى عَلى قبرٍ بِتَلعات الحجاز
ابو زرْقٍ علـى خَـدهْ عَلاما تحلاها كما نقش بغـــازي
.... الخ

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٣٢٢ .

فهذه القطعة تلتزم « الوافر » بتسكين « لام » « مَفاعَلْتن » فتصبح « مَفاعَلْتُنْ » ويكون الوزن هكذا .

مَفاعَلْتُنْ مَفاعَلْتن فعُولُنْ ....

فاذا اضفنا في اول الصدر سببا وفي اول العجز سببا اخراً أصبح البحر رملا ، كأن نقول :

(هل) سقى صوب الحيا مزن تهامي ....

(يا) ابو زرق على خـــده علاما (قد) تحلاها كمـــا نقش بغازي

فاعلاتن فاعـــلاتن فاعــــلاتن ....

مواضـــيعه :

قلنـا انه مشــتق من الســمر لانه يقــال في الليــالي حيث يجتمـع السمار في حلقات لذا كان هذا النوع قاصرا على المواضيع التي تنســـجم وهذه المناسبات ، وهل هناك غير حديث القلب وما يستحوذ على قلــوب الجميع في سمرهم لذا كان الغزل والنسيب والشكوى من الهجر والجوى والحنين والشوق الى الاحباب مواضيع هذا النوع من الشعر الغالبه عليه بل تكاد تكو نالمواضيع الوحيدة التي يطرقها .

نماذج منــه :

النموذج الاول :

يا عُيُونَ الخشْفِ يا رْكُبْـةَ الْغزَال

جِيزَةِ الْفَايِنْ عَلَيْكِ مِنَ الفِشِيلَهْ(١)

---

(١) الخشف : ابن الغزال . حيزة الفاين : زواجك من الرديء ، الفشيلة : الفشل ، والمراد ان زواجك هذا غير مشرف وهو فاشل .

مَا سعى بِالْمَرْجَلَهْ وَيَّه الْعِيَال
وْلاَ رِكى قِدَّامْهُمْ رَاسَ الْطُوْيلَةْ[1]
شَافَتِ الْخِلْفَاتْ مَعْ دَكِ الْمِثَالى
وِارْتَخَتْ مَعْ خَايِبٍ يِسْحَبْ شِلْيله[2]
كَمْ سُدْوحٍ جَوزْهْ كُثْرَ الْحَلَال
وِرْثِةِ الْجَدِيْنْ جَابَتْ لُهْ حِلِيْلَه[3]

نموذج آخر :

من قصيدة لمحمد العبدالله القاضي :

• • • • • • • • • • • • • • • • • • •

• • • • • • • • • • • • • • • • • • •

وِاخْبِرْوهِ انْ سِأَلْكُم يَا الِحْبَاب
عَنِ احْوَالي قُولُوا الْمَشْغُوفْ صِيْب

(١) المرجلة : اعمال الرجال من الشجاعة والفروسية • العيال : القوم الفتيان • رقى : ارتقى • راس الطويلة : قمة الجبل ، والمراد الامور الصعبة •

(٢) شافت : رأت • الخلفات : الخلف ، او ما يخلفه الانسان بعد موته دك المثالى وتلفظ (دج) المثالي •

خايب : خائب • الشليلة : طرف الثوب • والمراد انها رأت ما يغريها من مال دون النظر الى صاحبه فتزوجت وارخت قيادها لرجل خائب لا عمل له الا ان يجر ثوبه خلفه كناية عن جبنه وبقائه في الحي دون ان يغزو أو يقوم بعمل جرىء •

(٣) السدوح : الرجل الذي لا عمل له ، الخامل • جوزه : زوجه • ورثه الجدين : ميراثه في اجداده •

قولوا انُّـهْ مَا ذِهـْب ذِهنُـهْ ذِهَـاب
(احمدْ) وِيْـلاهْ مِنْ فُرْقـى الْحَبِيْبْ

اَلْتـَجي لَكْ وَاشْتـَكي يابُو شِهـابْ
كيفْ هَدْبَ الْعِيْن عَنْ لُونُهْ يشيبْ[1]

مِنْ هَوَى طِفْلٍ تِعَطَّفْ لِيْ وصَابْ
مُهْجَتي عَنْ عِلتّي عَمْسَ الطِبِيْبْ[2]

مَا حَدَا لِدْوايْ يا مِشْكايْ جَاب
هُوْ طِبِيْبَ الرُوْح وَيْه مِن طِبِيْبْ[3]

كلما وَنّيتْ ذهْلَ الْقَلْبْ ذَابْ
يا مَلاَ مَلّيْت مِنْ عَذْلِ الْقِرِيْبْ[4]

نموذج آخر :

من قصيدة لمحسن الهزاني :

• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •

• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •

---

(١) التجى : التجيء • أبو شهاب : كنيه لاحمد وكل احمد عندهم فهو أبو شهاب •

(٢) طفل : يقصد صبية حسناء • عمس : احتار •

(٣) ما حدا : لا احد • لداوى : لدوائي • يا مشكاي : يا من اشتكى له • ويه : بمعنى ويلاه وويله •

(٤) ذهل القلب : شفاف القلب أو الشحم الذي يكسوه • يا ملا : يا ملاء أي ايها الناس •

أَشتكي لَكْ مــن هَوَانِجْلِ الْعيُوْن
يوســفياتِ الْمَهَـــا حُمْـــرِ الْشِـــفَاةْ
ســالِبَاتٍ لِلْمَـــلاَ تِلْــعَ الرّقَــاب
خـــرداتٍ بَالِبيُـــوتِ امْخَفَّـــرَات
قَاصرَاتِ الطَّرْفِ عَنْهُـــنَّ الْبِدُور
لُو تبيّنْ جِنِـــحْ لِيْـــلِ كَاشْفَاتْ
عَنْبَـــرِ يَاتِ الرْوَايِـحْ بِالْـكَمَـــال
في جَمَــــالِ قايمـــاتِ قاعْـــدَات
عَــــذّبَنّي بَالْمُمَاطَـــلْ وَالْوُعُـــوْد
كَــــاذْبَاتِ مَاهْـــرَاتِ باطْـــلاَت

طريقة ادائه :

عندما يجتمع القوم في مجالس السمر ويتحلقون حول عازف الرباب حيث يبدأ بالعزف والانشاد بانغـام راقصة عذبه حيث يستخفهم الطرب فيرددون معه أو يرافقونه وهـذه هي الطريقة المعروفة في بوادي الشـام والعراق على حين يذكر عبدالله بن خميس طريقة أخرى لاداء هذا النوع في نجد يقول •

في حالة غنـائه يتقابل فريقان ، جثوا على الركب وينطلق الصوت الاول من احد الفريقين ، بشطر البيت أو بالشطر مرتين أو بالبيت كذلك أو بالشطر واعادة جزء منه ليتلقفه الفريق الثاني على نحو ما بدأ هذا الفرد ثم يتلقفه فريق البادىء وهكذا مرتين أو ثلاثا لينقلهم هذا البادىء الى آخر بتلقينه لفريقه في حالة اداء اولئك للبيت الذي معهم •

والطبول هنا لها المكان الاول • فلابد من ايقاعها على نغمات كل دور ولابد ان يكون في يد كل فريق جزء منها ، وقد تأخذهم نشوة الطرب فينحنون الى الارض في ميلان واهتزاز[1] •

أقول هذه الطريقة غير معروفة في بوادي الشام والعراق ولا يقومون بها اذ ان القبائل البدوية المنتشرة في هذه البوادي لا تستعمل الطبل مطلقا وانما الرباب فقط •

النوع الرابع

الهجيني

تسميته مأخوذة من الهجن ومفردها هجان أي الابل لانه ينشد في العادة على ظهور الابل ومن الجدير بالذكر ان الابل تتأثر به تأثرا محسوسا فتصيبها نشوة واضحة قد تستغربها من حيوان اعجم • وقد روى لي كثير ممن صادفتهم من البدو عن الاثر الذي يصيب الابل عند سماعها انشادهم لهذا النوع وهم على ظهورها •••

يقولون انه عندما يأخذ التعب مأخذه من الركب وتبدأ الابل بالتفرق عن بعضها كل يسير على هواه فيرفع احدهم صوته منشدا ويجاوبه الآخر ويردد آخرون وهنا تلاحظ الابل المتفرقة هنا وهناك تتجه صوب مصدر الصوت وتندفع في سيرها شاء راكبوها أم ابو حتى تتجمع وتلتئم وتتلامس جنوبها وتطس الارض بمشافرها وتلعب باعناقها وتأخذ بالسرعة في مشيها حتى ليشعر راكبها انه على سفينة وليس على ناقة •

---

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب ـ ٣٢٢ •

أوزانـــه :

ليس لهذا النوع من الشعر أوزان محددة معروفة كما هي الحال بالنسبة للحداء والسامري وانما مثله مثل القصيد الذي لاحظنا سابقا عدم وجود أوزان محددة له قائمة على تفعيلات معينة •

وكذلك الحال بالنسبة لهذا النوع اعني « الهجيني » وكل الذي نقدر على قوله هو انه يأتي في الغالب على أوزان أقصر من أوزان القصيد الذي يمتاز بأوزانه الطويلة النفس •

مواضـــيعه :

يتطرق هـذا النوع الى أغراض ومواضيع مختلفة ولا يقتصـر على موضوع واحد معين •• فمنه الغزل والشكوى من صدود الحبيبة ولوعة الحب ••• ومنه الفخر والمباهات ومنه في وصف الابل وجوب الصحراء •• ومنه ما يقال في وصف المعارك وحوادث الغزو والقتال ومنه في المدح وهو في العادة يأتي على شكل مقطوعات ليست بالطويلة كالقصيد ولا هي بالقصيرة جدا وانما تكون في العادة متوسطة الطول •

نماذج منــه :

النموذج الاول :

اَلْقَلْـــبْ وَرَدّْ عَلَـــــى دَبْلـــهْ

مَـــارِ اْلبِـــلاَ انْكَـــانْ تِنْحَانِـي[1]

---

(١) ورد : اتجه ، جاء • دبله : اسم امرأة • مار : لـكن • البلا : البلاء • تنحانى : نحاه ، قصده ، اتجه نحوه •

مَـا هِـي خَفِيفَـةْ وَلاَ خَبْلَـه
يـا لِيتْهَـا عُقْـبْ عَمَّـانِي[1]
مِبْسَـمِ ٱلْتَـرِفْ بُـهْ قَبْلَـهْ
وَانَـا مَـا جِيتْـهْ وَلاَ جَانِي[2]
وِنْهِيدْهَا يُـوْمْ تِقْـرَبْ لَـهْ
لُـوْنِ ٱلْزِبِيْـدِي بْرِيْضَـانِي[3]
يَـا لِيتْنِـي طَـايِرِ جِبْـلَهْ
وَاحُطَّهَـا فُـوقْ جِنْحَـانِي[4]

نموذج آخـر :

يَا رَاكِبِ ٱلْلِّي بِعِيدِ ٱلْخَدِ يِطْوَنَّهْ
بُواطِنْ مِنْ ضَرَايِبْ جِيشِ ابِنْ ثَانِي[5]
وِمْنِ ٱلْثِمِيلَه لْدَارِ ٱلْشُوقْ يِمْسَنَّهْ
لي رَوَّحَنْ بِٱلْوِصَايِفْ جُولْ غِزلانِ[6]

---

(١) خفيفه : هوجاء ، عكس الوقورة • خبله : ثقيلة الظل ، أو مصابه بخبل • عقب : بعد ، خلف ، ضنأ •
(٢) الترف : البنت اللينة الاعطاف الجميلة المترفة • ما جيته ولا جانى : ما جئته ولا جاءني •
(٣) نهيدها : تصغير نهد • تقرب له : تقترب منه • الزبيدي : نوع من الـكمأة • الريضان : جمع روضه •
(٤) جبله : قبله ، ناحيه الجنوب • واحطها : واضعها •
(٥) اللى : بمعنى التي واللواتي • بعيد الخد يطونه : بعيد المدى يقطعنه ويطوينه بسرعة • بواطن : من بطين عمان •
(٦) الثميله : اسم مكان • دار الشوق • دار الحبيبة • لي : اذا • بالوصايف بوصفهن • جول غزلان • سرب الضباء •

تكفون يَا هْــلَ الْنضَا ســجُوا عَيْهِنَّهْ
سِــجُوا وْلِجُــوا وســيرِ الْعُمُرْ فَاني[1]

لاَبُدْ مِنْ خِرْقِةٍ بيضــا عَلَى الْســنَّة
وِالْمُوتْ مِنْ قَبْلِنَا مَــا عَافْ رَاكَانِ[2]

نموذج آخــر :

من قصيدة للشيخ نوري الشعلان شيخ الروله :

رُدُّهْ عَالْمَنَــعْ يَـــا غْبِينــي
قَبْــلَ الْحَنَــاتِيرْ يِطَنَّــك[3]

بِعْتِ الْعَهَــدْ لِيْهْ يَا شِينْنِي
مَــا تِحْسِبِ الايـام يِرْمَنَّكْ[4]

جُــولَكْ عْيَــالَ الْشَــعَالِيني
مَــا صَدَّقُوا يُــومْ شَافَنَّكْ[5]

---

(١) تكفون : دعاء بان يكفيهم الله كل شر • أهــل النضا : اهــل الابل • سجوا عليهن : امضوا عليهن في السير • لجوا : ارفعوا اصواتكم بالحداء والغناء •

(٢) خرقه بيضا : المراد هنا الـكفن • على السنة : على الشريعة • ما عاف راكان : لم يترك راكان بن حثلين الفارس والشاعر المشهور •

(٣) رده : رد الاسلاب • غبينى : المراد ابن غبين زعيــم عشــيرة الفدعان • الحناتير جمع حنطور والمراد هنا السيارات • يطنك : بطأن عليك ، يطأنك •

(٤) بعث العهد : نقضت العهد • ليه : لماذا • الشين : الردىء ، العيب المهلك • تحسب : تظن • يرمنك : ترميك •

(٥) جولك : جاؤوك • عيال الشعالينى : قوم ابن شعلان ، الرولة شافنك : رؤوك •

بْمُــوزَرٍ ضَرْبَهَــا شَــيْنِي
وْبَارْضٍ اْلبِسَاتِيْن يِرْمَنَّك°[1]

إنْــتْ يَــا طَــالْبَ اْلدينــى
بْصَاعٍ اْلوَفَا اْليُــوْم كَالَنَّك°[2]

طريقة ادائــه :

ينشد هذا النوع عادة على ظهور الابل وهي في طريقها الى حيث يقصد راكبوها ••• وطريقة ادائه تكون كما يلي :

يبدأ الشاعر بشطر البيت أو بتكراره أو بالبيت كله فيجاوبه الآخرون ثم يعود الشاعر بتكرار ما بدأ به ويشترك الآخرون معه في هذا التكرار ثم ينتقــل الى الشطر الثاني من البيت أو الى البيت الثــاني فيردده منفردا ثم يجاوبه الآخرون وهكذا حتى نهاية القصيدة ••• كل ذلك بصوت مرتفع شجي ونغم جميل ••• ومن الطبيعي ان لا يكون في هذه الحال بمصاحبة الربابة وانما ينشد بدون مصاحبة أية آلة •

* * *

هذا الذي ذكرناه بالنسبة للانواع التي عددناها للشعر البدوي حول طريقة ادائه هو المتبع عند جميع قبائلنا البدوية المعروفة • ولــكن لا يعنى ذلك ان هذه الانواع لا تؤدي الا بالطريقة المذكورة وانما قد تروى رواية دون غناء مثلها مثل النوع الاول « القصيد » •

والنوع الرابع أعني الهجيني قد ينشد بمصاحبة الرباب ولــكن في

(١) موزر : نوع من البنادق الالمانية • ضربها شين : ضربها مؤذي مهلك •

(٢) الصاع : مكيال • الوفا : الوفاء وتأتي وفاء الدين • كالنك : كالوك من كال يكيل كيلا •

المجالس فقط اما انشاده الطبيعي فهو كما ذكرنا اذ يكون على ظهور الابل وبدون رباب •

ولابد لي قبل ان انتهي من هذا الباب ان اذكر استكمالا للبحث انواعا أخرى غير ما ذكرت مما يردده البدو في أفراحهم وحفلاتهم وان كانوا لا يعتبرون هذه الانواع شعرا ذا قيمة كما انهم لا يعتبرون قائله شاعرا وانما الشاعر عندهم قائل الشعر بجميع أنواعه وخاصة القصيد •

من هذه الانواع ما يردده الراقصون في الرقصة البدوية المشهورة « الدحة » اذ يقف احدهم ويبدأ بالقول مستحثا الحاضرين على الرقص ويطلب من الفتيات النزول الى الحلبة ولا تقبل الفتاة الا اذا اعطاها ثمنها وثمنها أبيات من الشعر يرتجلها في وصفها والتغزل بها عند ذلك تنزل وبيدها السيف حيث تبدأ بالرقص ويبدأ هوبترديد أبياته وهي في العادة تكون رباعيات تلتزم الاشطر الثلاثة الاولى قافية والشطر الرابع قافية ثم ثلاثة أشطر على قافية واحدة والشطر الرابع يعود الى نفس قافية الشطر الرابع من الرباعية الاولى وهكذا مثال ذلك •

يَا امَّ الثِمَانِي العِذَابِ
خُمّي حَيَاةَ الشَبَابِ
قَبُلْ غِشِيتْ التُرَابِ
يِجبُرْ عَلَيْكِي وَعَلَيْ
يَاْ امَّ الثِمَانِي الرهَافِ
لا بِدْ لِكْ مِنْ قَبْرٍ وَافِ
عَنْكِ الضَعَايِنْ مْجَافِي
بَسِّ انتِ بَارْضِ الخلى

وهناك نوع آخر يسمى « الحماشي » وهذا النوع يكون حوارا ما بين اثنين وعادة يكون بين فتى وفتاة ويكون الحديث شعرا بدل الكلام العادي وتكون هذه المحاورات على شكل ثلاثيات يلتزم الشطران الاولان قافية والشطر الثالث قافية وتكون قافية الشطر الاخير أي الثالث هي القافية التي يلتزمها المتساجلان الى نهاية المساجلة مثال ذلك محاورة جرت بين فتى وفتاة اشتهرت بسلاطة لسانها •

هي : يا راعي الذود اقهر ذودك اشوف اليوم تناحيني[١]
هو : شفت نهودك تحت عضودك غدا قلبي قطعيني[٢]
هي : انا جباره بارض قفاره حس الرعيان مجزيني[٣]
هو : انا حرك مذكور لك مدعوج العين بلانيلي[٤]
هي : انا حيه تحت صفيه يقتلك السم ما تجيني[٥]
هو : انا القراى ابن القراى اقهر سمك ما يسيني[٦]

ومما يلفت النظر ان هذا النوع اعني « الحماشي » مشابه تماما للمحاورات الشعرية المبثوثة في ثنايا تفريبة بني هلال مثال ذلك :

هو : يا ماريا بحياتك طلعيلي نهيداتك حتى تطيب السهره
هي : صنصيل ياصنصيل بطل كلام القيل بابو لحيه الشقرة

(١) اقهر : امنع ، ارجع • اشوف : ارى • تناحيني : تتحرش بي •
(٢) شفت : رأيت • قطعيني : قطعا •
(٣) جبارة : الجبارة طائر بري كبير الحجم وهو سريع الحركة •
قفاره : مقفره • حس : صوت • مجزيني : يفزعني ، ويجعلني حذرة •
(٤) الحر : من جوارح الطير وهو الصقر وقوله انا حرك يعنى انا الصقر الذي سيصطادك • مدعوج العين : ادعج العين • بلا نيل : بدون نيل والنيل نوع من الاصباغ •
(٥) الحية : الافعى • صفيه : صخرة •
(٦) انا القراى : انا القارىء صاحب التعاويذ التي تبطل مفعول سمك • يسيني : يسيء لي •

البَابُ الرّابع

خصائص الشعر البدوي

يمتاز الشعر البدوي بمميزات وخصائص يمكن استخلاصها بشيء من التتبع والاستقراء • وقد تمكنت من تسجيل بعض الملاحظات حول هذا الموضوع تتعلق بلغته ومعانيه وبعض خصائصه الاخرى •

١ ـ لغتـــه :ـ

لغة البادية ، هي اللغة التي يقال بها الشعر البدوي ، وأهل البادية لا يجدون في فهمها صعوبة كالتي يجدها من هو بعيد عن البادية وعن مخالطة اهلها فهي سليمة لا غبار عليها بالنسبة لهم لانها اللغة الدارجة على ألسنتهم ووسيلة التفاهم فيما بينهم •

ومن الجدير بالذكر ان لغة الشعر هذه ليست بلغة قبيلة معينة وانما هي لغة خاصة به ، فهي بمثابة لغة فصحى بالنسبة للهجات القبائل المختلفة ينظم بها الشعراء اشعارهم وتكون مفهومة عند جميع القبائل •

فهي والحالة هذه لغة أدبية ـ اذا جازت لنا التسمية ـ كما هي الحال بالنسبة للغة الشعر الجاهلي ، الذي اعتبره الدكتور طه حسين موضوعا في اكثره معتمدا بذلك فيما اعتمد على اختلاف لهجات القبائل العربية مع اتفاق الاشعار التي تروى عنهم ، فلو خالط الدكتور طه حسين القبائل البدوية اليوم ورأى كيف تختلف لهجاتها ثم سمع الاشعار تروى بلسان واحد وكل ينطقها بلهجته الخاصة لغير رأيه هذا • اذ لو طبقنا قوانينه على هذه الاشعار لحكمنا عليها بالوضع • وطبيعي ان هذا امر لا يقبله العقل ولا يرضاه المنطق •

وانا هنا لا اريد ان ارد على الدكتور طه حسين اذ لا علاقة لذلك بموضوعنا وانما اردت ان اقرر حقيقة ثابتة هي ان القبائل البدوية الحاضرة المنتشرة في صحارى الجزيرة العربية وبوادي العراق والشام والاردن تختلف لهجاتها اختلافا واضحا ومع ذلك نسمع الشعر الصادر عن شعرائها

فنجده واحدا ، يروى بلسان واحد ، ويتناقله الرواة ويرددونه في مجالسهم وأسمارهم •

فالشاعر البدوي اليوم لا ينظم شعره بلهجته الخاصة وانما بهذه اللهجة العامة التي دعوناها « لغة الادب أو لغة الشعر » كما هي الحال في لغة الشعر الجاهلي القديم والتي لم تكد تكون لغة جارية في الاستعمال العام • بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وان غذتها جميع اللهجات[1] وهذا هو نفسه الذي لاحظناه في لغة الشعر البدوي المعاصر •

ولغة البادية الآن قد جانبت الكثير من قواعد اللغة العربية فالدارس لهذا النوع من الشعر عليه ان لا يحاول تطبيق قواعد النحو والصرف في قراءته لانه ان فعل فسوف يخرج بشيء بعيد كل البعد عن الشعر من تحطيم للوزن وافساد له •

ولا أرى في هذه المجانبة سببا يكفي لمهاجمته والتجني عليه فهذه المهاجمة وذلك التجني نابعان ـ على ما اعتقد ـ من الافتراض المسبق بان الشعر لا يكون شعرا الا اذا كان بلغة عربية فصحى • وممن عاب على الشعر البدوي مجانبته للفصحى الدكتور منير العجلاني الذي هاجمه بعنف وبشكل لا يرتكز على أي أساس علمي مبني على النقد والتحليل مما يفترض بالباحث العلمي ان يلتزمه في كل ما يكتب[2] ، والاستاذ وصفي زكريا حيث يقول فالشعر عند بدو زماننا ليس فيه على الجملة مزايا ما سلف ولا وضاحة ما مضى وانصرف لانه يقال بلهجة مشوهة بالحوشي والغريب من الكلام طافحة باللحن محرومة من الاعراب بعيدة بعدا كبيرا عن الصورة الناصعة ورقة اللفظ وحلاوة الجرس التي للشعر البدوي القديم •••[3]

---

(١) بروكلمان ـ تاريخ الادب العربي ـ ص ٤٢ •
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ج ٢ المجلد ٢٨ •
(٣) عشائر الشام ـ وصفي زكريا ـ ص ٣٤٧ •

فالاستاذ وصفي زكريا يطلب من الشاعر البدوي ما لا يقدر عليه مما هو فوق طاقته ومداركه وأنا لا أرى ما يراه الاستاذ أو غيره من انتقاص الشعراء البدو أو بخسهم شعرهم لشيوع العامية واللحن فيه ، فما كان شعراء الجاهلية لينطقوا بغير لغتهم الشائعة والمتداولة في أيامهم .

ثم ان الذي يقرر كون هذه اللهجة مشوهة بالحوشي والغريب من الكلام هو مالك ناصيتها والواقف على دقائق معانيها . فلو ان بدويا وصفها بذلك لقبلت منه باعتباره ادرى بها اما ان يصفها حضري بذلك فهذا أمر غير مقبول مطلقا لان عدم فهم لغة لا يعني ان هذه اللغة مليئة بالغريب والحوشي من الكلام . وقد تنبه علماء العربية لذلك اذ يذكر السيوطي نقلا عن الشيخ بهاءالدين السبكي قوله في عروس الافراح :

« ينبغي ان يحمل قوله « والغرابة » على الغرابة بالنسبة الى العرب العرباء لا بالنسبة الى استعمال الناس »[1] .

وما كان ـ ولن يكون ـ من الانصاف ان نطالب ابن هذه الصحراء القاحلة ـ اعني بدوي اليوم ـ بالتعبير عما يجيش في صدره بلغة غير لغته التي تلقاها من امه وابيه وعشيرته واهله ...[2] . فالشاعر البدوي اليوم في قوله للشعر لا يخرج عن لغته التي الفها فليس من الصحيح ان يتساءل الدارس منا عند قراءته للشعر البدوي : لم هذا ؟ أو ليس هذا بصحيح أو غيرها من الاعتراضات التي تجوز لدارس الشعر العربي لا لدارس هذا الشعر .

فالشاعر البدوي كثيرا ما يحاول اخضاع كل شيء من أجل استقامة الوزن والقافية فيحذف من الكلمة ما يشاء ويزيد ما يشاء . والبدوي لا يعنيه من كل هذا الا ان يكون الشعر الذي يسمعه سليم الوزن مؤديا

(١) المزهر ـ ج ١ ص ١٨٧ .
(٢) خيرالدين الزركلي ـ ما رأيت وما سمعت .

للمعنى كما يفهمه ، وان كان يعجب ويهتم باللفظ الغريب ويحتفى بـه ويهزه المعنى المبتكر لذا نرى الشاعر يبتدع الـكثير من الالفاظ الغريبة ليحصل على اعجاب السامعين •

ومجانبة هذه اللغة للفصحى لا تعني انها مجانبة مطلقة اذ اننا نجد فيها الالفاظ والاساليب السليمة أو التي ترجع الى أصل سليم كما واننـا نلاحظ فيها البعض من ظواهر الاعراب ، وكثيرا ما نجد أبياتا شعرية يمكن قراءتها بلغة عربية فصحى فتستقيم لنا لغة ووزنا تماما كما لو قرأناها بلغتها الاصلية • مثال ذلك قول محسن الهذاني :

خليلي قـم لي في دجـا الليـل بعـدما

جفـا النوم عينـي والبرايا هواجـع

وقول راشد الخلاوي :

مقـام الفتي في منصب العـز ساعة

ولا الف عـام يصحب الذل صاحبه

وقول أبي حمزة العامري :

تأبى عـن الطمـع الزهيـد نفوسنا

وفروجنـا تأبـى عـن الفحشـاء

فشهرت رأس الرمـح ثم ركـبزته

في المهـرة المقـذولة الشـقراء

وهناك الـكثير من هذه الامثلة مبثوثة في طيات القصائد البدوية كأبيات وكمقطوعات •

وهذه اللغة رغم وجود بعض ظواهر الاعراب الصحيحة فيها الا انها

على العموم قد فقدت الاعراب • فنلاحظ ميلهم الى تسكين أواخر الكلمات ، وهذه الظاهرة ليست وقفا عليهم وانما هي عامة في لهجاتنا العامية كما وانها ليست حديثة ، اذ ان علامات الاعراب قد تلاشت منذ أجيال سواء على لسان العامة في القرى والمدن أم في شتى أساليب الكلام الجاري على ألسنة الطبقات المثقفة بل وفي لهجات البدو انفسهم[1] •

قلنا انهم يميلون الى التسكين الا انهم ان أرادوا أو احتاجوا الى تحريك أواخر الكلمات فكثيرا ما تكون الحركة خطأ من الوجهة اللغوية •• فهم عندما ينونون أواخر الكلمات يميلون الى التنوين بالكسرة غالبا ان لم نقل دائما مهما كان موقع المنون من الاعراب •

يقول محمد العبدالله القاضي :

بالطيفْ طفلٍ زَارْنِي مِنْه مَشْعُوب
جِنْحَ اْلظَلاَمْ وْفِزْت بِوْصَالَ اَلحْبَاب

ويقول العوني :

ديارٍ لَكُم مِنْ عُقْبْكُمْ طَبَّهَا اْلشيْن
تبكي ارْجَالٍ وْمُكْرِمَاتَ الأَصايِل

ويقول غزالان :

واتو شيوخٍ من جدِيْمِ الزمان
مَارْ انْكِصَمْ مُفْرَاكْهَا وَاْلسَعَدْكَنْ

فـ (طفل) و (ديار) و (شيوخ) لغةً يجب ان يكون محلها الرفع في حين نرى هؤلاء الشعراء جاءوا بها مجرورة •

---

(١) العربية ـ دراسات ـ يوهان فك ـ ص ٢ •

فمن الملاحظ انهم يميلون بشدة الى الكسرة فهي محببة لديهم ينونون بها ويحركون بها بغض النظر عن موقع هذا المحرك من الاعراب • والقوافي على الاكثر تكون مجرورة •• بل انهم يذهبون الى اكثر من ذلك فيجرون الفعل ايضا •• يقول احدهم وهو من قبيلة الروله :

مَدّ اْلمِديْد وْزَاعِ ما صحّ لِيْ وِدَاعِي

ف (زاع) فعل ماضي بمعنى أسرعَ ومع ذلك جاءوا به مجرورا رغم ان علامته الفتح في اللغة • ويقول نمر بن عدوان :

زاير هَلُه يَعْقَابْ في ساعةِ غْياب

هَلْ حِينْ يِلِفي واْلمحَبَّةْ تِزيدِ

ف (تزيد) فعل مضارع مرفوع الا ان الشاعر جاء به مجرورا •

كما واننا نلاحظ عندهم ميلاً شديدا الى تخفيف الهمزة والتخلص منها ولا يأتون بها الا مضطرين •

فكلمة ألأبل ينطقونها هكذا ألْبِلْ •

فهم يظهرون الهمزة الاولى ويحذفون الثانية هذا اذا نطقوا بالكلمة مفردة اما اذا اضافوا اليها كلمة اخرى فالهمزة الاولى تصبح همزة وصل والثانية تحذف كأن يقولوا ••• « راعي آلْبِلْ » و « بين آلنياب » •• الخ•

كما في قول الشاعر محميد العبد الله القاضي :

هَلّيت واسْتَرَيْت بِوصَالْ مَخْبُوب

بِتْنَا نْعِلَ اْلشَهدْ مَا بينَ اَلنْيَابْ

وكقول العليمي[1] :ـ

---

(١) العليمي شاعر عُمان • من قدامى شعراء البدو عاش في القرن العاشر الهجري •

خَوَّاضْ جمعْ اْلعدا في كل هَيْزَعَهْ
خرْسَا يِجَاوِلْ فرسان اْلبَطَال

وقول لآخر[1] :ـ

اَلْبَارِحَهْ يومَ اْلملاَ نايمينا
كِثْرَتْ عَلَي مْنَ اْلتفَاكير اَلَذْكار

واحسرتي مالي صِديجٍ يعينا
الا انت يَلْخلاق علاّم اَلَسْرار

فهم يريدون الأنياب ، الابطال ، الاذكار ، الاسرار .

ويميلون كذلك الى حذفها من أواخر الكلمات كما في سماء ، ماء ، علياء ، مريء ، سوء ... الخ فيقولون : سما ، ما ، عليا ، مري ، سو ... الخ يقول عبدالله بن سبّيل[2] :ـ

علمي بهم باقٍ مْنَ اْلسَبع ثِنتين
قِدْمَ اْلشتَا وَاْلقيضْ زَلِ محسوبَه

يريد الشتاء ، ويقول تركي بن حميد :ـ

كم خيِّرٍ يجلي الصدا عضه البلى
تِضْحكْ له اْلدنيا وْتِخْفي رِطينها

يريد الصدأ ، ويقول القاضي :ـ

(١) وهو أحد أمراء آل سعود والبيت من قصيدة قالها اثناء وفوده على الكويت في عهد الشيخ جابر العبدالله الصباح المعروف بجابر العيش عام ١٢٥٠ هـ .

(٢) من الشعراء المتأخرين توفي عام ١٣٥٧ هـ عن عمر يناهز الثمانين وهو من قبيلة باهله كان أميرا لقرية « نفي » في عالية نجد .

و لا يدرك العليا صحيح ولو صطا
الا اذا أرخص الحال والمال

يريد العلياء ، وقول عامر السمين :

وِنْت بَدْرٍ في سما الافق طالع
لها حمى حَجْبٍ عَنْ دجى السُوْجالي
جزيل العطا ازكى قريش مناسب
وَوْرَثْهُمْ للرُسُلْ وَاْلصَحب والآل

يريد العطاء والسماء والسوء .

أما اذا كانت الكلمة مهموزة الاول فهم يلفظونها كما هي الا اذا سبقتها حرف عطف فتحذف حينئذ . يقول الامام فيصل بن تركي بن عبدالله السعود :

وَنَا أحمد اللي بالعقوبة لهم عاق
وَنْزَلْ لَهُمْ بَاسُهْ سِريْعٍ لَهُم زير

وقول الامام تركي بن عبدالله السعود :

وَنا أحْمِدِ اْلّلي َجابْ لي مَا تِجرّاً
وَذْهَبْ غبَارَ اْلذُلْ عَنيَ وطاري

وقول البديوي :

وِن جِفتكَ اْلدارْ او مَالَ اْلزّمانِ
لا تِعيشِ بْدارْ ذلِ او هوان

يريدون : وأنا ، وأذهب ، وانزل ، وإن

ونراهم في مواطن أخرى يبدلون الهمزة « ياء » وأكثر ما يكون ذلك عندما تقع الهمزة بعد الالف الساكنة وتكون حركة الهمزة الكسر مثال ذلك قول الشاعر :

حِنَّا هَلَ الحرب لي منّاتبينا
وَالحرايب نولّعها ونطفيها

وقول الآخر :

يوم جتنا الركايب قمت اهلّي
قمت اهلّي يوم جتنا الركايب

وقول العوني :

ما عاد بالراضه سداد لملزوم
والعزم به بتع الحوايج والاشكال

وقول محسن الهزاني :

قلايص يامنا حضن بالغنايم
حدب الظهور مذكرات علاقيم

وقوله ايضا :

انا الذي من حر فرقاك فريت
نايح كالبهلول في وسط الاسواق

وقول سعود بن عثمان بن نحيط :

راض بَرد العيش عن طايل العلا
دايم ذليل للمعادي امصانع

والاصل في كل ذلك ان يقال : الحرائب والركائب والحوائج والغنائم ونائح وطائل ودائم .

أما اذا كانت الهمزة ساكنة وما قبلها متحرك قلبت الهمزة الى صوت لين من جنس حركه ما قبلها . فان كانت حركـة ما قبلهـا الفتح قلبت « الفا » مثال ذلك :

قول بن لعبون :

قم لا رعى اللـه بارد الجاش بايد

عمره مضى مـا بين ذل وتنكيد

وقول محمد آل علي العرفج :

يسقين كاس فيـه مثل البردصين

كالجوهر الصـافي على رسم شـاها

وقول الآخر :

لا مشـى بالمرجلـه ويالعيـال

ولا رقـى قدامهـم راس الطويلـه

وقول الشاعر :

رجاية بالعمرلن فـات حـدي

ولا باس ما قالوا عن وضحه بلوصاف

والاصل فيها ان يقال : جأش ، وكأس ، ورأس ، وبأس

أما اذا كانت حركه ما قبلها الكسـر فأنهم يبدلونها « ياء » مثـال ذلك قول العزي :

يَـا الـزير يـَا الزَحـَّار يا النمرْ يـَا اْلذيب
يـَا اْلليثْ يـَا اللا يـُوثْ يـَالسـَبعْ يا الداب

وقول الآخر :

يـَانمـِرْ ويـْنِ الـّلي حـُفرْ بيرْ غـــدّي
من يومْ ابنْ زَقـِطيطْ عـَاْلبـَابْ وقـّاف

وقول العوني :

والى جيتْ سوقْ اْلعصرْ ياتيكْ غـِلـْمـَه
تـِخـْشـعْ بز ْبنـَـاتِ اْلبرِيـْسمْ نعالهـــا

يريدون بذلك ، الذئب والبئر وجئت •

ويقلبونها الى واو اذا كانت حركه ما قبلها الضم مثال ذلك قـــول البديوي :

خـُـذْ نـَصـَايـْح ما حـــواها بو نـــواس
مـِثلْ نـَظـْم الدُرْ واللـولو الاصيـــل

أما اذا كانت الهمزة متحركة وما قبلهـا متحرك فيقلبونها عمـوما الى حرف مد يتناسب والحركة الاقوى فان كانت مفتوحة وما قبلها ضم قلبت الى واو كقولهم لا تواخذني • يريدون لا تؤاخذني •

وكقول البديوي :

خــذ نصـايـــح ما حواهـــا بو نـــواس
• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •

واذا كانت الهمزة مفتوحة وما قبلها مكسور قلبت الى ياء مثال ذلك قول ابن ربيعة :

بيتٍ لهـم ورد الرياسـه بتصـدير

حلـوين علقـم للـذي بـه مـراره

يريد الرئاسه •

أما اذا كانت الهمزة متحركة وقبلها واو ساكنة مسبوقه بضم قلبت الهمزة الى واو وادغمت بالواو الاصلية فتنطق الكلمة حينئذٍ بواو مشدده كما في قول البديوي :

حيثْ هـمْ اهـلَ المـروّه والنسـب

واترُكِ الاسـفالْ مَا مِنْهُمْ حَصيـل

وأما اذا كانت الهمزة متحركة وقبلها ياء ساكنة مسبوقة بكسر قلبت الهمزة الى ياء وادغمت بالياء الاصلية وتنطق الكلمة حينئذٍ بياء مشـدده كما في قول محمد صالح القاضي :

سامِحْ يـنْسَامِحْ لـكْ كثـير الخطيّات

لا تكتـربْ تطمـعْ بقـلبي ثِـباتِ

ونراهم يقلبون همزه أين الى واو وكذلك همزة أنّ ـ من الانين ـ وهمزة أكد وهمزة الارث فيقولون على التوالي : وين : وَنّ ، وكّد ، وِرِث •

يقول ابن الرشيد :

وين الطنـايا وّين شرّابْـةَ الهيـلْ

وّينَ الحيـودِ الّلي تْشيِلِ الثْقـايل

ويقول ابن عنگه :

ونّيـت وَانْـا مـن غفيلـه

وَنّة عجـوزٍ وقّفَتْ بالمتاريس

ويقول العاصي :

يا صگرةٍ ربيتها ، من عگب اخو شاها فساد
بوه الحميدي والدويش واعْضيبْ خال امّهْ وكاد

قوله وكاد أي اكيد .

وقد وردت جميع هذه الحالات تقريبا من تخفيف للهمزة وحذفها وابدالها في لغة العرب ، فتخفيف الهمزة والتخلص منها موجود في اللهجات العربية القديمة فقريش كانت تذهب هذا المذهب حيث ان قواعد رسم المصحف تدل على ان مكة قد تحررت من تحقيق الهمز[1] .

قال ابو زيد : اهل الحجاز وهذيل ومكة والمدينة لا ينبرون : وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم الا بالنبر وهم اصحاب النبر واهل الحجاز اذا اضطروا نبروا . قال وقال ابو عمر الهذلي قد توضيت فلم يهمز وحولها ياء وكذلك ما أشبه ذلك من باب الهمز[2] .

وقد تحدث ابن سيده عما همزه بعض العرب وترك همزه بعضهم[3] وذكر ايضا ما يقال بالهمز مره وبالواو أخرى[4] . ويذكر لنا ابن جني ابدالهم الهمز على غير قياس[5] . وتحدث ابو عبيده عن بعض ما تركت

(١) العربية دراسات ـ يوهان فك ص ٤
(٢) لسان العرب جرا ص ٢٢
(٣) « قالوا : عظاءه وعظايه ، وصلاءه وصلايه ، وعباءه وعبايه ، وسقاءه وسقايه ، وامرأة رثاء ورثايه » . (المخصص جط١٤ ص ١١) .
(٤) نحو اكدت العهد ووكدته ، وارخت الكتاب وورخته وأسن الرجل ووسن : اذا غشي عليه من نتن ريح البئر (المخصص حـ١٤ ص١٢) .
(٥) فأما الابدال على غير قياس فقولهم : قريت ، واخطيت، وتوضيت (الخصائص جـ٣ ص ١٥٢) .

العرب همزه واصله الهمز[1] .

وقد ورد ذلك في اشعارهم أيضا جاء في شواهد الالفية قول الشاعر[2]

بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا
ببطن شريان يعوي حوله الذيب

فهي قد ابدلت الهمزة ياء ونحو ذلك قول ابن هرمه[3] .

ليت السباع لنا كانت مجاوره
واننا لا نرى ممن نرى احدا

ان السباع لتهدا عن فرائسها
والناس ليس بهادٍ شرهم ابدا

وقول عبدالرحمن بن حسان[4] :

وكنت اذل من وتد بقاع
يشجج رأسه بالفهر واجي

يريد واجيء ، كما أراد الاول ليس بهادىء . ومما ورد فيه حذفها اذا كانت متطرفة قول اعشى همدان[5] :

---

(١) « قال : تركت العرب الهمز في اربعة اشياء لكثرة الاستعمال : في الخابية وهي من خبأت والبريه وهي من برأ الله الخلق ، والنبي وهو من النبأ ، والذريه وهي من ذرأ الله الخلق » . المزهر جـ ٢ ص ٢٥٢ وقارن بالخصائص جـ٣ ص ١٥٣ وبالجمهره لابن دريد .

(٢) البيت لجنوب اخت عمرو ذي الكلب ، شرح ابن عقيل جـ١ ص ١٠٤ .

(٣) الخصائص جـ٣ ص ١٥٢

(٤) الخصائص جـ٣ ص ١٥٢ ، وانظر شرح شواهد الشافية ٣٤١ ، الكتاب ٢/١٧٠

(٥) شرح بن عقيل ، جـ١ ص ٤٧٩

يمرون بالدهنا خفافا عيا بهم

ويرجعن من دارين بجر الحقائب

وقول الشاعر[1] :

تقاذفه الرواد حتى رموابه

ورا طرق الشأم البلاد الاقاصيا

أراد الاول : الدهناء ، واراد الثاني : وراء طرق الشام . ومن ذلك قول ابي النجم[2] :

قد حيرته جن سلمى وأجا

اراد وأجأ فخفف واما قوله :

مثل خناذيذ أجا وصخره

فأنه ابدل الهمزه فقلبها حرف علّه .

قال ابو العباس : والناس كلهم يقولون اذا كانت الهمزه طرفا وقبلها ساكن حذفوها في الخفض والرفع واثبتوها في النصب[3] .

بقيت ظاهرة أخيرة من ظواهر ابدال الهمزة عند بعض بدونا المعاصرين وهي ابدالهم الهمزة « عينا » كما في قولهم قرعان ، ومسعله ، وقراعه ، وسعال يريدون بها : القرآن ، ومسأله ، وقراءه ، وسؤال . وهذا الابدال قديم فهو لغة قيس وتميم واسد يقولون « عَنْ » ويريدون " أن " ويقولون: اشهد عنّك رسول الله . وفي حديث قيله : تحسب عني نائمه اي تحسب أني نائمه[4] . ومن ذلك قول ذي الرمه :

---

(١) الخصائص جـ٣ ص ١٥٣
(٢) لسان العرب جـ١ مادة أجأ ص ٢٤
(٣) لسان العرب جـ١ ص ١٨
(٤) اللسان مادة « عنن » : جـ ١٣ ص ٢٩٤ طبعة بيروت .

أعن توهمت مـــن خرقـاء منزلـــة
ماء الصبابه من عينيك مسجوم[1]

وقول جران العود :

فما ابن حتـــى قلـــن ياليت عنّنـا
تراب وعنّ الارض بالناس تخسف[2]

ومن ذلك ما جاء في شواهد اللسان :

فلا تلهك الدنيا عن الـــدين واعتمل
لآخـره لابـد عـن ستصيرها[3]

ومنه قول ابن هرمه :

أعـن تغنت على ســاق مطـوّقه
ورقاء تدعو هديلا فوق اعواد[4]

وهم يدعون ذلك بـ « العنعنه » وقد اختلف فيها ، فصاحب اللســـان يحدد وقوعها على همزة أن المفتوحة فقط حيث يقول : تميم وقيس واسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن اذا كانت مفتوحة عينا[5] . أما السيوطي فلا يشترط الفتح ولا يحددها بهمزة ان وانما يعمم ذلك فيقول :

ومن ذلك « العنعنه » وهي في كثير من العرب ، في لغة قيس وتميم

---

(١) اللسان مادة عنن ، ديوانه ص ٥٦٧ ، والخصائص جـ ٢/١١ والصاحبي ص ٥٣

(٢) اللسان ماجة « عنن » حـ ١٣ ص ٢٩٤ طبعة بيروت .

(٣) اللسان مادة « عنن » .

(٤) مجالس ثعلب ص ١٠١ والخصائص جـ ٢ ص ١١ وانظـــــر الخزانة ايضا .

(٥) اللسان مادة « عنن » .

تجعل الهمزه المبدوء بها عيناً . فيقولون في أنك عنك ، وفي أسلم عسلم ، وفي أذن عذن[1] .

وقد ورد ابدال الهمزة عيناً في غير العنعنه ومن ذلك قولهم : آديته على كذا ، واعديته : اي قويته واعنته . وكثا اللبن وكثع وهي الكثأة والكثعه ، وهي ان يعلو دسمه وخثورته على رأسه في الاناء وموت ذؤاف وذعاف ، والتمئ لونه والتمع ، والسأف والسعف وهو شعر الذئب ، والاسن وبعضهم يقول العسن وهو قديد الشحم[2] .

والابدال عند بدونا كثير ولا يقتصر على الهمزة فقط بل يتعداها الى الحروف فمنهم من يبدل « الغين » « قافاً » فيقولون : صمق ، قزال ، قرب قناء ، رقد . ويريدون به على التوالي : صمغ ، غزال ، غرب ، غناء ، رغد ويبدلون « القاف » « غيناً » فيقولون : شرغ ، غرد ، رغـم ، الفرغان ، سغف ويريدون به : شرق ، قرد ، رقم ، القرآن ، سقف .

ويبدلون احياناً « السين » « صاداً » فيقولون : صخا ، صطر ، صلخ ويريدون : سخا ، سطر ، سلخ . مثال ذلك قول القاضي :

جنني سهوم المـوت يوم وقفت لي
قلبي غدا مسمار وخدوده الماص

يريد : الماس . وقول العوني :

عرق الصخا ، بحر الندى ، رهق العدا
لا اشتبت الهيجا تعرفه جمالها

يريد : السنخاء . وقوله ايضاً :

---

(١) المزهر حـ ١ ص ٢٢٢
(٢) المزهر حـ ١ ص ٤٦٢

تِنْهَابْ صَطْوَتْكُمْ وِيْرجي نوالكم
وْضِدْ يِدْكُمْ دايم يحسب خُطورْهَا

يريد : سطوتكم • وقول راشد الخلاوي :

قوي وسَّاعِ الصَّمطْ في كل مَسْغَبَهْ
تعادا بها نسل الفيام الولايد

يريد : السمط جمع سماط •

وبعضهم يبدل « القاف » « جيماً » فيقولون : جاعد ، ثجيل جديم ، عجيد ، ويريدون : قاعد ، ثقيل ، قديم ، عقيد ، ومنه قول ابن تعبون :

دارٍ بها معنا جديم الْعَوايد
رِفْعَ الْوِضِيعْ وْضَعْهَا للصناديد

يريد : قديم ، ومنه قول ابن الرشيد :

اي باللهْ عيبِ وْمِنْ جديمٍ لنا عيب
مِستارْ ثِينْهُ عَنِ جْدُودي عمامي(١)

ويريد : قديم ايضا ، ومنه قول راشد الخلاوي :

على ما فجا حالي وما شقْ مُهْجَتي
وما هَجْ بابِ الجيلْ مني وْهاجْ به

وقوله ايضا :

وْهُو عَجيد الْركْبْ لوْلاهْ ما غزْا
ولا نَسَّفوْا بِكْوارْهِنَّ الجواعيد

---

(١) ويروى البيت روايه ثانية هي :ـ
قلت ان هذا من جديم لنا عيب
مستارثينه من خوالي وعمامي

يريد : بالجيل القيل ، وهو قول الشعر ، وعجيد : اي عقيد وهو الذي يقود جموعهم الى الحرب ٠

ومنهم من يبدل « الجيم » « ياء » فيقولون : ريّال ، و يَه ، شيره ديايه ويريدون بها على التوالي : رجال ، وجه ، شجره ، دجاجه ٠ وقد ورد ذلك في لهجات العرب يقول ابن سيده : يار لغه في جار كما قالوا الصهاريج والصهاري ، وصهريج وصهري لغة تميم وكما قالوا شيره لشجره وحقروه فقالوا شييره ، قال الرياشي : قال : أبو زيد كنا يوما عند المفضل وعنده اعراب فقلت انهم يقولون شيره فقالوها فقلت لهم كيف تحقرونها فقالوا شييره[١] ٠

ويحدثنا ابو الطيب عبدالواحد بن على اللغوي الحلبي ان ابا حاتم السجستاني قال : قلت لام الهيثم هل تبدل العرب من « الجيم » « ياء » في شيء من الكلام ؟ فقالت نعم ٠ ثم انشدتني :

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
فأبعدكن الله من شيرات[٢]

ومنهم من يبدل « عين » اعطى « نوناً » فيقولون : انطى وينطي وانطيناك ويريدون بها : اعطى ، ويعطي ، واعطيناك ، وهي لهجة عربية فالانطاء : الاعطاء بلغة اليمن[٣] وهذه اللهجة تعرف بالاستنطاء وقد قرأ « إنا انطيناك الكوثر » وهيقراءة مرويه عن الرسول (ص) ومن كلامه (ص) اليد العليا المنطيه واليد السفلى المنطاة[٤] ٠

---

(١) المخصص حـ ١٤ ص ٣٤
(٢) كتاب الابدال جـ ١ ص ٢٦١
(٣) اما السيوطي فيقول : الاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والازدوقيس والانصار ٠ المزهر جـ ١ ص ٢٢٢ ٠
(٤) لسان العرب ٠ وانظر البحر المحيط ص ٥١٩

هذا الابدال الذي لاحظناه عند بدونا ليس جديدا وانما هو قديم فبالرجوع الى كتب اللغة ومعاجمها سنجد الكثير منه وهذه الكثره دفعت علماءنا القدامى الى ان يفردوا لها ابواباً واسعة في كتبهم بل ويؤلفوا كتبا خاصة بها[1] .

على ان بعض علماء اللغة رفضوا ان يعتبروا ذلك ابدالا وانما اعتبروه لغات مختلفة لمعانٍ متفقه ، قال ابو الطيب :

ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا الا في حرف واحد .

قال : والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزه ولا بالصاد مره وبالسين أخرى ، وكذلك ابدال لام التعريف ميما ، والهمزة المصدرة عيناً ، كقولهم في نحو « أن » « عن » ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك انما يقول هذا قوم وذاك آخرون[2] .

ومن هذا الباب (أعنى الابدال) لاحظنا انهم يبدلون الحرف الثاني « ياءً » في الافعال المضاعفة فيقولون : شديت ، وحليت ، ونطيت ويريدون : شددت ، وحللت ، ونططت .

يقول الشاعر :

نَطيْتَ أنَا رجمْ ما بينْ بَقْعا وْعَطّاشْ
بينِ الْنفوذْ وْبينْ سلمى وحايل

---

(١) انظر كتاب الابدال لابي الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي وهو في جزأين وكتاب القلب والابدال لابن السكيت وقد نشره المستشرق هفنر في الكنز اللغوي (ببيروت) أضف الى ذلك الفصول المعقودة في الخصائص لابن جنى والمزهر للسيوطي ... الخ وما يذكره اصحاب المعاجم عند شرحهم الكلمة باختها مخرجا ومن أراد التوسع فيما كتب عن ذلك فلينظر مقدمة كتاب الابدل لمحققه العلامة التوخي والمزهر للسيوطي .

(٢) المزهر حـ ١ ص ٤٦٠

يقول ابن عفالج :

فالى بْغيْتَ اجْنــي اْلزهْــر واْلوَرْدْ
حرّكْتْ بِالفاضي لفُصَنــــكْ وْهزّيت

يريد : هزرت

من عِنِدْ بابِ مْورّدِ الخدينْ مَرّيتْ
وْثاري الحبيبْ شافْني حَســينْ مَرّيتْ

يريد : مررت

وهذه الظاهرة ليست جديدة ايضا فقد وردت في كلام اسلافنا ، يقول ابن سيده : كل فعل مضاعف ، كحسّ وظنّ وتظنن يجوز أن يبدلوا من أحد الحرفين المضاعفين ياء ، فيقال من حسبت ومددت وظننت : حسيت ومديت وظنيت[1] .

وليس ما في هذه القاعدة بمطرد عند سيبويه فقد قال مفسراً لهــــذه القاعدة ما يلي : هذا باب ما شذ فابدل مكان اللام ياء لكراهيــة التضعيف وليس بمطرد ، وذلك في قولك تسريت وتظنيت وتقصيت من تسرر وتظنن وتقصص .... وهــذا كلــه شــــاذ لانا لا نقول في تحبب تحبي ولا في تحسس تحسي[2] .

اما اللهجة العامة في نطق القاف والتي تسود غالبية القبائل البدويــــة وحتى المستوطنــة والريفية فهي نطقهــا كالجيم المصــرية وهــذا النطــق قديم فبنو تميم يلحقون « القاف » باللهاة حتى تغلظ جــــدا ، فيقولـــون « اكيّوم » فتكون بين الكاف والقاف قال الشاعر :

---

(١) المخصص جـ ١٣ ص ٢٨٢
(٢) الكتاب جـ ٢ ص ٤٠١

ولا أكول لكـــدر القوم كدا نضجت

ولا اكول لبـاب الـــدار مكفول[1]

وقد ذهب بن خلدون الى انها لغة مضر الاولين حيث يقول : « فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند اهل الامصار ، كما هو مذكـــور في كتب العربية .... بل يجيئون بها متوسطة بين القاف والكاف . وهـــي موجودة للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلـــك علامه عليهم من بين الامم[2] .» ثم يقول : « وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل ، بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها ، ادعى ذلك فقهـــاء اهل البيت وزعموا : من قرأ في ام القرآن اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التـــى لهذا الجيل ــ (يقصد القاف التي نحن بصددها) ــ فقد لحن ، وأفســـد صلاته[3] . »

فابن خلدون يرى انها لغة مضر الاولين ولغة الرسول ايضا وهـــذا يدل على أن غالبية العرب كانت تنطقها كذلـــك وانهـــا كانت السائدة في نطقهم أما القاف المعروفة والمتعارف على انها الصحيحة فيبدوا انها كانت من مظاهر اللغة النموذجية[4] » التي جرت على السنه الخاصـــة منهم قبـــل الاسلام وسادت بعد الاسلام لنزول القرآن بها .

---

(١) الصاحبي ص ٤٥ ولسان العرب ، وجاءت رواية اللسان للبيت مخالفة بعض الشيء لرواية الصاحبي . والبيت في اللســـان منسوب لابي الاسود الدؤلي ، وهذه رواية اللسان :

ولا أكـول لكـدر الكـــوم كدغليت

ولا اكول لبـــاب الـــدار مغلـوك

(٢،٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٥

(٤) راجع اللهجات للدكتور ابراهيم انيس ص ٣٤ وفقه اللغـــه للدكتور صبحي الصالح ص ٥٠ . حيث يذهبان الى ان الخاصة من العرب في الجاهلية كانت لديهم لغة نموذجية أو مثالية مصطفاة .

اما « الكاف » فينطقونها بين « التاء » و « الشين » اي « CH » بالانكليزية وهذا على مااعتقد بقية مما كانوا يسمونه « بالكشكشه » ، وهي لغة لربيعة[١] ، فهم يجعلون الشين مكان الكاف وذلك في المونث خاصة فيقولون : عليشِ ومنشِ وبشِ ، وينشدون :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها
ولكن عظم الساق منشِ دقيق[٢]

وانشد ايضا :

تضحك مني أن راتني احترش
ولو حرشت لكشفت عن حرِش[٣]

يريد : عن حِرِك

وقرأ بعضهم : « قد جعل ربش تحتش سريا » لقوله تعالى : « قد جعل ربك تحتك سريا »[٤] .

ومنهم من يزيد الشين بعد الكاف فيقول : عليكش ، وبكش ، واليكش ومنكش وذلك في الوقف خاصة فاذا وصلوا حذفوا ، ومنهم من يجري

---

(١) في الصحاح انها لغة لبني أسد ، وكذلك في الصاحبي لابنفارس اما في فقه اللغة للثعالبي فهي لبني تميم ، وفي المزهر لربيعة ومضر ، والذي ذكرناه اخذناه عن اللسان ماده كشش .

(٢) هكذا ورد البيت في اللسان ، أما رواية الصاحبي فهي كالآتي :ـ
فعيناش عيناها وجيدش جيدها
ولونيش الا انها غير عاطل

(٣) هكذا ورد البيت في اللسان ، وقد ورد البيت في كتاب الحيوان ج ٦ ص ١١١ باختلاف بسيط ورواية الحيوان كالآتي :ـ
تسخر مني أن رأتني احترش
ولو حرشت لكشفت عن حرش

(٤) فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٩

الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضا[1] •

الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه ايضا[5] •

قال ابن سيده :

قال بن جني وقرأت على ابي بكر محمد بن الحسن عن ابي العباس أحمد بن يحي لبعضهم :[2]

علي فيمـــا ابتغـــي ابغيشـــس
بيضـــاء ترضينـــي ولا ترضيشِ
وتطّبي ود بنـــي ابيشـــسِ
اذا دنـــوت جعـــلت تنئيشـــس
وإن نأيـــت جعـــلت تدنيش
وان تكلـــمت حثت في فيشِ
حتى تنقـــي كنقيـــق الديش[3]

ابدل من كاف المؤنث شيناً في كل ذلك ، وشبه كاف الديك لكسرتها بكاف المؤنث •

وقد توسع البدو في اخضاع الكافات لنطقهم ولم يقتصروا على كاف المؤنث فقط بل تعدوه الى غالبية الكافات وهذا التوسع مرجعه على ما اعتقد امتزاج الكشكشه بالشنشنه وتداخلها في كلامهم ، والشنشنه في لغة اليمن

---

(1) لسان العرب ما كشش ، المزهـر جـ ١ ص ٢٢١ ، الخصائص جـ ٢ ص ١١ ، الصاحبي جـ ٥٣

(2) لسان العرب •

(3) وردت هذه الابيات في مجالس ثعلب حـ١ ص ١٤١ مطابقـــة لرواية اللسان الا أن روايه الخزانه تختلف بعض الاختـــلاف عن روايتي المجالس واللسان ففي الخزانة « انعيشں » بدلا من « ابغيشں » وكذلـــك بالنسبة للشطرين الرابع والخامس فقد وردا كما يلي :

اذا دنوت جعلت تدنيش   وان نأيت جعلت تنئيش

تجعل الـكاف شيناً مطلقا كلبيش اللهم لبيش[١] وقد جاء هذا الامتزاج ، بين اللهجتين ، نتيجه اختلاط القبائل ، واتصالها ببعضها ، وعن طـريق المجاورة في المواطن • فتلاقحت اللهجتان وتمازجت فكان ما نراه الآن عند البدو من توسع في اخضاع غالبية الكافات لنطقهم •

ويبدو لي ان اصحاب الكشكشه والشنشنه ، لم يكونوا في نطقهم للشين المبدله عن الكاف ، يتوخون مخرجها الصحيـح • وانما كانـوا ينطقونها بين التاء والشين « CH » ، كما يفعل بدونا المعاصرون ، بدليـل الحرف الذي يحدثنا عنه ابن فارس وهـو الحـرف الذي بين الشـين والجيم والياء[٢] • وهـذا الحرف في مخرجه مطـابق في النطق « CH » اي انه نفس ما ينطقه البدو اليوم • ومما يرجح رأينا في أن هذا الحـرف كانوا ينطقون به الشين المبدله عن الكاف ، ان ابن فارس لم ينسب هـذا الحرف الى قبيله ، ولم يجعله لهجه لاي من العرب ، تضاف الى اللهجات الاخرى • وفي المثال الذي ذكره لهذا الحرف تأكيد لما ذهبنا اليه • يقول: يقولون في المذكر غلامج وفي المؤنث غلامش[٣] ولا أرى في هـذا المثال الا صوره للكشكشه والشنشنه التي حدثونا عنها •

وقبل ان انتقل الى جانب أخر اود أن اذكر انهم تركوا بعضا مـن الكافات دون ابدال ككاف المذكر وغيره حيث ما زالوا ينطقونها كما هي •

ومما يدخل في هذا الباب الابدال الذي يقع على « قاف » الفعـل « قَتَل » وتصريفاته ، وفيه لغتان :

الاولى : وهي ابدالهم « القاف » « كافا » فيقولون : كِتَل ، يـكْتِـلْ والمصدر كَتْل وكَتِلْ • وقد ورد ما يشبه ذلك في لغة العرب كقولهم

---

(١) المزهر حـ ١ ص ٢٢٢
(٢) الصاحبي ص ٥٤
(٣) المصدر السابق

قَرْبان وكُربان ، قارب ان ، وكرب أن [1] .

والثانية : وهي ان يبدلوه حرفا بين التاء والشين كالذي لاحظناه في نطقهم للكاف فكأنهم ابدلوا القاف كافا ثم ابدلوا الكاف الى هذا الحرف الذي ذكرناه فيقولون : چِتَلْ ، يِچْتِلْ والمصدر چَتْل وچَتِلْ واللغتان متساويتان تقريبا في الاستعمال عند البدو .

ومما لاحظناه أيضا تفخيمهم اللام بعد الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء[2] ، بصورة مطردة تقريبا ، وتفخيمه كذلك ، في بعض الكلمات دون ان يكون مسبوقا بأي من الحروف السابقة . كقولهم : َخلّ ، ونِگَلْ ، وينگل ، واِنگل أي : نَقَلَ ، ينقل ، انقل ، وخُمَل أي : أي : خَمْل وهو هدب القطيفة[3] وصَخَلْ أي : سخل[4] ، ونَخَلْ ... الى غير ذلك .

وكسرهم اوائل الافعال المضارعة بصورة مطرده تقريبا ، يقولون : نِركض ، نِمشي ، نِستعين ، تِفعل ، تِشرب ، تِعلم . وهذه الظاهرة ليست وقفا عليهم . وانما هي في غالبية لهجاتنا العامية كما وانها ليست جديدة ، ولا ناتجة عن الفساد الذي اصاب اللغة بل على العكس فهي قديمة ، وقد اطلق عليها علماء اللغة ـ اصطلاحا ـ التلتله ونسبوها آخرى

---

(١) الخصائص حـ ٢ ص ٨٦

(٢) وبذلك جاءت رواية ورش في قراءة نافع .

(٣) جاء في اللسان ، والخمل مجزوم : هدب القطيفه ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول كخمل الطنفسه .

(٤) جاء في اللسان عماده « والسنحله ولد الشاة من المعز والضأن ذكرا كان أو انثى آه » غير ان البدو الآن يطلقونها على ولد الماعز فقط ويذكرون ويؤنثون فيقولون : صخل ، وصخله .

(٥) لسان العرب مادة تلل . والمزهر جـ ١ ص ٢١١ . والخصائص جـ ٢ ص ١١

من كتبهم حتى شملت الجميع عدا قريش واسد[1] فابن سيده يؤكد بأن ذلك معروف في لغة جميع العرب الا أهل الحجاز[2] ويذهب ابن منظور هذا المذهب حيث يقول : وتقول انت تتقي الله وتِتقي الله على لغة من قال تَعلم وتِعلم ، وتِعلم بالكسر : لغة قيس وتميم واسد وربيعه وعامة العرب ، وأما اهل الحجاز وقوم من اعجاز هوازن وازد السراة وبعض هذيل فيقولون تَعلم والقرآن عليها ، قال : وزعم الاخفس ان كل من ورد علينا من الاعراب لم يقل الا تِعلم ، بالكسر[3] .

الا ان بدونا المعاصرون لم يكتفوا بكسر اوائل الحروف في الافعال المضارعة فقط بل تعدوها الى بعض الافعال الماضية وكسروا أوائل حروفها فقالوا : مِشى ، ورِكَضْ ، وِضربْ ، وذِبَحْ ، ونِبَحْ ، وشِرَبْ .. وغير ذلك .

ويقولون في لعلك ، لعنك وهي لغة مسموعة عن العرب فهم يقولون الانك ورعنك ولعنك ، وهذه الاخيرة لبني تميم[4] .

ويقولون : بِعير ، وشِعير ، وسِعيد ، ورِعيد ، ورِغيف ، وفِهيم ونِعيم ، وسِليم ، بكسر أوائلها والمعروف ان الاصل فيها الفتح . وهذه الظاهرة ايضا قديمة يقول ابن جني : « ومن ذلك تقريب الصوت مع حروف الحلق ، نحو شِعير ، وبِعير ، ورِغيف . وسمعت الشجري غير

---

(١) المزهر حـ ١ ص ٢٥٥ . الصاحبي ص ٤٨ وعنده عدا قيس وأسد . وفي القراءات الشاذه ص ٨ (اياك نعبد) بكسر النون . وقد علق عليها العكبري بقوله « لغة فاشيه في العرب يكسرون حرف المضارعة » . صورة شمسية لمخطوطة الكتاب بالمجمع العلمي بدمشق رقم ٥٩ . « تعليق العكبري اخذته عن كتاب فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح » .

(٢) انظر المخصص جـ ١٤ ص ٢١٦ وما بعدها .

(٣) لسان العرب مادة وقى .

(٤) لسان العرب مادة عنن .

مرة يقول لزئير الاسد يريد الزئير ، وحكى ابو زيد عنهم : الجنة لمن خاف وعيد الله »[1] .

واذا تركنا الابدال وما اليه جانبا وجدنا ان هنالك عوامل اخرى خضعت لها لغتهم كالقلب والحذف والنحت .

والقلب في اللغة عبارة عن تقديم او تأخير احد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه او تغييره تغييرا طفيفا وهو أقل وقوعا من الابدال ومن امثلته عند البدو قولهم ، سِجدْ ويقصدون جسد ، وجواز ويقصدون زواج ، وجضيع في ضجيع ، ومجضع في مضجع ، وحنا في نحن وقد وقع في هذه الاخيرة حذف وقلب ، وصاقعه وصواقع في صاعقة وصواعق[2] ودحق في حدق ، وأجر في رِجل . وقد ورد ذلك في اشعارهم يقول ابن لعبون :

حنّا هَلَ الْوادي وحِنّا الْمنَاعير
وحِنّا وِدِيْنَا جارنا عن جداره

ويقول فيصل بن تركي :

حنّا حمينا نجدْ من كلْ فُسّاق
من حُمُرْ مَصرِ والوجُوهِ المناكير

ويقول مشعان بن هذال :

حنّا شبّاةَ الحربْ وانْ شبّتْ النار
وتفازَعَتْ بينَ الجموع المشاهير

---

(١) الخصائص حـ ٢ص ١٤٣ .

(٢) يقول ابن فارس (الصاحبي ص ٤٩) : ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير نحو صاعقه وصاقعه . ويقول المبرد في (الكامل جـ ٢/١٩٨) : تقول العرب صاعقه وصواعق وهو مذهب اهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم صاقعه وصواقع .

ويقول نمر بن عدوان :

جابتْ غريريْن ثمْ جابتْ غريرن
وْلاكنّهمْ يعقَابْ طبّوْا سِجَدْهَا

ويقول راشد الخلاوي :

يقُوم بْها عَنْ مجضعِ اللّيل منتون
ذَ بْحُه اسْمانِ عنِ لْقَاحِ الجلاعيد

ويقول ابو حمزة العامري :

نِعْم ا ْلجِضيعِ ا ْلى مَا ذ يْبِ احْجُره
صَبَ ا ْلجِليدْ وْغطا الذيلَ الاذْيال

ويقول الشاعر :

يَاعيُونَ ا ْلخِشف يارْقُبْةَ ا ْلغز ال
جيزةِ ا ْلفَايِن عليكِ مْنَ ا ْلفشيله
كم رِدِيِ جوزُهْ كُثرَ ا ْلحلال
ورْثِة ا ْلجدين جابَتْ لُهْ حَليلَهْ

ويريدون بها على التوالي : نحن ، جسد ، مضجع ، ضجيع ، زيجه ، زوجه •

وهذا الذي رأيناه كثير في لغة العرب يقول بن فارس « ومن سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة وفي القصة • كقولهم جذب وجبذ ، وبكل ولبك ، وهو كثير قد صنفه علماء اللغة »(١) ومنه قولهم اضمحل الشيء وامضحل وشفنت اليه شفنا وشنفت شنفا ـ نَظرتُ وانشد (٢) :

---

(١) الصاحبي ص ٢٠٢ ، المزهر ح ١ ص ٤٧٦ وما يليها •
(٢) المخصص ح ١٤ ص ٢٧

وقربـوا كـــل صهميــم مناكبـــه
اذا تداكأ منـــه دفعـــه شنفـــا

وقولهم بتلت الشيء وبلته ـ قطعته وانشد :
وان تخاطبـــــك تبلـــــت[1]

ومنه اهذب في مشيته وأهبَذ وعلى هذا قالوا مهابذ ، قال ابو خراش :

يبادر جنـــح الليـــل فهـــو مهابـــذ
يحث الجناح بالتبسط والقبض[2]

وقولهم ضمارز وضمازر وهو الصلب الشديد الغليظ • قال الراجز :
وشـعب كـــل باجـــح ضمارز[3]

اما الحذف ، فهو كثير في لهجات البدو المعاصـرين ، حيث خضعت له أكثر الالفاظ سواء في ذلك الاسماء ، والافعال ، والضمائر ، والحروف• والمراد بالحذف هنـا ما أطلق عليـه ابن فارس اسم « القبض[4] » وهو النقصان من عدد الحروف ، في غير مواضع الترخيم والاستغاثة التي يقـــع الحذف فيها عادة ، على آخر الاسم المنادي • اما هنا ، فيقـــع على أول الكلمة ، كما يقع على آخرها ، ويقع على أي كلمة ، اسما كانت او فعـلا منادي او غير منادي • فمن ذلك :

---

(١) المخصص حـ ١٤ ص ٢٧ ، وقـــد ورد البيت تامـا في اللسان والصحاح منسوبا الى الشنفرى كالآتي :
كـأن لهـا في الارض نسـيا تقصه
عـلى امهـا ، وان تحـــدثك تبلت

(٢) المخصص حـ ١٤ ص ٢٨

(٣) المزهر جـ ١ ص ٤٧٨ • وقد روي : سنحب كل ناجنح ضمارز•
وروي ايضا : وشعب كل بازل ضمارز
وصدر البيت هو : ترد شعب الجمح الجوامز •

(٤) الصاحبي ص ٢٢٨

تضـــل منـــه ابلي بالهوجـــــل
في لجة امسك فلانا عن فلِ[1]

اي فلان ، ومنه قول لبيد :

درس المنـــا بمتالـــع فأبـــــان
فتقـــادمت بالحبـــس فالســـوبان[2]

وقد ذكر شاعر آخر « المنا » يريد « المنايا » :

ولبســـ العجـــاجة والخافقـــات
تريك المنـــا برؤس الاســـل[3]

ومنـــه :

بسم الذي في كل سورة سِمُه[4]

أراد اسمه • ومنه قول ذي الاصبع العدواني :

لاه بن عمـك لا أفضـلت في حسب
عني ولا أنت ديّاني فتخزوني[5]

---

(١) اللسان ، فلن • وهـو من شـواهد سيبويـه (جـ ١/٣٣٣ ، حـ٢/١٢٢) •
(٢) ديوان لبيد ص ٦١ ، الخصائص ٢/٤٣٧ ، الصاحبي ٢٢٨ ، شرح ابن عقيل •
(٣) الكامل حـ ١ ص ٢٤٥
(٤) النـوادر لابي زيـد ص ١٦٦ ، الانصـــاف ص ٦ ، الكشاف للزمخشري حـ ١/٤ ، اللسان مادة سما • وقائله رجل من كلب وقد نسبه بعضهم الى رؤبه •
(٥) المفضليات ص ١٦٠ ، الخصائص حـ ٢/٢٨٨

أراد لله ابن عمك •

الحقيقة ان شواهد كثيرة ، وردت في كتب التراث ، تبرز هذه الظاهرة مما أربك النحاة ، وجعلهم في حيرة لا يدرون كيف يعللونها فهي ليست من الترخيم الذي ضبطوا قواعده ، ولا هي من الامور التي تأتي في مواضع معينة ثابتة تمكنهم من ضبطها بقاعده كما فعلوا في غيرها • فمنهم من أرجع بعضها الى قطعة طيء التي كانت تميل الى قطع اللفظ قبل تمامه ، وابن جنى يرجع قسما منها الى باب « زيادة الحرف عوضا من آخر محذوف »[1] ويرجع قسما آخر الى التحريف الذي يقع في الاسم والفعل والحرف[2] • أما ابن فارس فلم يجهد نفسه في التعليل وايجاد المبررات بل اكتفى بالقول : ان ذلك من سنن العرب[3] •

والراجح لدينا ان ذلك أمر راجع الى طبيعة النطق عند البدو عامة حيث انهم يميلون الى السرعة في النطق وهذا يضطرهم الى تلمس أيسر السبل فيدغمون الاصوات بعضها في بعض ويسقطون منها ما يمكن الاستغناء عنه دون اخلال بفهم السامع[4] وهذا أمر فرضته عليهم طبيعة البادية والحياة التي يحيونها • وبهذا يمكننا أن نفسر قولهم « خير الكلام ما قل ودل » وميلهم الى الايجاز ونفرتهم من الاطناب حتى عدوه من العيوب التي لا تليق بالفصيح •

ومما يدعم رأينا هذا ، ما نراه عند بدونا المعاصرين من سرعة في النطق ، سرعة تدفعهم الى قطع اللفظ وقبض لحروف الكلمة ومن أمثلة ذلك الفعل « ابتغى » فهم يقولون : « أبي » في المضارع و « بغيت » في

---

(١) الخصائص جـ ٢ ص ٢٨٥ وما بعدها •

(٢) الخصائص حـ ٢ ص ٤٣٦ وما بعدها •

(٣) الصاحبي ص ٢٢٨

(٤) ذهبنا هنا الى ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم انيس في كتابه « في اللهجات العربية » ص ١٢٠ •

الماضي • يقول الشاعر خلف الضاحي :

تركتْ رُكبَ الْــدوجْ هــوَّ الْزغيري

أبي ادَوْرِ لي مـْنَ الْهـجـِنْ عـِرْماس

وقد مرّ بنا أن قسما منهم يبدلون « عين » اعطني « نونا » • الا ان القسم الآخر منهم يحذف الحرف الاول من اعطني فيقــولون : عطني ، عطيتك ، عطيته ويريدون بها : اعطني ، اعطيتك ، اعطيته • يقول الشاعر :

تخيّــل ، تميّــل يعْويد الخيزران

عطيته رضيته يمــين اللـــه جـاني

أما الاسماء الموصولة : الذي ، التي ، اللذين ، الذين ، فقد أختصرت جميعها وعبروا عنها بقولهم : « اللي » • يقول ماجد الحشربي :

اللي كساني الْثوبَ الاسْوَدْ وَنا شُوف

خَلـّهْ يِقـَعْ في سَهـَرْ عيني وَنـَا نـام

يريد : الذي كساني ، وقول ابن الرشيد :

يا هل الديـرة اللي طــاب مبناهـــا

عمــروا ســورها واحمــوا تواليهـــا

يريد : التي طاب مبناها ، وقول مشعان بن هذال :

اُفاقـْتـُهْ وَالّلي حـذاْنـَا لهمْ جار

وْحـِنـّا عليهـــمْ نحمي الجارْ وِنـْجـِيرْ

يريد : الذين يحاذوننا •

الا انهم احيانا قليلة جدا يلفظون الذي كما هي • من ذلك قــول محسن الهزاني :

وان كـان عمـال البرايـا يشحّون

فأنا الـذي مـا مرةٍ عَنْك شحّيت

فان كان في الغدّ المقابيسْ يوضون

فَانْتَ الّذي نورك يقدسْ هَلالبيت

ويحذفون اللام والالف من « على » اذا وليها ساكن فيقـولون : عالباب ، عالخيل ،عالفرس . ويريدون : على الباب ، وعلى الخيل ، وعلى الفرس[1] يقول ابن ناعم :

قبلِ الْجزيرهْ ، يُومْ نجـدِ سـكرنا

واموانـا تَنْطـارِدِ بْهـا عَالفـراس

يريد : على الافراس .

أما اذا جاء بعدها متحرك فينطقونها كما هي . يقول الشاعر :

حلفتْ لو أعطـى الحسامـع خراجـه

على بيـان الحضـرْ ما يصكـون

والبعض ـ وهم اهل القصيم ـ يحذفون ياء المتكلم ويكتفون بنـون الوقاية فيقولون عَطون ، وقتلون ويريدون : أعطوني وقتلوني يقـول محمد العبد الله القاضي :

مالي بحـالي عقب ما شـفت مطلـوب

وانعـون يا مـن لي شـفيق وحبـاب

يريد : وانعوني . وقوله ايضا :

وبقيتْ مشـفوفٍ هبيـلٍ وخلّـونْ

مِثْلِ الْطِريحْ اللي تدالتْه الاسْباب

(١) نسب الى قبيلة بلحارث انها كانت تذهب هـذا المذهب (في اللهجات العربية ص ١٢٤) .

يريد : وخلوني .

وتحذف الهمزة وياء المتكلم من كلمة « أبي » في حالة النداء ويستعاض عنها « بهاء » ليست في الواقع « هاء » وانما هي امتداد التنفس بما قبل الياء المحذوفة من صوت لين قصير (الفتحة) فيقولون « يابه » فيخيل للسامع انها « هاء » وان ابدالا قد وقع . وقد سمع ذلك عن بعض العرب . « قال أبو زيد : سمعت أعرابيا يقول : يا أب أقبل ، وياب اقبل ، ويابه اقبل »[٢] وعند اضافة هذه الكلمة الى غير ياء المتكلم يقولون « يا بَلْخلا » بحذف الهمزة الاولى والالف المتأخره ومنه قول الشاعر :

يا بَلْخَلا ذرِّبْ جوابك

يا شينْ ما حِنَّا عبيد

ومما يشابه ذلك قول رؤبه :

وأنت يا بامسلم وفيتا[٣]

هذا اذا كانت الكلمة المضاف اليها تبدأ بالالف واللام أما فيما عدا ذلك فان كلمة اب ينطقونها « أبو » في جميع الحالات الاعرابية فيقولون « ابوك » ، ورأيت « ابوك » ، ومررت « بابوك » وكذلك في حالة النداء فيقولون « يابو فلان » وذلك بحذف الهمزة الاولى مثال ذلك قول راكان ابن حثلين :

يا بو هلا طير الهوى خبّثَ اْلبَال

طَبْعُهْ خبيثٍ والحباري جليله

ويبدو انهم انما ذهبوا هذا المذهب في ، أب وأخ أيضا ، بقاء على الاصل لان الاصل في أب : أبو بالتحريك فالناقص منه واو لانك تقول

(١ ، ٣) اللسان حـ ١ ص ٢٠ ــ ٢١ .

في التثنيه أبوان[1] .

والنحت كثر عندهم ايضا يدفعهم الى ذلك محاولة الاختصار في النطق للاقتصاد في الوقت والجهد ، فنراهم ينحتون من كلمتين او أكثر كلمة واحدة . مثال ذلك قولهم :

هسه – ويريدون هذه الساعة

هالحين – ويريدون هذا الحين

وَشّو – ويريدون وأي شي هو

ايش – ويريدون اي شيء

يقول الشاعر جزي الجنوبي :

أنَاجيكْ او ماجيكْ ويش تقولْ لي
أوِ انْت عَلى ما قد نويت بخيل

ويقول ابن جعيثين :

أسلا بذكراهم عن انهم ساعه
عساهُمِ لَحاجاتي على هَدّهرعون

ويقول نمر بن عدوان :

زايرْ هَلْه يَعْقَابْ في ساعة غياب
هالحين يلفي والمحَبهْ تزيد

ومما لاحظناه ايضا عدم استعمالهم صيغة المبني للمجهول في الافعال المضارعة والماضية ، وانما يأتون به على وزن « انفعل » دائما . وهو يعني عندهم الانتقال من حالة الى أخرى فيقولون :

---

(١) اللسان مادة أبي .

انْقَتَلْ ، ينْقَتِل في قُتِلَ ، يُقْتَلْ
انشرب ، ينشرب في شرب ، يشرب
انهزم ، ينهزم في هزم ، يهزم

اما الفعل الاجوف مثل ، باع ، وقال ، وقام ، ونام والذي تقضي القاعدة الصرفية بحذف عينه في فعل الامر ، فان قسما منهم لا يعترف بذلك فيقولون في الاعم الاغلب ، قوم ، وقول ، وبيع ، ونام • بدلا من قم ، وبع ، ونم ، وقل ، مثال ذلك قول بديوي الوقداني :

لا تعمرِ الْدارْ وِالْقَالاتْ تِخْرِبْهَا
بِيعِ الْرِدِي بالخساره وِاشْترِ الغالي

وقوله ايضا :

صون عرضك عن ملاقاة السفيه
واترك الكذبان سودان الوجيه

وهم لا يستعملون « اذا » مطلقا ، ويستعيضون عنها ب « الى » و «الي» بالالف المقصوره أو بالياء • ومنهم من يحذف الالف فيكتفي ب « اي » وينطقونها « Lai » ومنهم من يثبت الالف بعد الياء فينطقونها « ليا » وقد وردت جميعها في اشعارهم ، يقول راكان بن حثلين :

وْكَنّه الى مِنّه زِواها الجفالِ
قرناسْ اهوى مِنْ رِفيعِ المواكير

ويقول محسن الهزاني :

ولي كان عمال البرايا يشحّون
فانا الذي ما مرة عنك شحيت

ويقول العوني :

اللهْ على قلبٍ ليا هــوَّدَ اْلّليـل

عليه غِدَنّ اْلـدِقايقْ جلايـــل

وكذلك تجدهم يستعيضون عن « لكن » بكلمة « مار » وبعضهم ينطقها « مير » يقول محمد بن سعود الملقب بـ « غزالان » :

وِانتوْشيوخٍ من جديمِ الزمــان

مَارِ انكِصَمْ مُغْراكْهَا واْلسَّدْكَنْ

ويقول ناصر العريني :

من شوفتي غِرْوٍ عـلى شُوفُهْ اشْفيت

انا مصْيدٍ ، ميـر الاقـدار ميـلات

ويبدو أن من نطق « مار » « مير » والى ... « الي ولى » انما ينحو في ذلك الى الاماله وهي كما نعلم لغة عامة اهل نجد من تميم وقيس واسد . فاذا عرفنا ان من ينطق هذه الكلمات ممالة انما هم اهل العارض، وضحت امامنا اسباب هذا النطق لان معظم سكان نجد يدعون انهم من تميم[١] . وكذلك قبائل عنزه فهي تذهب هذا المذهب في النطق ، فاذا علمنا ان عنزه وأسد كانتا متحدتين ومتجاورتين كل التجاور في شرقي وادي الرمه[٢] رجح لدينا أن عنزه اخذت ذلك عن اسد .

ويستعملون كلمة « ترى » بمعنى ان واعلم وهي كثيرة الورود في شعرهم يقول صقّار :

ترى الخوي والضيفْ والثالث اْلجــار

مثل الصــلاه ما بين فرضٍ وسنَّه

(١) دائرة المعارف الاسلامية مادة بلاد العرب .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة بلاد العرب .

ويقول العوني :

ترى مركب الاخطار هُوْ مصعد العلى
ولا يدرك العليا غيورٍ شكي لها

وقوله وتروى لابن الرشيد :

غلبا ترى بلدانكُمْ لِبستَ الْنيل
تِنْخي الرِجالْ وْمكْرِمينٍ الاصايل

وترد في اشعارهم كلمة « لاشك » على غير معناها اللغوي وانما معناها عندهم « لكن » يقول العوني :

الايام هِيْ الايَّامْ ما زادْ عَدْهَا
سنينها هَذي وهَذي شهورها
لاشك غيَّرْكُمْ هَمَاليجْ مُبْغضْ
وْذُلٍ حشا لَبَّاتْكُم في صدورها

يريد لكن غيركم ، والهماليج بمعنى الوسوسه •

وتأتي باشعارهم وعلى ألسنتهم كلمة (ياما) بمعنيين • الاول : بمعنى ما التعجب كقول مشعان بن هذال :

يا ما حلا وقت الضحى طَقْ شوباش
وْقَامَتْ تِنَازَا بالمناعيرْ جَلْعُود

والثاني : بمعنى كم مرة • كقول أبو نهيه :

يا ما سفكنا فيك من ساخن الدما
ويا ما وطينا بالمداس صريع
ويا ما انجلا عن روسنا فيك غبوه
لَكنّْها غيمْ السُّحابِ نْقيع

٢ ـ معانيـــه :ـ

اما معانيه فهي مستمدة من بيئته التي نشأ فيها وهي نفس البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي • لذلك فاننا نشاهد لهذه البيئة أثرها الواضح في المعاني المطروقة نهي تحاكي معاني الجاهليين فالصحراء برمالها وفدافدها ووحشتها والابل والخيل والحروب والـكرم والبسالة والماء والـكلأ والمطر والبرق والسيول واضحة في هذا الشعر الذي استمد معانيه منها وأخذ تصويراته وتشابيهه من بيئته التي تحيط به فما زالت المرأة كالريم والعيون كعيون الظباء والابتسامة والاسنان كالبرق ورائحة المرأة كالخزامى وساق الجمل أو الجواد كساق النعامة الى غير ذلك من التشبيهات المستمدة من البادية •

فالمعاني هي هي معاني الجاهلية فلا ابتكار ولا تجديد وانما تكرار لتلك المعاني التي عهدناها في شعرنا الجاهلي • وهي محدودة وبسيطة كبساطتهم •

٣ ـ الخصائص الاخرى :

ومن الخصائص الاخرى التي لاحظناها في هذا الشعر هي ملازمتـه الغناء اذ انه من النادر ان يقرأ بدون غناء ومصاحبة للرباب والبدو يطربون للرباب كثيرا فتستولى على مشاعرهم ويهتزون للشعر الذي يغني طربـــا • والالحان التي يؤدي بها هذا الشعر الحـــان ثابتة معروفة لدى الجميـع لا تتغير ولا تتجدد[١] •

وهنالك ميزة اخرى لهذا الشعر وهي مرافقـــة القصة له • فمـــن النادر جدا ان تجد قصيدة بدوية الا ولها مناسبة معينة قيلت فيها • وقـــد تطول هذه المناسبة حتى تصبح قصة طويلة يروونها في مجالسهم واسمارهم

(١) يذكر ابن خلدون في حديثه عن هذا الشعر ان البدو في زمانــه « كانوا يلحنون فيه الحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثـــم يغنون به ، ويسمون هذا الغناء بالحوراني نسبة الى حوران من أطراف العراق والشام » • تاريخ ابن خلدون حـ ١ ص ١٠٩ •

وقد تتخلل القصة الواحدة عدة قصائد لتعدد المناسبات فيها والمنشد عــادة يروى القصة ومن ثم ينشد القصيدة وكثيرا ما يكون الشعر شرحا لحوادث بعض هذه القصص •

والبدو يحبون هذا النوع من القصص المطرز بالشعر • ينصتـــون اليه وينسجمون مع حوادثه ومن اشهر قصص البادية قصة نمر بن عدوان وهو من امراء قبيلة عدوان في الاردن وله شعر رائع في زوجته وضحـــا وهنالك قصص اخرى عن فرسان وامراء البادية وايامها •

والشاعر او الراوي قبل ان يذكر لك القصيدة لابد له من ان يروى لك قصتها ومن ثم يبدأ براوية القصيدة •

ومن الخصائص التي لاحظناها ايضا صدق عواطفه • والبدوي بطبعه صادق لا يعرف الرياء ولا الكذب • فحياتهم القائمـــة على الصدق وصفاء بيئتهم ، امدتهم بصفاء ونقاء اثرا في انفسهم وطبعاها بهذا الطابع • فبساطة هذا الشعر وسذاجته احيانا دليل على صدقه وعلى ان الشاعر انما يعبر عما يحس بدون تكلف وبأمانة واخلاص • فهو ان احب فالى الابد وان مدح فلأنه اكرم وان هجا فلأنه اهين • وهم حتى في هجائهم ذووا نفوس ابيـة تمنعهم من الانحدار الى البذاءة والفحش في القول • ولا يهجون لمجـــرد الهجاء مطلقا ولا يلصقون بالمهجو صفاة غير التي هي فيه • كل ذلك من وحي حياتهم واحساساتهم فالعاطفة هي التي تملى في الغالب على الشــاعر البدوي خلجات قلبه وتأثره بما يرى وبما يسمع •

الفصل الثاني

القصيدة وخصائصها

ما زالت القصيدة البدوية في خصائصها وبنائها في الغالب مشابهة للقصيدة العربية الجاهلية في بنائها وخصائصها • فالصورة التي جاءت بها القصيدة الجاهلية من ابتداء بالغزل أو وقوف على الاطلال ثم الانتقال الى وصف الابل والصحراء والمفارز المخيفة التي اجتازتها فالانتقال الى الغرض الاصلي ، من مدح أو فخر أو غيره ، ما زالت واضحة كل الوضوح في غالبية القصائد البدوية المعاصرة •

يقول الدكتور طه حسين : والقصيدة العربية الشعبية الآن كالقصيدة العربية القديمة تبدأ بالغزل البسيط المؤثر ثم تنتقل الى وصف الابل وتطيل في ذلك ثم تصل الى غرضها(١) •

ونحن نتفق وهذا الذي ذهب اليه الدكتور طه حسين لان ذلك واضح كل الوضوح فيما بين ايدينا من شعر بدوي •

يقول محمد العبد الله القاضي :

يَا مَالْ قَلْبٍ حَنْ عُقبِ الْولْاف
ما هُوبْ من فُرقَا الْمحبين صَبَّار

جَرْحٍ بْلاجِي محْمَلِ الْرُوحْ خَافي
وْهجْرٍ فِجرْ قَلْبي وْبِهْ ما صار

وْضِيْقٍ غِميْقٍ بالحشالُهْ مَهَافي
ويلٍ طُويلٍ جَاشْ بِالْجَاشْ كَانَّار

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب ـ ص ٢٤ •

مما جرى جفني عَن ِ ا ْلنــُـوم ْ عـــَــاف

قد حـَار َت َ ا ْفكـَاري و َضـَاعن َّ ا ْلافـْكـَار

خـِشـْف ِ د ُو َاي و ْد َاي ْ بـشـْفاه ْ شـَافي

ومـْن ِ ا ْلأشـَافي سـَال ْ مـَا كاسْ عـَصـَّــار

ويمضي هكذا في تغزله ووصف حبيبته وما يلاقيه من وجد وانـين وحنين ولهفه ثم ينتقل الى الخطوة الثانية وهي اركاب الركب ووصف هذه الابل ، والمفاوز التي تقطعها :

هذا ْ ويـَا مـَن ْ فـُوق ْ حـَمـْر َا عـْسـَـــاف

تـِد ْني ر ِيـَا ز ِيـْم ِ ا ْلفـَيـَافـِي و َالـِقـْفـَار

ْو كـَنـُّـه ْ اذا ما طـَــال ْ جـَــذ ْب ِ ا ْلفـَيافي

تـِقـْدي مع َ ا ْلبـَيـْد َا كـَمـَا يـُوم ْ بـَحـَّـــار

و ِالا َّ ظـِلـْيم ِ حـِين ْ بـَالـْعـَـين ْ شـَــــاف

و ِمـْن ِ ا ْلو ِنـِسْ قـَفـَّا مـَع َا ْلد َو ْمـِنـْذ َار

ما فـُوقـُه ْ غير ِ ا ْلكـُور ْ طـَفـْح َ الـِظـْلاف

و ْخـُرج ِ و ْمـَعـْلـُوق ِ عـَلى ا ْلكـُور ْو ِعـْذ َار

ويستمر هكذا في وصف هذه الابل السريعة وقطعها المسافات البعيدة الى ان يصل الى غايته :

مـِلـْفـَاك َ ابـُو ْ ز ِيـْـد ِ حـِجـَا مـَن ْ يـِخـَــاف

منـِطـْفي لـَظـَا ا ْلهـَيـْجـَا الى مـِد ْخـَن ِ ثـَــار

هـُو ْ ر ِيـْف َ اهـَل ْ هـِجـْن ِ تـِلانـَن ْ تـْـلا َف

مـِسـْقي ا ْلعـِد َا َسـم َّ ا ْلا َفاعي و َالـِمـْــــرار

ويستمر في مدحه وتعداد صفات الممدوح ثم يسأله ما يريد •

وقد تبدأ القصيدة بالوقوف على الاطلال والبكاء عليها ووصفها وتذكر الايام الخوالي ، يقول عبدالعزيز المحمد القاضي :

عَفَا رَسْمُ سلمى وَاصْبَحَ الْنَزِلْ مِنْزَاحْ
وْلِعِبَتْ بْدَارِسْ رَسِمْهَا هُوجَ الارْيَاح

وكقوله :

سلامٌ على مَا بَانْ مِن طَلَلٍ بالي
وْرسمٍ بْرَبعِ آلْدارْ بَعْدَ الاُنْسِ خالي

ومثال ذلك قول ابي حمزة العامري[1] :ــ

حَيَّ الْمَنَازِلْ مِنْ قَادَّاتَ الاَطْلاَلي
مِنْ حِيْثْ مَا يِنْقَادْ سيلِ الْما الى سالي
سيلِ الْبَرَاعِيمْ يُومَ الْدارْ جَامْعَهْ
الى خَلَتْ عَنْهَا وْشَاةَ الْسُوْ غَفَّالي
ايّامَ انَا امْشِي بْعَجَّات الصبا فَرْحْ
وَاسَاحِبْ مِنِ ثْيَابِ الْغَيَّ الذْيالي

وقول عامر السمين[2] :

لمن طلل بين الخمائل والخالي
خلا وخوا واختلا مَنْزِلُهْ الْخَالي

---

(١) وهو من قدامى شعراء البدو عاش في أواخر القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر •

(٢) من معاصري بركات الشريف • الفارس والشاعر واحد اشراف مكه وهو من شعراء القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين •

دِرِيْسٍ مِنْيِس لا وِنِيْسٍ بَرْبَعْهَا
خَلَتْ مَا سِوَى الْسَرْحَانْ وَالْرِيلْ وَالْرال

عِفَتْ مِنْ كُثْرْ وَدْقَ السَّحَايِبْ وَالْسِّفَا
الى اسْجَعَتْ في سَفِحْهَا الْرِيعْ ذيالي

انها نفس افتتاحيات القصائد الجاهلية نفس الروح ونفس التعابير • وقد يفتتحونها بالشكوى والانين • وما يلاقيه قلب الشاعر وذكر صروف الدهر وتقلبات الايام •

يقول العوني :

اللهْ عَلَى قَلْبٍ لِيَا هَوَّدَ اللِيل
عَلِيْه غِدَنَّ الدِقَايِقْ ثِقَايِلْ

اعاضْ بِي كُثْرَ الِقرى وَالْتَعَالِيل
تِذْكَارْ وِذْكَارْ وقِيلٍ وقَايِل

العينْ كَنَّ بْمُوقْهَا يُولَجَ الْمِيل
هايِضْ عليها مَنَ اللَّيَالي غلايل[1]

عَلَى عْيَالْ عَمِّي سْنَادِي عَنِ الْميل

اقْفَوا كما مِزْنٍ ثِقِيلِ الْمِخَايِل

ثم ينتقل الى الركب ووصف الابل ويتدرج هكذا الى اخير القصيدة • وقد تبدأ القصيدة بذكر الله والدعاء والتوسل اليه او بذكر النبي (ص) كقول الشاعرة دكيس :

---

(١) وروي البيت كما يلي :

العين كن بموقها يدرج الميل عيّت تطيق النوم من فور جايل

يا اللهْ يا عَايْدٍ عَلَى كُلْ دِيْرَهْ
يَارِبْ يا مِنْشي مِزْنٍ مِصَادِيْر

يا الله عسى ما تِكْرِه النَفِسْ خِيْرَهْ
يَا وَالْيَ الدِنْيَا عَلِيْكْ التَدَابِير

وكقول عبدالله بن سبيل :

يا الله يا عَالْمٍ خَفِيّاتِ الاسْرار
يا عالمٍ ما يِطْرقْ المُودْمَانِي

تْفُكْ حَبْلِ اللّى مِنِ العامْ بِوسْار
وتِمْحي مُوَدِّةْ صَاحْب كَيْدَرَاني

وكقوله ايضا :

بِدِيْت بِذِكْرِ الله بْكُلْ مَا طِرا
مْجِيبَ الدَعامِعْطياْلعَطَاياالجِزايل

وفي احيان كثيرة تبدأ القصيدة بمخاطبة راكب الناقه الذي يحمل عاده رسالة الشاعر الى حبيبته او ممدوحه فتبدأ عادة بقولهم (يا راكبا) أو (راكب اللى ....) أو (يا نديمي) .

يقول راكان ابن حثلين :

يا راكبٍ حُرٍ تِذَرَّبْ سَنَامَه
نيٍّ على نيٍ جِدِيْدٍ ومَا العَام

ولمحسن الهزاني قوله :

قُمْ يَا نِدِيْمي فُوْق حُرٍ هَجِينا
مِمْشَاهْ يُومٍ لِلْهِجَا هِيجْ عشرين

وقول ابن رشيد :

يا نديمي على من شامخ نابه
نازح الدار مرواحه يقربها

وقول الآخر :

راكب الحمره لها الكور شدي
قم يا وليفي واعتلي فوق هياف

ومن ثم ينتقل الشاعر الى وصف هذه الابل ومجاهل الطريق ثم ينتقل الى الغرض الذي يريده وهم في انتقالهم من الغزل الى وصف الابل الى المدح او الفخر يتوخون ان يكون تخلصهم حسنا فيهيئون ذهن السامع للانتقال معهم الى الغرض الثاني الا انهم كثيرا ما ينتقلون فجأة وبدون مقدمة فترى الشاعر يصف الابل ومجاهل الطريق وسرعة هذه الابل واذا به فجأة ينتقل بقوله (من بعد ذا) او (وخلاف ذا) او (هذا و ...) وهي تتكرر بكثرة في اشعارهم وهي مشابهة الى حد بعيد لبعض انتقالات شعرائنا الجاهلين مثال ذلك انتقال زهير بن ابي سلمى من معنى سابق الى مدح هرم بن سنان حيث يقول :

دع ذا وعد القول في هرم
خير البداة وسيد الحضر

ومنه ايضا قول لبيد :

لا سماء اذ لم تفتنا ديارها
ولم نخش من اسبابها ان تجذما
فدع ذا وبلغ قومنا ان لقيتهم
وهل يخطئن اللوم من كان الوما

ف « دع ذا » هي نفسها « وخلاف ذا » فالمعنى واحد . يقول راكان بن حثلين :

وِخْلافْ ذَا يا راكْبٍ فُوقْ هَيَّــاف
بِتِيلْ سَـاجٍ وْمقْتِفِيْهِ الوِلامـــى

بعد قولـــه :

عَسَى لْهُمْ بَاْيَاتْ منحَجٍ وْطَافْ
عِزٍ لْحَاضِرْهُمْ وْلِلْحَيْ دَامِــي

اما خاتمة القصيدة فعلى الاكثر تكون نهاية عادية تماما كما تنتهـــى القصائد العربية الا انهم قد يختمونها احيانا بالصلاة على النبي (ص) او بالدعاء الى الله يقول عبدالله بن ربيعه :

وْصَـــلاةْ رَبّي عَدَ مـــا زَايلٍ زَال
عـــلى نبيٍ خَصِنَا بَالْرِسَالَـــــة

وكقول محسن الهزاني :

خَتِمْ هَذَا الْقيلْ وَالْمكْتُوبْ قِلْت
مَرْحبا مَنْ غَرَّقٍ بْرَاقٍ بْمَـــــاه

ثم صــلى اللهْ عَلَى خــير الانـــــام
ما حـــدا الحـــادي وما رجّعْ غِنَـــاه

وكقوله ايضــا :

وْصَلاْةْ مَنْ يِحْيي رِمِيْمَ الْعظَايِمْ
على الذي شـــرَّفٍ بْقَـدْرْهْ بْتَعْظِيـــم

وكقول محمد العبدالله القاضي :

خَتْمِ القوافي في صلاةٍ لْمنسُوب
اشرفْ نبي بيَّنِ الْحقْ بِكْتَاب

هذا الذي ذكرناه هو الغالب في بناء القصيدة من حيث الابتداء والتدرج من غرض الى غرض والانتهاء منها •

الا ان هناك قصائد لا تلتزم شيئا مما ذكرناه ، غير انا ذهبنا في تحديدنا هذا على ما وجدناه في الغالبية العظمى من شعرهم اما الباقي فلقلته لا يقاس عليه •

ونخلص من كل هذا الى القول بان القصيدة البدوية تساير القصيدة العربية الجاهلية في أكثر نواحيها فهي تكاد تكون صورة من القصيدة العربية في سابق عهدها •

وقبل ان انهي الحديث عن القصيدة وبنائها أرى من المفيد أن اشير الى أن الطريقة التي يذكرها ابن خلدون[1] في ابتدائهم للقصيدة باسم الشاعر تكاد تكون معدومة الآن غير اننا نجدها بكثره عند قدامى شعراء البدو امثال راشد الخلاوي وابي حمزة العامري والشريف جري والشريف بركات وعرعر بن دجين ••• وغيرهم مثال ذلك قول راشد الخلاوي[2] :ــ

يقْولْ الخلاويْ الذي ما يكْوده
جديدِ الْبنَا منْ غالياتِ الْقصَايدْ

وقوله :

يقْولْ الخلاويْ حاضرِ الْرايْ صايبْه
مْصابَ الْحشَا مادْهَا بأدْهَا مْصايبْه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ١١٢٥ •

(٢) وهو من شعراء القرن التاسع الهجري يعد من أقدم شعراء البدو فقدت أكثر أشعاره ولم يبق الاّ القليل مما يرويه البدو • وقد كان ملما بالنجوم وهبوب الرياح ومواسم الامطار • وقيل انه صلبي نسبة الى قبائل صليب •

وقولـه :

يقول الخـلاوي والخـلاوي راشـد
لِلنّاسْ مِيْـلانٍ وَانَا لي لْسَانْيَه

وقول الشريف جري[1] :ــ

يْقُوْلِ جْرِيْ وَاشْرَفِ اْليُومْ مَرْقَبْ
طُوِيلَ اْلـذَرا للريحْ فيـهِ زْلِيـل

وقول الشريف بركات :ــ

قَالِ بْرُكَاتِ اْلحسيني وَالّذي لَـهْ
جْـوَادٍ مَا تِـدَنّا لِلْمِبِيْعَـه

وقول عرعر بن دجين :

يْقُولِ الّغرْيري الّذي باتْ مَالَـه
هوا غـيرْ طَلْبَ اْلطَايْـلاتِ هْوَاه

وقول ارشيدان[2] :

يْقُولِ ارْشيدانِ اْلتميمي مْثَايِـل
تَرَاهِنْ لاخْيَارِ اْلرجـالِ اثْيـاب

---

(١) وهو من شعراء القرن الحادي عشر الهجري ·

(٢) هو ارشيدان بن غشام التميمي من آل بو سعيد بطن من تميم عاش في أواسط القرن الحادي عشر الهجري ·

الفصل الثالث

الاوزان والقوافي

الاوزان :

ان الدراس لهذا الشعر يجد صعوبة جمة في حصره باوزان محددة خاضعة لتفعيلات معينة يمكن للمدارس ان يحدد على ضوئها عدد البحور التي ينظم فيها هذا الشعر ، وان يتمكن عن طريق اتقان هذه التفاعيل ان يلم بأوزانه •

لقد حاولت جاهدا ان احصر اوزان هذا الشعر فلم اصل الى نتيجة وكان نصيبي كنصيب ابن سناء الملك الذي حاول ان يقيم للموشحات عروضا « يكون دفترا لحسابها وميزانا لاوتارها واسبابها فعز عليه ذلك لخروجها عن الحصر »[١] ولان هذا القسم من الموشحات لا مدخل لشيء منه في شيء من اوزان العرب • وهذا القسم هو الكثير والجم الغفير والعدد الذي لا ينضبط[٢] •

ولقد حاول قبلي الاستاذ عبدالله بن خميس ولكنه فشل على الرغم من طول باعه وعلمه الوافر بالشعر البدوي ، يقول : عمدت الى مجموعة واحدة لاحد الشعراء البدو وهو ابن جعيثين وهو من المكثرين وممن يتلاعبون باوزان هذا الشعر ويتقنون في ضروبه فوصلت الى ما يقارب العشرين وزنا ولمّا اقارب نهاية الديوان فكيف بجميع الديوان ثم كيف بجميع شعرهم قديما وحديثا[٣] •

---

(١) دار الطراز ص ٣٥ •

(٢) نفسه •

(٣) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٦٠ •

الا اننا رغم فشلنا في ايجاد بحور معينة له قد لاحظنا ان الوزن في هذا الشعر خاضع لمقاطع صوتية كما هي الحال في اوزان الشعر الغربي لـــذا نراه قد جاء على اوزان لا يحصرها عد كما في الزجل حتى قيل ان صاحب الف وزن ليس بزجال •

وهذه المقاطع الصوتية يختلف عددها بين قصيدة واخرى ، ولما لـــم يكن هناك ضابط او عدد متعارف عليه لهذه المقاطع الصوتية في كل وزن وانما الشاعر حر في اختيار العدد الذي يخضع له قصيدته لذا تعددت الاوزان وكثرت حتى لم يعد في الامكان حصرها او تحديدها •

وقد ذهب السيد أحمد حسن الخطيب الى ان النغمة هي الضابط الاول والاخير للوزن • وان هناك أنغاما معروفة هي كالقالب للشعر يصاغ هذا الشعر ويصب ضمن اطارها • فالوزن يتبع النغمة وكل نغمة تختلف عن الاخرى بطريقة غنائها ، تماما كما هي الحال في الحاننا الشعبية اذ عندما يريد الشاعر ان ينظم زجلا لـكي يغني على لحن من تلك الالحان يرصف الـكلام الذي ينطبق على ذلك اللحن(١) •

الا أننا لا نتفق مع الاستاذ فيما ذهب اليه • صحيح ان كل نغمـــة تختلف عن الاخرى بطريقة غنائها فلـكل نوع من أنواع الشعر البدوي نغم خاص يغنى به • ولـكن ليس صحيحا ان هذه الانغام كالقوالب للشعر يصاغ ويصب ضمن اطارها • فلو كان الحال كذلك لجاء الشعر البدوي على أوزان معدودة بعدد انغامه التي لا تتجاوز الاربعة أو الخمسة أنغام ، ولما جاء هذا الخضم اللاطم من الاوزان التي لا تحصر •

قد يصح هذا القول الى حد ما بالنسبة للحداء والسامري الذي يلتزم كل منهما وزنا معينا ونغما يساعد على تحديد هذا الوزن لان كلا من هذين النغمين خفيف واداؤه يشابه التقطيع العروضي ، ولـكنه لا ينطبق في حال

---

(١) الشعر عند قبائل الدولة ــ بحث لم يطبع •

من الاحوال على القصيد الذي يعتبر أهم أنواع الشعر البدوي وغالبية هذا الشعر تدخل ضمن نطاقه . وقد جاء غنيا بالاوزان التي لا تحصى لكثرتها . فلو كان النغم هو القالب الذي يصب فيه لوجب ان يأتي على وزن واحد كما في الالحان الشعبية التي تكلم عنها . اذ أننا نعلم ان الانغام الشعبية في مصر وسورية والعراق ولبنان هذه الانغام الشعبية المشهورة تلتزم الاشعار المغناة بها أوزانا ثابتة لا تتغير فلكل نغم وزن معين لا يتغير هذا الوزن بتغير الاشعار وانما يحافظ على عدد من التفعيلات أو المقاطع الصوتية في كل بيت فالنغم الصعيدي المشهور (سَلِّمْ عَلَيْ .. لَمّا قابلني وسلّم علي) أو نغم (آه يا زين) ونغم (الابوذية) العراقية أو نغم (النايل) ونغم (على دلعونه) السوري أو (على اوه مشعل) ونغم (يابو الزلف) اللبناني وغيرها وغيرها الكثير من الانغام الشهيرة تلتزم الاشعار المغناة بها وزنا واحدا معينا لكل نغم في حين ان ذلك غير وارد بالنسبة للقصيد الذي تتغير مقاطعه الصوتية أو تفعيلاته من حيث عددها ونوعها من قصيدة الى أخرى خذ مثلا قول الشاعر :ـ

اْلبَارْحَة وَانَا بْطِيبِ رْقَادي
اسْتَارَقَتْ عيني وْطَالِ سْهَادي

وقول الشاعر :ـ

باللهْ يَاهْلَ اْلهِجِنْ عِوْجُوا رُوْسْهَا
واِصْحُوا لْمَسِّ احْبَالْهَا بِحْلُوسْهَا

أو قول لآخر :ـ

رَوِّحِ اْلرَايِحْ من دِيْرِةِ اْلعُوجَا يِخَيْلُونَهْ
بَارْقَةْ لايْحِ وَبْلَهْ كما دَرْجِ يِصَبُّونَه

فالتباين واضح في عدد التفعيلات أو المقاطع الصوتية في حين ان النغم

واحد • وعلى هذا يمكننا القول بان النغمة ليست بالضابط الاول والاخير ولا هي بالقالب الذي يصب هذا الشعر في اطاره وانما قد تكون مساعدا لهم في ستر عيوب بعض الابيات المفككة البناء والمخلخة الوزن وهذا ليس بالامر الجديد « ذلك ان القوم كانوا يجبرون بنغمات يسمعونها مواضع من الشعر لا يستوى بها الوزن »(١) •

وهذا الذي قلناه لا يعني ان الشعر البدوي جميعا لا يخضع لاوزان محددة معينة وانما كلامنا هذا يصحح على قسمين مهمين من أقسام هذا الشعر وهما القصيد والهجيني وهما يشكلان وخاصة القصيد الجزء الاعظم ان لم نقل غالبية هذا الشعر في حين ان القسمين الاخرين وهما السامري والحداء يلتزم كل منهما وزنا معينا • اذ اننا ذكرنا في بحثنا عن انواع الشعر البدوي ان الحداء يلتزم بحر الرجز بكل ضروبه وان كان الاعم الاغلب منه يأتي على مجزوئه •

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وقلنا أيضا ان السامري يلتزم ـ الا النادر والقليل منه ـ بحر الرمل

فاعلاتن فاعلاتن فاعلات فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

وقد لاحظنا خلال محاولاتنا لايجاد بحور وأوزان لهذا الشعر ان هناك قصائد تخضع برمتها أو مع تعديل بسيط في بعض أبياتها الى أوزان الشعر العربي المعروفة مثال ذلك قصيدة للشاعر محمد العبدالله القاضي ومطلعها :

غريم بالهوى روحي على طفل قصف روحي

ومنها :

عبير المسك خناته وريح فاح به روحي

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٨٣٢ ـ التوحيدي ومسكويه •

وروحي راح برياحـــي   كففت الدمـــع برياحي
وهب الهجـــر برياحي   ليفشي ســـر منضوحي

فقد جاءت هذه القصيدة على :

مفاعيلـــن مفاعيلـــن   مفاعيلـــن مفاعيلـــن

وقصيدة عبدالعزيز المحمد القاضي ومطلعها :

اَلصِّدْقَ اجْمَلْ مَا تِنْطِقْ بُهْ
وَاشـــيِنِ الْـكِذْبِ وْرَاعِيْـــه

ومنهـــا :

عِلْمِ مِبْدِيْهْ وْقَصْدِي بُهْ
جَلَّى الشُّبْهَةْ عَنّـــي نِيـــه
وِاللّي رامِيْني قُمْتَ اطْلُبْ
ربّـــي بِلْسَانُهْ يِرْمِيــــه

وهذه القصيدة تلتزم البحر المتدارك :

فعلن فعلن فعلن فعـــل   فعلن فعلن فعلن فعـــل

وقصيدته التي مطلعها :

رِفِيعِ مَنَالَكْ ، بعَصْرِ مضى لَكْ
وكـــل شـــفيقِ تمنـــى وصـــالك

ومنهـــا :

وبنتِ جَميلَةْ وَعَـــينِ كحيلة
تِصِيْبِيْنَ قَلْبَ الْفَتَى في غزالك

ونابي رِدْفِكْ وسابِحْ زِلوفِكْ
وعـالى وصوفِكْ وصافي جمالك

وهذه القصيدة تلتزم البحر المتقارب :

فعولن فعولن فعولن فعول   فعولن فعولن فعولن فعول

وقصيدة نمر بن عدوان التي مطلعها :

عِلْميْ بِشوقي نايما فُوْقَ اشْعَلِ
اِمْشَمْرِخِ الْساقينْ شِلْعِ مْشُولَعِ

وهي تلتزم بحر الرجز :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن   مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وهناك قصائد أخرى عديدة لشعراء آخرين أمثال العوني وابن لعيون وحميدان الشويعر وراكان بن حثلين وغيرهم تذهب هذا المذهب وقد جئنا بتلك على سبيل المثال لا الحصر :

وقد وجدنا علاوة على ذلك أبياتا كثيرة جاءت على أوزان الخليل فكثيرا ما نجد في بعض قصائدهم البيت والبيتين أو أكثر تجري مجرى الابيات الفصحى في التزامها للعروض العربي •

وها نحن نورد بعضها على سبيل المثال فقط • يقول عبدالعزيز القاضي :

ولي من جميل الصبر درع عن الخنا
ولو حبها ما هوبْ عن خاطري ماحى

فقد جاء هذا البيت على البحر الطويل وهو من قصيدة مطلعها :

عفار سم سلمى واصبح النزل منزاح
ولعبت بدارسْ رسمها هوج الارياح

وهو يلتزم البحر الطويل أيضا وكذلك عدد لا يستهان به من أبيات هذه القصيدة وقد جاء على البحر الخفيف لمحمد العبدالله القاضي قوله :

شُوقُهُ وْشَافَ ٱلْشُوْق وَٱلْشُوْق قَازى
بَٱلْبُعُدْ وَالاَّ الصَّدِ مَا عَاد يِعْتَاز

وعلى الوافر لابن لعبون :

الا يا ويلْ مَنْ جَفْنُهْ عَلاَمَـا
مُضَىْ لُهْ عنْ لِذِيذِ ٱلْنُوم جازى

وعلى الرجز ــ وهو كثير في شعرهم ــ قول رميزان :ــ

مَخْمُوصِةِ آقْوَامْ ضَامرةَ ٱلْحَشَا
كَتْفِ وْرِدْفِ وَٱلْهَفَا بِخْصُورْهَا

وعلى المتدارك لحميدان الشويعر قوله :

الارنبْ ترقدْ ما تـوذي
وْلاَ شِفْتِ ٱلنَاسِ تْخَلّيها

وِالسَبْعِ ٱلْمُوذي مَا يرقدْ
مَا يوطَا بارضِ هُوْ فيها

وعلى البسيط للمديوي :

ولا تطعْ من ضعيفاتِ عزائمه
فكلُ طبعِ الى راعيه ميَّال

وعلى الكامل للعامري :

وشهرت راس الرمح ثم ركزته
في المهرة المقذولة الشقراء

وعلى المتقارب لعبدالعزيز المحمد القاضي :

فآه على ما مضى لي وآه
علَيَّ كُلِ يوْمٍ بَدَا لِي وَغَابْ

وهو من قصيدة مطلعها :

هوَى النفسِ لَوْ طابَ يازي عقاب
ومَنْ لا يذُودُه بالايمانِ خَاب

وفي هذه القصيدة عدد لا يستهان به تلتزم هذا البحر ـ المتقارب •

القـــوافي :

قبل ان ابدأ الـكلام عن القوافي في الشعر البدوي أرى من المفيد ان أتعرض الى نشأة القافية وتطورها وبعض مظاهرها بشكل موجز لما له من علاقة في هذا الشعر البدوي موضوع البحث •

فقد نشأت القافية نشأة موسيقية كما هي الحال في الاوزان فهي في أول أمرها كانت سجعة • والسجعه اقدم القوالب الفنية العربية[١] • ومن ثم ترقى السجع الى بحر الرجز ومنه نشأت الابحر الاخرى[٢] •

حيث التزم الشعراء بالقافية في آخر الشطر الثاني من البيت ، بعد ان كانت القافية الواحدة ملتزمة في آخـر الشطر الاول والشطر الثاني على السواء وهذا واضح فيما بين ايدينا من الرجز ، فالالتزام بالقافية في اخر الشطر الثاني من القصيدة انما يمثلها وهي في طورها الاخير الذي نراه فيها الآن •

ونرى أن التزام القافية في آخر الابيات انما جاء تمشيا مع الغناء • لانها قوية اشبه بوقفات المغنين وسكنات الناقرين بالدف والمصفقين بالاكف

---

(١) بروكلمان ـ تاريخ الادب العربي ـ ص ٥١ •
(٢) بروكلمان ـ المصدر السابق •

فهي نهاية النفس في البيت واستراحة من البيت الى البيت ، ولانها ـ مضافة الى الوزن ـ تكسب الشعر رنينا وتزيده موسيقى[١] .

ويذهب الدكتور مصطفى عوض الكريم الى القول بأن القافية كانت في بادىء الامر صوتيه[٢] ، معتمدا في ذلك على ما لاحظه في قوافي الرجز كما في قول الراجز :ـ

ما تبتغي الحرب العوان مني   بازل عامين صغير سني
لمثل هذا ولدتني أمي

وقول الراجز الآخر[٣] :ـ

يا قبح الله بني السعلات   عمر بن يربوع شرار النات
ليسوا بأحرار ولا أكيات[٤]

أراد شرار الناس واكياس . وقد زعموا انها لهجة من لهجات العرب تبدل (السين) (تاءً)[٥] . الا أنهم لم يؤيدوا زعمهم هذا بشيء من الشعر القريض ، وكل الذي ذكره صاحب الأمالي قوله قال الاصمعي : يقال : الكرم من سوسه ومن توسه ، أي من خليقته . ويقال : رجل حفيساً وحفيتاً ، اذا كان ضخم البطن الى القصر ما هو . ثم يذكر هذه الاشطر الثلاث من الرجز نقلا عن الفراء[٦] . وطبيعي ان هذا لا يكفي لاعتبارها لهجة خصوصا وانهم لم ينسبوا هذه اللهجة الى قبيلة من العرب كما كانوا يفعلون عادة حين يذكرون هذه اللهجات . ويبدو أن علماءنا السالفين

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ـ شوقي ضيف ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ـ أحمد محمد الحوفي .
(٢) فن التوشيح ـ مصطفى عوض الكريم .
(٣) وهو علباء بن الارقم كما جاء في اللآلي .
(٤) وروي : ليسوا اعفاء وروي أيضا غير اعفاء .
(٥) الامالي : ج ٢ ص ٦٦ ـ ٦٧ .
(٦) نفس المصدر السابق .

ـ عفا الله عنهم ـ قد أرضاهم هذا التفسير غير انهم وجدوا أنفسهم في غمرٍ من هذه الابيات التي تختلف قوافيها في القطعة الواحدة ، فاحتاروا في تعليل هذه الظاهرة ففسروا قسما منها على انها لهجات وافترضوا انها تقرأ بروي واحد كما في الاشطر السالفة ، وفسروا القسم الآخر بأن عيبا قد اصاب الروي واطلقوا عليه اسم « الاكفاء » وهو عندهم اختلاف حرف الروي فيأتي مرة « نوناً » ومرة « ميماً » ومرة « لاماً »[1] . مثال ذلك قول امرأة من خثعم في رجل من عقيل كانت قد عشقته :

ليت سماكياً يحار ربابه   يقاد الى أهل الغضا بزمام
فيشرب منه جحوش ويشيمه   بعيني قطاميّ أعز يماني[2]

ومنه قول ابنة ابي مسافع :

فما ليث غريف ذو اظافير واقدام
كحبيّ اذ تلاقوا ووجوه القوم أقران
وانت الطاعن النجلاء منها مزبدٌ آن
وبالكف حسام صارم ابيض خذّم
وقد ترحل بالركب وما نحن بصحبان[3]

وقول أبي سليمان الغنوي :

يا ريها اليوم على مبينِ   على مبينٍ جرد القصيم[4]

غير أننا لا نرى رأيهم ، وانما نعتقد أن هذه الظاهرة بقية من بقايا كون القافية صوتية في طورها البدائي . قد يقال ان هذه الظاهرة راجعة الى تقارب مخارج هذه الحروف وقد أدى هذا التقارب الى وقوعهم في هذا الغلط[5] . وهذا صحيح الى حدٍ ما ، واقتراب من الرأي الذي ذهبنا اليه ،

---

(١) الموشح للمرزباني .
(٢) و (٣) و (٤) نفس المصدر السابق .
(٥) نفس المصدر السابق .

لان غلطهم انما هو نتيجة للتقارب الحاصل في حكاية أصوات هذه الحروف • غير أن هنالك أبياتاً اختلفت قوافيها ولم تكن ضمن هذه الدائرة التي تحدث عنها المرزباني • مثال ذلك قول جواس بن هريم :

قبحت من سالفة ومن صُدُغْ
كأنها كشْيَةُ ضب في صُقُعْ

ومنه :

اذا ركبت فاجعلوني وسطا انى كبير لا أطيق العندا[1]

وعلى هذا يمكننا القول بأن هذه الظاهرة لم تقتصر على الحروف المتقاربة في مخارجها وانما تعدتها الى الكلمات المتشابهة في توافقها الموسيقي ، وجرسها وحركات حروفها • فكلمة « صُدُغْ » و « صُقُعْ » • وكلمة « وسطا » و « عندا » • واحدة في توافقها الموسيقي • وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه في كون القافية قد نشأت نشأة صوتية • وقد ساعد على ذلك كون الشعر يؤدى منغوماً •

وما زالت هذه الظاهرة موجودة في الشعر البدوي حتى الآن • حيث لاحظنا ذلك خلال دراستنا للنصوص الشعرية البدوية التي بين أيدينا مثال ذلك • قول العوني :

وِيـنْ الطَـنَـايَـا وِيْـنْ شَـرَّابْـةِ الْهِـيـلْ
وِيْـنِ الحـيُـوْدِ اللّـي تْشـيْـلِ الشِـقَـايـلْ

ديارِ لَـكُـمْ عُـقْـبُـكُـمْ طَـبَّـهَـا الْشِـيْـنْ
تبكـي ارْجَـالْ وْمْـكُـرْمَـاتِ الاَصَـايـلْ

(١) جاء البيت في اللسان في مادة « عند » • وفي الموشح للمرزباني •

وكقول ابن سبيل :

هَا فِي الْحَشَى كَنَّهْ عَنِ الْزَادْ مَحْزُومْ
وَالشُّوبْ يِشْكِي مَا نِبَا مِنْ رْدُوفُه

وَالْزِيْن فِي مِقْرَنْ حَجَاجِيه مَقْرُونْ
رَشْمِةْ مُهُرْ شِيْخٍ شِبَعْ فِي مِضُوفِه

وكقول نمر بن عدوان :

أَمْرٍ جَرَى لِي بِالتِقَادِيرْ وَاسْبَابْ
غَصْبٍ عَنِ الْلِّي يِرِيدْ وَالْمَا يِرِيدِ

البَارِحَةْ يَعْقَابْ حِيْنِ القمرْ غَابْ
وْحِينِ الثريَا كُوكَبَتْ عَالْمِغِيبِ

وكقول أبي حمزة :

قَالَ أَبُو حمزةْ وهَيَّضْ مَابُه
فُوقَ الْنِضَا مِتْمَايِلٍ تَعْبَانِ

كَمْ مَجْلِسٍ عَلَّلْتُهُمْ بِرِبَا بْتِي
شُمْطَ اللِّحَى وغَطَارْفَ الْصِبْيَانِ

عَلَّلْتُهُمْ وِاشْبَعْتُهُمْ تَعْلِيْلَه
لِيمَا غِدَوْ مِثْلِ الْهَشِيمِ الْبَالِي

وقوله في نفس القصيدة :

قَالَتْ يَبُو حمزةْ وَشْ هَالمْجِيبَكْ
والبيتْ مَلْيَانٍ وْعَلِيهِ ارْجَالِي

فعلى الرغم من اختلاف الحرف الأخير الذي هو روي القافية بين :

اْلهيِلْ و اْلشيِنْ
مَحرْوُمْ و مَقرْوُنْ
يِرِيدْ و مِغيبْ
• • • • • و • • • • الخ

نراها مقبولة عندهم ولا تثير أي انتباه وذلك راجع الى ما قررناه سالفا من توافق موسيقي ، وتقارب في مخارج الحروف ، وتشابه في حكاية الاصوات • وعلى هذا يمكننا القول بأن الذي رأيناه انما هو بعض بقايا المظاهر التي تدل على نشأة القافية نشأة صوتية ، وبالتالي تفسير لوجود مثل هذه القوافي في الشعر البدوي المعاصر •

ونخلص الآن الى الحديث عن القوافي في الشعر البدوي محاولين في ذلك اعطاء صورة شاملة وواضحة عنها •

القافية عندهم تسمى « القاف » •

قال شاعرهم :ـ

قال المعيضي باْلضحَى يِبْدِعَ اْلقافْ
في دارْ سمْحِينَ اْلوِجْوهْ كْرامْ

والقصيدة البدوية مبنية ـ عادة ـ على قافيتين ، قافية في الصدر وقافية في العجز يلتزم بهما الشاعر الى نهاية القصيدة ـ وهذه الطريقة معروفة في الشعر العربي ويسميها أهل البديع « التشريع » ـ مثال ذلك قول بن سبيل :ـ

يا من لقلب طارْ عَنْهُ اْليِقيِنْ
من يومْ قُفَنِّ اْلضعايِنْ زِهازِيمْ
وِذْكَرْتْ مَنْزِلْهُمْ عَلينا قِطيِنْ
ايامْ عِنْدي بينْ شدّادْ وِمقِيمْ

ويقول عبيد العلي الرشيد :

يا قَلْبْ مِنْ كُثْرِ الْهَوَاجِيْسْ هُولاَسْ
وِالنَفِسْ مَا تِطْرِبْ بَلَيَّا دُواكيك
وِالخَلْقْ حُكْمُهْ عندِ قرآنِ الاَنْفَاسْ
حِنَّا تَحَتْ حُكْمُهْ عَبيدِ مِمَالِيْك

وقد لفت نظري ان القافيتين اللتين تبنى عليها القصيدية تكونان من حرف واحد وقد قمت باحصائية فتبين لي ان غالبية القصائد المتوفرة لدي تنحو هذا المنحى • اذ تكون قافية الصدر وقافية العجز مبنية على حرف واحد الا انهما تختلفان في الحركة فتكون الاولى مكسورة والثانية مرفوعة أو منصوبة أو بالعكس ، أو ان يسبق احدهما الف والثاني واو أو ياء أو بالعكس • كان تكون القافية في الصدر (انشاد) وفي العجز (نشيد) أو (ساق) و (سوق) ••• الخ •

يقول محمد العبدالله القاضي :

يَامَلْ لِقَلْبِ كُلِ مَا الْتَمِ الاَشْفَاق
من عامِ الاَوَّلْ بُهْ دواكيكْ وِخَفُوق
كَنَّهْ مَعَ الْدَلاَّلْ يِجْلِبْ بِالاَسْواق
وْعَامِينْ عندِ مْعَزَلِ الْوَسَطْ ماسوق
يْجاهدِ جْنُودٍ في سواهيجَ الاَطْراق
وْيِكشفْ لهْ اسْرَارٍ كتمَّها بْصَنْدوق

ويقول عبيد العلي الرشيد :

يا اللهْ يالّلي تبديْ الْخلقْ وِتْعيدْ
وِالى بْغيتَ امْرٍ قضيتَ المْرَادِ

يا ْلواحدِ اللّي تِرَجّاكْ ما تعيــــد
ومن هوْ بْحرزكْ لايْذِ ما يصادي

ويقول ابن ربيعة :ـ

جُوديهِ شَلّتْ عنِ ْالزور وِحوار
اقفوا بهـــا كوعٍ عنِ احْوارها زور

ما وجدها وجـــدىْ وعَلاّمِ الاسرار
لا شَكْ لا حيلةْ الىٰ حلْ مقدور

ويقول العوني من قصيدة :[1]

شَمَّرْ مجابيسِ ْالمنايا هَلَ ْالخيل
عَصْمينَ الاَرْيَا مِجِحْمِينَ القُبَايل

وِينِ ْالطنايا وّينْ شرّابةَ ْالهيل
وّينِ الحْيودِ اللّي تْشيلِ ْالثِقَايل

ديارٍ لكمْ من عُقْبُكمْ طَبّهَا ْالشين
تبكي رْجَالِ وْمْكرماتِ الاصــــايل

وّينِ ْالسْيوفِ اللّي تْعدّلْ عَنِ الميل
وّينِ الرْمَاحِ اللّي نِحَتْ كل عايل

هذا الذي ذكرناه هو الغالب الاعم في طريقة التقفيه عندهم • وهناك طرق أُخرى للتقفيه وهي قليلة نسبيا في شعرهم اذا قيست بالطريقة التي

---

(١) ورويت هذه القصيدة لمحمد بن رشيد امير حائل انذاك هكذا رواها لي كثير ممن صادفتهم الا ان الاستاذ عبدالله بن خميس يثبتها للعوني في كتابه الادب الشعبي في جزيرة العرب » وكذلك السيد خالد بن محمد الفرج في مجموعته ديوان النبط » •

ذكرناها سابقا • ومن هذه الطرق اتباع الطريقة المعروفة في القصيدة العربية أي انها مبنية على قافية واحدة تلتزم آخر البيت ولا ينسى الشاعر ان يخضع المطلع لحلية التصريع حيث يلتزم صدر المطلع فقط نفس القافية التي عليها القصيدة[1] •

يقول العوني :ــ

بالله عوجوا يا ركيب رقابها
ما دمت عجل واحترف باسبابها

وانتم على فج النحور هوارب
ما تقصر آراضه متون اوجابها

والى قضيت وقلت دوكم حاجتي
إرخو حبال ارقابها تقدا بها

وله أيضا من قصيدته المشهورة باسم الخلوج :

خلوج تجذ القلب بتلا عوالها
تكسر بعبرات تحطمن اسلالها

تهيج مفجوع الضمير بحسها
الى طوحت حسه تزايد هجالها

له قلت آنا ياناق كفي عن البكا
لا تبحثين النفس عما جرى لها

(١) يذكر عبدالله الزامل ان هــذه الطريقة هي الاصل وكان البدو ينضمون شعرهم عليها حتى جاء الشاعر محسن الهزاني وابتدع الطريقة التي عمت الشعر البدوي وأصبحت غالبة عليه وهي التزام القافيتين في الصدر والعجز • أقول : ان ما بين أيدينا من شعر لقدامى البدو يؤيد ذلك غير أننا لا يمكن ان نجزم بأن محسن الهزاني هو الذي ابتدع الطريقة المعروفة الآن لاننا لا نملك دليلا قاطعا •

ومن قصيدة لمحمد العبدالله القاضي :

عنِ الدارْ دَارتني رحا الْبينْ بِشْفالى
والاقدارْ دَارتني عنِ الْشَمْلْ بِشمالي

تناءت بنـــا النياتْ بِالبعـــد والنيـــا
ولا طارشٍ ياتي بعلمٍ عـــنِ الغالي

زِهالي زِماني قدرْ عشرينْ حجةْ
بهنْ نِلتْ غاياتي وقْصدي وآمالي

اما الطريقة الثالثة والاخيرة فهي معروفة أيضا في القصيدة العربية وهي الرباعيات وطريقة التقفيه المتبعة فيها هي ان تكون الاشطر الثلاث على قافية واحدة ويكون الشطر الرابع على قافية أخرى مغايرة تبنى عليها جميع الاشطر الرابعة في القصيدة وترجع اليها في حين تتغير قافية الاشطر الثلاث • مثال ذلك قول محسن الهزاني :ـ

ســـالت مدامعْ ناظري فوقْ خـــدي
وَابديتْ لِلجهـــالْ مكنونْ ســـدى

نهـــارْ عاينْتِ الْحنـــايا تشـــدي
على ظْعونِ الْتَرِفْ ميّاسِ الاردان

فهنا جاء الشطر الرابع على قافية انون لذا وجب ان لا يفارقه الى آخر القصيدة • ويستمر محسن الهزاني في قصيدته فيقول :

طفلِ ســـلبْ عقلي بجيـــدِ وقُصَّه
وِامْبيسمِ يا حَظَ ابو من يمصـــه

وِقْريدةٍ فيهـــا الرعايِفِ وحصه
وِمْغيزلاتِ غْزيلِ حـــينْ ينِعـــان

وهكذا الى آخر القصيدة ...

وهذا مثال آخر لمحمد العبدالله القاضي :

يَا أهْلَ المناجيبَ العِجَال الهجان
قيفو ترى لذّ الكرى ما جاني

تِحَمّلوا يا ركبْ مِمَّا فِجاني
أبدي غرامٍ بين الاظلاع مكتوم

يالله يَا هلَ الهُرَّبِ الموجفاتِ
يقدن دوانيقٍ به الموج فاتِ

تِقهقروا يا ركبْ ما دِمتَ اقاتِي
غريب ملفوظ التواليف منظوم

هذه هي طرق التقفيه عندهم استخلصناها من اشعارهم والملاحظ انها جميعا معروفة في شعرنا العربي ، وقبل ان نترك الحديث عن القوافي نريد ان نقول اننا لاحظنا عندهم في بعض القصائد ابياتا تشتمل على قواف داخلية مما يسميه ابن رشيق « التسهيم » ويسميه قدامه « التوشيح » وهذه الظاهرة معروفة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي ومن اقدم امثلته قول امرىء القيس :

افادَ ، فساد ، وقاد ، فزاد   وساد ، فجاد ، وعاد فافضل

وقوله أيضا :

كحلاء في برج صفراء في نعج   كانها فضة قد مسها ذهب

وقوله أيضا :

واوتاده ماذبة • وعماده ردينية • فيها اسنة قضب

وقول الخنساء :

حمال الوية • هباط اودية • شهاد اندية • للجيش جرار

نحار راغيه • ملجأ طاغية • فكاك عانية • للمعظم جبار

وقولها أيضا :

المجد حلته • والجود علته • والصدق حوزته • ان قرنه هابا

خطاب محفلة • فراج مظلمة • ان هاب معضلة • سنّى لها بابا

وقد ورد مثل هذا في اشعار الهذليين امثال حنوب الهذليه وابى المثلم الهذلي وابي صخر الهذلي وكذلك في شعر ابي دؤاد الايادي :

أقول لقد لاحظنا في هذا الشعر البدوي كثيرا من هذا الذي ذكرناه آنفا مثال ذلك قول محسن الهزاني :ـ

واغتمازِ • وافتزازِ • والتزازْ • واهتزازِ قَدْ ودْهِنَّ الْمَايسات

واجتماعِ • والتماعِ • وامتناعْ • واستماعِ للحكايا المطربات

وقول بركات الشريف :

عزيز الحجا • بدر الدجى • ركن من لجا

اليـــه صـــــدوق الواو والعـــين والدال

ومنه أيضا قول مخلد الحتامى :

يا مال قلب تاقْ • من عقبِ الفِرَاقْ • وْيومي كما المسباقْ • بين المعاليق

بَيَّنْ عَلَيّه سهيلْ • مع تالي َالليل • ياويلْ عيني ويلْ • حِلْوِ المذاويق

ومنه قول عبدالعزيز المحمد القاضي :

فلولا اللحودْ • ونارْ الوقودْ • وبعثِ الرقودْ • وطول الحساب

وعيني تِشُوفْ • ونحن وقوفْ • لربي ضيوفْ • ورا كلّ بـــاب

وكقوله ايضا :

تصدين غيدْ • ومتلاعِ جيدْ • وظبيٍ عنيدْ • يُجولَنْ بجالك

وختاما لهذا الفصل نذكر اننا لاحظنا عند بعض شعرائهم تغنناً وترفا في نظم قصائدهم وخاصة الرباعيات فمن ذلك انهم قد يبنون القصيدة على حروف الهجاء فيخصون كل حرف « بقفل » الى آخر الحروف الثمانية والعشرين التي تتألف منها حروف الهجاء ويكونون بهذا قد اضافوا قافية اخرى في اول شطر من كل قفل مثال ذلك قول العوني :

انفْ أوْ لَفْ من حلا ما يفْزِ ّا

بينِ الكياتبْ والصيارفْ يلِزّا

نظمٍ نِظمتُهْ من زمردِ وقْزا

ولَفْا ضميرُهْ من اويته على الزا

والبا بنفسي شفتَ اَنَا العيبْ توّي

عْجَزْتَ اَميّزْ صاحْبي منعدوي

اللهْ يكفيني شرْورهُ وسْوّي

بينَ الاقاربْ والاجانبِ يْخَزّي

والتا تِتلَنِ الّليالي والايام

تِدْوي بْهَا رِيفْ الّليالي والايام

وْصفْتَ اَنَا الْايامْ هي ويا الاظلام

والناس بِعْرضِ الْناسْ دَايمْ تِهزّا

والثا الثعالبْ كيفْ صارتِ ذْيابَة

والبومْ يفْرِسْ عْقبْ ذيكَ الخيابه

والعمْ عِندِ ٱلعَبدْ مَالُهْ مِجَابَه

لابدْ من هفوةٍ صِحيْتْ تِلِزّا

ويستمر الشاعر هكذا الى آخر الحروف الهجائية • وقد لا يكتفي الشاعر بذلك بل نراه احيانا يلتزم بدء كل شطر من اشطر « القفل » بذلك الحرف نفسه مثال ذلك قول ابن شريم :

الجيم جاني جيـــة بانسراقه	جاهل ومجهول بوسط الرفاقة
جاف لغيري ما يورى صداقة	جاني خلوج وجيت له تقل مفرود

وقد يذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فيبدأون البيت « القفل » بالحرف الذي يختص به ويختمون الاشطر الثلاث به ايضا مثال ذلك قول سليم بن عبد الحي :

الثا ثمانِ عـْذَابْ شـوقي بهـنْ ديثْ

سِلسالْ معسولِ ٱلنَّحَلْ بِينْهِنْ ميت

واهل الهوى في نـارْ هجرهْ مِماكِيثْ

وَانَا لْشُوقي في دجا الليلْ عَسِّيت

ومنهم من يسترسل في ترفه وتفننه الى حد يلتزم فيه الكلمة بدل الحرف فيبدأ كل رباعية بنفس الكلمة التي ختم بها الرباعية السابقة مثال ذلك قول محمد العبدالله القاضي :

تعطف يا ظبـي اجلـه	وخضت المـوت من اجله
الا يا سـيد سـاداتي	صروف الدهر من اجله
اجله عن صـدا روحي	بشهد فاح به روحـي
المورق بالهـوى روحي	وعـاق القلب في نجله
نجلـه بالهـوى سلسل	حسام اللحظ لي سلسل

فلا يا نادبي سل ســـل   ظبى صاح لي حجلـــه
حجلـــه بالهوى صـــاح   به اذهب قلبي الصاحي
مهـــاة الريم يا صـــاحْ   خذت روحي وهي عجلة
عجلـــة وامتحن ملـــه   هـــوى قلب على ملـــه
فلـــو ماهى على ملـــه   لاخشْ بدينها لاجلـــه
لاجلـــه لو شمت فيـــه   وشـــاع بكل في فيـــه
ارى واشوف في فيـــه   نظيم الدر ينسج لـــه

وهكذا يستمر الى آخر القصيدة .

البَابُ الخَامِسُ

أغراض الشعر البدوي

ما زالت أغراض الشعر في بوادينا الحاضرة نفس الاغراض التي ذهب اليها الشعر العربي الجاهلي • فالحياة البدوية المعاصرة ما هي الا امتداد واستمرار لحياة البدوي التي كان يحياها أيام الجاهلية ، بجميع مظاهرها وظروفها ومتطلباتها • ذلك لان حياة البدو المعاصرين لم تتغير بحال من الاحوال فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية والمادية الآن نفس ما كانت عليه منذ أيام الجاهلية •

يقول الدكتور طه حسين : فطبيعي اذاً ان يكون الشعر المصور لهذه الحياة كالشعر الذي يصور الحياة القديمة • وان يكون موضوعه ما يقع بين القبائل من حروب ومخاصمات تدعو الى الفخر والمدح والهجاء والرثاء وما يثور في نفس الافراد من أنواع الآلام واللذات التي تدعو الى الغناء والشكوى حينا والحب حينا آخر والعتاب مرة ثالثة[١] •

فالمدح والهجاء والفخر والحماسة والرثاء والغزل والحكمة والوصف والشكوى كانت تمثل أغراض الشعر الجاهلي وما زالت حتى الآن هي نفس الاغراض التي يذهب اليها الشعر البدوي فالاحاسيس والمشاعر التي دفعت الشاعر الجاهلي لان يمدح ويفخر ويهجو ما زالت هي نفس الاسباب التي تدفع الشاعر البدوي المعاصر لان يسلك مسلك سلفه الجاهلي • فهو يستمد مواضيعه من بيئته فحياة الحل والترحال والتنقل أدت الى الغزل والنسيب وذكر مواطن الحبيبه ، واعتداد الفرد بنفسه وبقبيلته وحياة الغزو والحروب وشظف العيش أدت الى معاني القوة والفخر والمدح والهجاء والحماسة والحرب • وما يقوم به الشاعر من تجارب أدى الى الحكمة ومظاهر الطبيعة وتجاوب الشاعر معها أدى الى الوصف •

---

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب •

الفصل الأول

الغـــزل

منذ ان دبت الحياة على الارض سعى الرجل الى كسب ود المرأة ورضاها في أساليب شتى تفنن فيها فمن غناء الى عزف على الآلات الى اختراع أجمل الالفاظ وأطيب الحديث • والرجل في كل هذا يحاول ان يصل اليها ويتملك قيادها متخذا سبيله الى ذلك الفن فيتحدث اليها ويتحدث عنها وعما يلاقيه بسببها وحديثه هذا هو الغزل •

وما زالت المرأة في البادية تهز قلوب الشعراء ، فتحرك فيهم لواعج الحب وألم البعد ، وفرحة اللقاء • فيسكبوا كل هذا في شعرهم ، ذاكرين ما يلقونه من لوعة الصد ، ولذة الوصل ، وجمال الحبيبة •

ومما يساعد على شيوع الحب بينهم ، طبيعة حياتهم ، وهذا الفراغ الذي يعيشون به • والفتيان يختلطون بالفتيات سواء كن من أقاربهم أم بعيدات فالاختلاط بين الجنسين في القبيلة أمر مألوف عنـــدهم ، والشاب يستطيع التحدث مع الفتاة دون ان يثير أي ريبة والحب في عرفهم مسموح به شريطة ان لا يتعدى الحديث بين العاشقين الغزل البريء •

والبدوي عفيف بطبعه • وهو حريص على عرضه من كل سوء • ويبذل في سبيل صيانته كل غال ونفيس • من هذه النفسية البريئة ، تسامحوا في اجتماع الفتيان والفتيات ، ثقة منهم بعفتهم وسمو أخلاقهم ، التي تقف حاجزا دون الانحدار • والفتاة تتغزل بحبيبها كما يتغزل الشاب ولا يثير ذلك في غضب الاهل شيئا •

والبدوي يتغزل في كل مناسبة ويذكر الحبيبة دائمـــا وفي جميع

الحالات سواء في المعركة أم في الحالات العادية ، لذا رأينا كثرة الغزل في شعرهم فكثيرا ما افتتحت القصائد به في كل فن من أفانين الشعر فاذا أراد الشاعر ان يتناول غرضا من الاغراض كالمدح أو الوصف أو الفخر والحماسة نراه يبدأ على الاكثر بالغزل تماما كما هو الحال في الشعر الجاهلي ومن ثم ينتقل الى الغرض الذي انشأ القصيدة من أجله • وقد لاحظنا ذلك في كلامنا عن القصيدة وبنائها •

فذكر الاطلال ، والبكاء عندها ، والوقوف عليها ، وتذكر أيامه الخوالي مع من يهوى ويحب احد الظواهر التي نلاحظها في هذا الفن من الشعر •

وهذا الطابع الحزين له ما يبرره فشقاء الحياة وأتعابها بين الرمال الحارة والمفاوز المقفرة وقسوة البادية على اهلها واضطرارهم الى الرحيل والتنقل وعدم الاستقرار في مكان واحد ، فهناك لقاء بين الحبيبين ما يلبث ان ينقطع ، فتنقطع أيام الأنس ، وتزول السعادة التي عاشا بها فترة من الزمن • فهذا الانقطاع والرحيل وراء الكلأ ومساقط الامطار والسير الى الحرب والغزو أو الانتقال وراء مصالح الحياة ، طبع الغزل بطابع الفرح للقاء ، والحزن للوداع وجعله امنيات يتمناها المحب ودعاء حارا في سبيل الاجتماع واللقاء ولذا ذات الوصال •

فهنا كانت الحبيبة تقيم ثم قضت حياة الانتجاع ان يعطل المنزل الذي كان اهلا ويقفر المكان بعد ان كان خصبا موحيا •

سلامٌ على ما بَانْ من طللٍ بالى
وَرَسْمٍ بِرَبْعِ الدارْ بعد الانس خالى
منازلْ حبيبٍ عافياتٍ رُسُومه
ثمانينْ شهراً ولِهَا سبعةَ احْوَال

وهكذا يعود قفرا وجمادا بعد ان اضفت عليه الحبيبة حياة ورواء فلم يبق منه الا اطلال ورسوم تناوبها الرياح والامطار .

عفا رسمُ سلمى وَاصبَحِ الْنَزِلْ منزاحْ
وْلِعبْتِ بْدَارسْ رَسِمها هوجَ الْاَرْياح

فمن حق هذه الأطلال على الشاعر ان يقف بها ويستوقف الاخرين ويذكر أيام كانت له فيها صولات وجولات يوم كانت هذه المنازل عامرة بمن يحب :

حيِّ آلمَنَازِلْ بعـــدْ ما قولْ
اللَّــــهْ يـْســـامحْ لاَهَاليهنْ

جنوبْ وادي آلقصيمِ طـْلـُـــول
تـْعـــافْ منهنْ وْمَـــا فيهنْ

قـُفْرِ جـْباهِنْ يِحُولِ آلحُول
مـــا داجْ فيهـــنْ لا فيهـــنْ

يومِ آلمنـــازلْ بِهـــنِّ نـْزُول
يِـرعـــونْ زاهـــرْ عذاويهنْ

والبيضْ تِرْسِلْ ليَ آلمرسول
وَاقُـــومْ وَاجيـــبْ دَاعيْهِنْ

فهو لا يكتفي بان يطلب من الاخرين ان يحيوا هذه المنازل وانما يقف هو محييا على الرغم من علمه انها لا تجيب ويصف وقفته تلك وما يثور في قلبه من مشاعر :

أَلا آنـْعِمْ صباحَ ايـْهـَا المنزل العالي
واسعد مساً بَعَدْ ما شمتَ آلاَطـْلال

وَقَفْتَ عَلَى حاشي نُواحيه وقفه
كما وَقْفَةِ ٱلّتي شاهدِ المحشرِ التالي

فذكر الاطلال ووصفها والحديث عن ساكنيها يشكل جزء لا يستهان به من غزلهم ، فاذا تركنا حديث الاطلال جانبا لنرى حديثهم عن المرأة وعذاباتهم ولوعتهم في عشقهم فماذا نجد •

الواقع ان الشاعر البدوي في غزله شأنه شأن سلفه الجاهلي • لا يخرج عن الحديث عن نفسه ورسم مشاعره وعواطفه واهوائه ورغباته فيتحدث عن معشوقته حديث الراغب المشتهي لا يعنيه من امرها ما هي عليه وانما يحوم حول نفسه ويجعلها المثال المنشود يتحرك في سبيله ويسر من اجله ، فهي تحيا حياتها له •

ومن النادر ان نجد الشاعر يتحدث عن الحب كفكرة مجردة • عن معناه ، عن هذه العاطفة الجميلة ، أو ان يحلق في رسم عواطف محبوبته ، ورغباتها واهوائها وتفكيرها • وانما يقتصر على تعداد محاسنها وما يشتهيه فيها وما يأمله منها •

وهو في تصوير مشاعره ، لا يخرج عن ذكر ما يحسه من ألم البعد والصد والحنين الى اللقاء • ومن الليالي ، وذكر الوشاة ، وسعيهم في تفريق الشمل • وصبره على الالم وقسوة الحبيبة التي تلعب بقلبه لعبا •

يلعبِ بْقَلبي لِعبَةَ ٱلقوسْ حانيه
طرفِ مْطَاوِعتُهْ يَدُهْ بِلْعِبَانَهْ

نوبِ يْدَنّي بِهْ ونوبِ يْقَصّيه
آخذهْ بالحيلاتْ لِينِ استْهَانَه

وهذه الجراح الخفية التي تركتها في قلبه حتى تغير حاله وضن اهله المرض فيه الا انه يعلم سبب ذلك والذي يجديه ليس الطبيب وانما •

من آنْ في قلبي جرْوح خفيات
وَانَا خَبَرْ ما بى سببها منايه

آيةْ هوى ما هيْ بْطب ٱلمداواة
انا طبيب ٱلرُوحْ ما بي غرابه

وقولـه :

ما هوْ مرضْ وَاخْبرْ هلي عنْ مشاكيه
اسبابْ من صَوَّبْ ضميري وكانَه

الجادل ٱللّي ما بقى في تمدْريْه
ذعْذعْ هواهْ وْضاحك لهْ زمانه

لو كل من صَوَّبْ صويْب يْداويه
ويْجارحه قلت آوْصلوني مكانه

ولكن من اين له اللقاء وقد حل الفراق فما عليه الا ان يعيش بالحسرات فهذا أمر الله قد كتب عليه :

حلّ الفرْاقْ وْبيحَ ٱلوجدْ مكنون
قلب تعايوا فيهْ شطْرين ٱلاطْباب

حيرانْ قلبي بالزناجيلْ مسجون
ابْسجْن ابنْ يعقوب ٱنْحنى وْهوْ شاب

وبْي زَفْرة كلّ ٱلملا ما يطيقون
معْشارْها لُو هُوْ بْصُم ٱلصُفَا ذاب

صرف برُى حالى بالاَقْدارْ ماذون
يا حيفْ شاب ٱلراسْ مني وَانَا شاب

لا شكْ ما يكتبْ على ٱلعَبِدْ بالـكون
يجري قضاهْ وكلْ شيٍ لهْ آسْباب

اما الاخر فهـــو يحس بهذه الالام ولـكنه لا يذكرها لانها دليل الضعف :

أُوْجِسْ صُوابُهْ بالضمايِرْ وكَاميه
ما نيبْ مِن يبدي خَفِيُهْ لسانه

ثم ان هذا الذي يحسونه من الحب ليس ببدعه وانما هو أمر أصاب اناسا قبلهم وسيصيب اناسا بعدهم •

ما هيْ بِدعةٍ تِلْحِقِ ٱلنَفِسْ شرهات
ناسٍ عـــدوا قبلـــي وناسٍ ورايه

فليترك العذال عذلهم ، لانه لا يفيدهم شيئا ، بقدر ما يزيد من ولعه بمن يهـــوى •

يا عاذلَ ٱلمِشتاقْ من دونْ غاليـــهْ
لا تِكْثِـــرِ ٱلواردْ يزيدْ امتحـــانه

وِاللّي يعَرْفَ ٱلعِلِمْ ما هوْ خَافيه
مـــا يتِعَدّلْ عُـــودِ بْلَيَّا لِيانه

نفسي مْهَاوِيتُهْ وعينـــي ترَاعيـــه
وعَليـــهْ قلبـــي ذاهـــبٍ ذيهبـانه

وهو لولا انه يعلم كيف ينفس عما به لأصبح مجنونا ولضاع رشده مما يعانيـــه :

لولايَ اوَسّعْ خاطـــري بالتَنِهّات
وَابْصُرِ بْحَالي من خلاي بْخَلايه

لاَغْدي كالِمتَّذْهَبْ وَرْمي بالاصوات
خِبْلٍ على ما قالْ راعي آلروايه
لاَهْلِ آلهوى من شاربِ الْخَمْرْ شارات
وِبْهُمْ مِنِ اللّي يِطْرِدِ آلصيدْ شَايه
شاراتْ راعي آلخمرْ فَاقَهْ وْسَكْرات
وِآلصيدْ وَلْعَهْ ما على اللّهْ كمايه

وهكذا نراهم يستمرون بوصف آلامهم وسهرهم الليالي ونحولهم وفعل الوشاة والدعاء عليهم بالموت والعمى .. هذه اكثر المعاني التي تدور حولها اشعارهم . وهم في العادة ، بعد ان ينتهوا من ذكر هذه الالام التي يحسونها ، واللوعة التي تذيب قلوبهم ، وما يتركه الصد والفراق من اثار ، ينتقلون بعد ذلك ، الى وصف الذي سبب لهم كل هذا وذكر محاسنه تفصيلا ، ووصفها وصفا ماديا .

مهاةٍ تْحَيِّرَ آلعينْ باوصافْ حسنها
لها مثلْ جِنْحِ آلليلْ سافٍ على ساف
يشادي جنى آلرمانْ زامي نْهُودها
وِالاَرْدَافْ تِشدي روسَ الاَطْعَاسْ وقّاف
رَيَّانَةِ آلساقينْ مسلوبةِ آلحشا
مهضومةِ آلخصرينْ كالغُصُنْ غِرْيافي
عليها تِهايا آلريمْ بِالعين وَآلطلى
عذبِ آلثمانِ وْخَدْ ضافِ اليها صافي

فهي جميلة تحار العين باوصافها . ذات شعر كانه الليل ، ونهود كالرمان ، وردف كدعص الرمل ، هضيمه الحشاء ضامرة الخصر ، ريا

الساقين ، كانها الغصن في تمايله • ولها من الضباء عيونها ومن الخمر عذب ريقها • وخد صاف لا تشوبه شائبة • فهو قد وصف الشعر والساق والجسم والنهود والعيون والريق والخد واختار لها ألوانا مما حوله • وهذا هو الذي ذهب اليه الشعراء البدو بطرقهم الغــزل الحسي المادي في وصف الاعضاء جميعا •

مِخماصْ خصـرِ ضامرِ ٱلكشحْ مِكعاب
سـاقيهْ دِمـجِ كنهـنَّ ٱلانابيـب

والقدْ غصنِ لي ذِكَـرْ مايِسْهُ لاب
ازرى بْعَسَّـالِ ٱلرمـاحِ ٱليعـاسيب

فَانْ رنَّحُهْ ريح ٱلصـبا والهوى طـاب
ازرى بْمَيَّـاسِ الغِصـونِ ٱلمشـاذيب

أو كقول الاخر :

مهضـومةِ ٱلخصـرينْ ريَّانــةَ ٱلقــد
مِلْتَجَّةِ ٱلردفـينْ وَرديَّــةِ ٱلخــد

الى انْتِشَرْ قَرْنُهْ على ٱلمتــنْ وانهــد
حامتِ سْهومِ ٱلمـوتْ بِغْزَالُه ٱلخرس

كـنَّ ٱلقنا قـدُّهْ اذا اهتــزْ وانْقاد
عنـق المهـا عنقُهْ وَالنْهُودْ قعَّـاد

فالى ضربْ قلـبَ ٱلفتى سَهمْهَا ٱلحاد
اشـعلِ بْصدرُهْ واهجِ بِعلْقِ ٱلتبس

مزبورة الفخـذينْ وَٱلجيـدْ مِتْلاع
تِضْحَكِ شْفَاهْ وبارقِ ٱلخـدْ لمَّـاع

فالشاعر في نظرته هذه كانما نظر الى الغزل على انه رسم صورة أو نحت تمثال لمن يحب فيخطط الرأس والجسد وبقية الاعضاء ومن ثم يختار الالوان التي يريدها من سواد المشعر وبياض للجسد ولون للعينين وللثغر ثم يتخيل ريقها العذب وسحر عينيها والتفاتة جيدها وتثني مشيتها فكانه بعد ان صورها حركها ووصف اثر ذلك كله في نفسه •

وهم في غزلهم هـــذا لا يخرجون عن الوصف فالشاعر في غزله بمحبوبته وتعداده لمحاسنها لا يعدو أن يكون واصفا لها كما لو انه يصف منظرا اعجبه أو يصف الناقة والفرس أو البرق والمطر ومهامه الصحراء وكثبان الرمال •

والشاعر البدوي في غزله يختار أوصاف حبيبته من بيئته فيتجاوب مع ما فيها من ضباء ونبات وجماد فيحس بجمال هذه الاشياء ويتخير من صفاتها صفة بارزة تمت الى الحبيبة بصلة أو تمت اليها بسبب فشبه الحبيبة بها • فاختـــار من الطبيعة الحية المتحركة التشبية بالظباء والمهاة والقطـا والحمام • فاختار من المهاة سعة العيون وسوادها ومن الظباء رشاقتها وجمال جيدها وعينيها ولفتتها فشبهوا الحبيبة بها واعجبهم خطو القطا والحمام فشبهوا مشي الحبيبة به •

وَٱلعنْـق عنْـقِ ٱلريمْ تـِرعى بالاَقْفـَار
اوحتِ حـسْـاسٍ وْرْزَتَّهُ بْجفلان

أو

الى مشـــى كنّهْ غـــريرٍ تِـهَوّيْهْ
والاَّ مْعَلَّمْةِ ٱلحمـــامِ دْرِجَانَه

أو

ابْتِليتِ بْوَاحْدٍ منْهِنْ فِـــريد
بـــهْ حلايا مـــن ظبياتِ ٱلنفـــوذ

واستمدوا من الطبيعة الحية الغير متحركة التشبيه بغصن البان والبردى والرمان والياسمين والورد ... الخ .

تشبهِ لغْصنِ ٱلبانْ لي من تِثنَنَّى
يا مالَهَا مِـــن مستهـــامٍ تمنّـــى

أو

حَلَلْت يابو وجنـــةٍ كَنَهْا ٱلورد
مصيونةٍ مـــا مسَّها كُـــلْ قَطَّاف

أو

غنجـــةِ ٱلعينينْ وَٱلخَدِ الحَسـِنْ
وِٱلقوامِ آنْ قـــامْ غصنِ الياسمين

أو

مخماصْ خصرِ ضامرِ ٱلـكشحْ مكعاب
ســــاقيه دمـــجِ كنهـــن الانابيب

أو

الســـاقْ دملـــوجِ سقَنَّه مدُودُه
في منبتُهْ ما هزَّعُهْ كُـــلْ هَبَّاب

فهم شبهوا رشاقة المرأة ، وليونتها ، وتثنيها ، بالاغصان . وساقيها بالانابيب ، (البردى) بياضـــا واستداره ونعومة . والنهود ، بالرمان . والخدود بالورد وهكذا .

واستمدوا من الطبيعة غير الحيَّه ، التشبيه بالشمس والبدر والبرق والنجوم واللؤلؤ والرمان . فالطلعة بالشمس والبدر .

بلوىُ آنبِليتْ بْحبْ تَلعَـــا عنود
بِاشَمسْ من طَلْعِةْ جبينُهْ تِحَايا

أو

والى طــاحَ ٱلْقَنَاعْ وشَعْ وجههْ
كمـــا غيـــمِ آلبـــدر متجلّي

أو

فرِيدَهْ كالمهـــا ونُورْ خدْهـــا
كالبدر نُورُهْ جلا الحِندَاسْ بِشعال

والمبسم كالبرق في الدجى :

وبين ٱلضواحكِ وحَاجبها الى ابتسم
برقٍ بدَيجُورْ ليلٍ فيـــه اضالى

أو

مَع طفلةٍ تسبي ٱلفؤادِ بضحكْهَا
مثـــلِ ابتِسَامِ ٱلبرقْ في ديجورها

والارداف كدعص الرمل :

وامزايمِ مثـــلَ ٱلنقـــا بنفُـــوذه
يكسِرْ عليهنْ راعي ٱلدينْ لوتـــاب

او كقول الآخر :

يشـــادي جنى الرمـــان زامي نهودهـــا
والارداف تشدى روسَ ٱلاطْعَاسْ وقاف

وهذا آخر شبهها في ارتجاجها ايام الصيف ككومة من جميد الثلج في بياضها وبضاضتها :

ولجّـــة ردفهـــا ٱلملتـــج بالقيـــظ
جميـــدِ ٱلثـــلجْ مبْنَـــاهْ عـــالي

وهذا آخر يصفها بدعص رمل قائم تجرد من النباتات وسلم من كل اثر ولمس ثم اصابه وابل اشرقت عليه الشمس بعده فبدت شقرته وصفا لونه:

الردفْ طِعْسٍ يا علي ما وطيْ بُه
غُبَ آلمطرْ شمس العْصيرِ شْرقَتْ بُهْ

والاسنان باللؤلؤ :

كن اللولو بينَ اشَافيهْ منظوم
او ضِيقْ وبلٍ مِحْلِمٍ في قْنُوفُه

واستمدوا من المصنوعات التشبيه بالرمح والقنا والمصباح والخمر والشموع •••• الخ

فريق الحبيبه خمر يقول الشاعر :

منها رقودي يا الدريدي سَراهيد
وَشْفَا جروحَ آلقَلْب خمرةِ شْفَاها

والقد كالقنا والرمح :

هيفا تْجَمّرْ بالضمير الى اقبلت
مثلِ آلقنا آلِمهْتَزْ رُمْحْ حامى

أو كقوله :

حَسْنَا آنقوامُ وْقَدْهَا مثْل آلقنا
يهتزْ لَدْنٍ وْغُصُنْ نَهْدُه رامي

والوجه في بهائه كالقنديل :

الفاضحات بْحسنْهِنَّ آلقناديل
والذابحاتِ بْدَلْهِنَّ آلْزعاف

وكقول الآخــــــر :

نُوضْ خَدُّهْ كلما شعِّ وشْـرَقْ
شَـعَّةِ آلقنـديلْ بالـزيتِ آلعتيــق

وكقـول الآخـر :

صافِ الخدودِ اللّي غِشَاها البياضِ
توضي كما الشيشَهْ بْدُكَانْ عـوّاض

وقد يشبهونها بالشمعة كقول الشاعر :

بَقَولْ هـذي شَـمعْةَ آلبيتْ والجار
يومِ انْطَحَتْني تِعْتَرِضْ بِدْرِجَاني

وألحاظ العين بالسهام والسيوف :

ادعجِ غَنْجِ حَطّ آلعذارى مماليك
والى سطى بسيوف آلألحَاظْ فتاك

وهكذا لاحظنا ان الشاعر البدوي لا يخرج عن بيئته في اختياره الاوصاف الجميلة يشبه بها محبوبته والمعاني لا تخرج عن الوصف المادي والتشبيه بالظبي والريم ورائحة المرأة بروائح اعشاب البادية العطرية .

وكثيرا ما نرى الشاعر يصوغ غزله على شكل محاوره بينه وبين لائميه يقول عبدالله بن سبيل :

قُلتْ آهْ واجرحـاهْ من خلّتي آهْ
وِانْ حَمّلُوني حِمِلْ غيِّ قويته

قالوا سفا بالحالْ ويش اللّي غوّاه
قُلتْ آهْ وِيْشَ آلمنكرِ آللّي طويته

قالوا جِهلتْ وبان علمك لمنهاه
قلت آه علمي يا ملا ما كميته

قالوا طلبنا لكْ مِنْ ٱللّهْ معافاة
قُلْت آهْ وَحدّتْهْ وعفوهْ رجيته

قالوا ندورْ لكْ من ٱلبيضْ حلْلياه
قُلْت آهْ لو غيرهْ بكفّي رميته

قالوا نشاشِ ٱلعودْ مالك بِالامان
قُلْت آهْ عودِ ٱلموزْ بيدي لويته

قالوا تِزوّجْ كودْ تدلهْ وتنساه
قلت آه لوخذتْ اربعِ ما نسيته

قالوا منْ اقصى ٱلناسْ وينِ انتويّاه
قلت آه ما انسى يومْ جاني وجيته

قالوا نشوفه عندْ هذا وهذاه
قلت آه عمرهْ ما عقبْ حج بيته

قالوا عليلِ ناقلْ داهْ بِرداه
قلت آه يا قرايبي بروحي فديته

قالوا نشيرِ ولا نفعْ ما حكيناه
قلت آه هرّاجِ ٱلنمايمْ عصيته

قالوا كثرْ شيبكْ وقلبكِ بعماه
قلت آه لو قلبي غريرِ نهيته

مطاوعِ قلبي بعجفاه وقداه
والّلي عطى منهاجْ دربِ عطيته

يا ناسْ خَلـُّوا كـُل وادي وْمَجْـــراه
قلتوا كـِثيْـــرِ وْقـُولكـُمْ ما لِقِيتـــه

والغزل في الشعر البدوي في غالبيته عف وذلك راجع الى طبيعتهم فالبدوي عفيف بطبعه والعفه عندهم من مزايا الرجولة التي يجب ان يتصف بها الرجل لانها تتلائم وخلقهم القائم على التعفف والغيره على النساء والحفاظ على العرض من كل دنس لما لهذه الاشياء من علاقة وثيقة بمكانة المرء وسمعته وقيمته بين الآخرين •

الا ان هذا لا يعنى اننا لا نجد في شعرهم اثرا للمجون والمغزل الحسى الذي يجاهر فيه صاحبه بعلاقته بامرأة ما ويصف ما يجرى بينه وبينها بكلام خال من التحرج • ولا عجب في ذلك فقد وجدنا في اشعار الجاهليين من هذا الغزل الحسى الشيء الكثير على الرغم من انه كان يناقض الخلق العربي الذي كان يعتبر العفه من الموازين التي توزن بها اقدار الرجال ولم يكن العربي ليتغاضى عن المجانه والخلاعه وفي كتب التراث الشيء الكثير من القصص والحوادث التي تؤيد ذلك ولا مجال لذكرها الآن • وقد رأينا امرأ القيس يصول ويجول في هذا النوع من الشعر وكذلك الاعشى وغيرهم •••

وهذا الذي نراه في شعرنا البدوي هو نفس الذي نراه في هذا النوع من الشعر الجاهلي • من وصف للمغامرة التي يقوم بها وتسلله الى بيت الحبيبه ومغافلتهلأهلها وغير ذلكمما نراه في قصائد امرىء القيس التى منها•

ويوم دخلت الخـدر خـدر عنيـزة
فقـالت لك الويـلات انك مرجلـي

وقولـه :

سموت اليهـا بعـد ما نـام اهلهـا
سـمو حبـاب المـاء حـالا على حـال

وغيرها من القصائد التي تصف هذه المغامرات التي يقوم بها الشاعر مع نساء له بهن علاقات غير برئيـــة •

يقول الشاعر البدوي ابو حمزة :

قـال ابو حمـــزهْ وْهَيَّـــضْ ما بُـــهْ
فـوق ٱلنِضَـــا مِتْمَايْلٍ تعبـــانِ

كم مجلـسٍ عَلَّلْتُهـــم بربـا بـــتي
شُمْطَ ٱللِّحـى وْغَطَـارْفَ ٱلصبيان

عَلِّلْتُهـــم وَاشْـبَعْتُم تَعْلِيْلَـــه
لمَّا غِـدَوْا مِثْلِ ٱلهَشِـيْم ٱلبالـــى

لِبَسْت سيفي وِاحْتِزَمْتِ بْخَنْجَري
ودِّورِ خلـــي بَاطْرَفِ ٱلنجعـــانِ

انْ جِيـــتْ خلِّي نايمٍ مِتْنَـــــاوم
نومَ ٱلِخْشـــيفِ ٱلجادلِ الفدنــــانِ

نِدَسْـــتُهْ بِالنَايِفِ مْنِ اصْباعـــي
فَزَّتْ فِزِيْزِ ٱلجَـــادِلِ ٱلعجـــلانِ

وْصَاحَتِ بْعَالي ٱلصُّوتْ قالتْ يُبَـــه
الذِيْـــبْ دَكِ بْرِعِلْـــةَ ٱلطليـــانِ

وْقَامِ اهْدَان على ٱرْجِـــلْ يِعِسْهِـن
ما عَسِّ لي مَدعـــوجةِ ٱلعينـــانِ

قالت يَبُـو حمزهْ وَشْ هَالِمْجِيْبَك
والبيتْ مَلْيَانِ وْعَلَيَ ٱرْجَالـــي

قلت ماني بحالْ كُثْرُهمْ مِنْ قِلتِّهم
مِثْلِ آلدِجَاجِ عَيَالْ هَالساعانى
بْغيتَ انَا يا بيضْ حَبِّة آثْمَكْ
وحَبَيْتْ خِلِّى اربعاً وثمانِ
وْنِمْنَا وْنَامَتْ رَحْمِةَ آلله بيننا
المسكْ والريحانْ لُهُ آعْجنانِ
ليامـا عمودِ آلصُبْح بَيَّنْ شوفه
وقمنا نِحْلِبْ لِمُهْرَةٍ وِحْصَانِ
قامت تواعدني وْدَمِعْهَا يِذْرف
القَاكْ يَبُو حَمْزَهْ وتلقانى

فشاعرنا البدوى هنا يروى مغامرة وكيف انه بقى يساهر الرجال بربابته حتى نام الجميع فانسل من بينهم وتمنطق بخنجره وحمل سيفه واتجه الى بيت الحبيبة وهناك رآها متناومة فلكزها باصبعه فافاقت كالظبي الخائف وصاحت على ابيها واخبرته ان الذئب هجم على الغنم فقام والدها لحراسة الغنم وهنا يسخر الشاعر منه لانه ذهب لحراسة الاغنام ولم يحرس ابنته • فقالت له ما الذي جاء بك والرجال من حولنا فقال لها انه لا يخاف منهم سواء كثر عددهم ام قل ولأن فتيان هذه الايام ليسوا من الشجاعة بشيء ثم ذكر لها شوقه وعانقها ثم نام معها حتى الفجر وغادرها وهي تعانقه وتذرف الدمع على فراقه وتضرب له موعدا وانه سيلقاها وتلقاه •

فهذه القصيدة فيها الشيء الكثير مما نجده في قصائد امرىء القيس والاعشى وسحيم وغيرهم • وهذا شاعر آخر يروى لنا مغامرته مع احداهن وكيف اغواها وقد تمنعت عليه ثم لانت واسلمته جسدها وبات عندها حتى الصباح تماما كصاحبه امرىء القيس التى تمنعت ثم لانت :

فلما تنازعنا الحديث واسمحت
هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا
ورضت فذلت صعبة اي اذلال

يقول الوضيحي :

غابِ ٱلحَليلِ وْشِفِتْ بِالتَرِفْ ميلاح
وْجيتَ اتِخَطىَّ كنَّ اهَلْهَا نِسابه

قالت تِقَلَّع لارْهَجِ ٱلنَزِلْ بِصياح
مانى مْنَ الَّلي بِالرِدَى' يِنْهَقَابَهْ

قِمْتَ اتِبَطَحْلُهْ وَدَايِرُهْ بِالِمزْاح
لانِ ٱلحبيبِ وْقَامْ يِضْحَكِ بْنَابه

ثارِ ٱلحبيبِ وْطَبَّقْ ٱلبيتْ بِسْياح
وِكَشَفْتْ عَن نامي ٱلردايِف ثْيابه

غَطِّيتْ بالثوبِ ٱلحَمَرْ زينِ ٱلِمْلاح
لما شعاعِ ٱلصُبحْ بَيَّنْ سرابه

قالت تِنقَّل هذا الصُبُحْ باح
وِوْدَاعتكْ عَرْضِنا وٱلحزَابه

قلتْ مانى ولدْ عَفْنِ على ٱلسرنَبّاح
اليا قفا عنهُ رِفيقُهْ حكى به

علمي بهم ياغنم يومِ ٱلمطرْ طاح
وٱليوم مدري وينْ ربِّي دِوَابَه

مَدْري مَعَ اللّى سَنَّدْوايَمَّ السياح

والا مع اللّى فَيَّضَوْا يَمْ طابه

فهو قد رأى امرأة غاب عنها زوجها فأعجبته فمضى يتخطى امام بيتها كأنه نسيب لها او قريب ، فزجرته وهددته بانها ستطلب النجدة فهي ليست من اللاتي يؤمل منهن شيئا فهي شريفة مقيمة على ود زوجها ولكنه لا يعدم وسيلة لاغوائها فتارة يتملقها وتارة يمازحها حتى لانت وتبسم ثغرها فدخل بيتها وقامت وارخت الستور وتعرت وبقى معها حتى الصباح فغادرها ولم تنس ان تطلب منه ان يحتفظ بالسر فعرضها وديعة بين يديه فيؤكد لها حرصه على ذلك وانه ليس من الذين يفشون اسرار احبائهم •

ومن الملاحظ في هذا النوع من الغزل تكرار طلب المرأة من عشيقها ان يحفظ السر وهو يؤكد لها ذلك ويعاهدها على عدم افشائه وهذا امر طبيعي بالنسبة لعاداتهم وتقاليدهم فالمرأة التي يعرف عنها انها على علاقة غير بريئة برجل آخر يكون القتل نصيبها • ومن اطرف ما قرأته في شعرهم حول هذه الناحية هذه القصيدة التي يروي فيها الشاعر مغامرته وكيف انها تمنعت عليه خشية ان يفضحها ويكشف سرها بين الناس الا انه يؤكد لها حرصه على سرها حرصها عليه ويؤدي ذلك باسلوب لا يخلو من مجون وظرف • يقول :

يا عشيري يا عَشير اللّزومي

طَرْفِ اغْطَا من يَمِنَّهْ ليهْ تخليه

اشو ما سدّي لْسَدّكْ لِزُومي

سدّك هَبيلِ وْدَبّ الايّام تطريه

سدى عَميقِ ولا دِرَنْ بِهِ هْدُومي

يَلُوني بالقَبْرِ الضِويّجْ فلا اطريه

اخاف من ورْس يِطُبّ هَدْومي
يِفْطَنْ غِرِيرْ قَاعَدْ عِنْدَ اهَاليه
آتيك مصلوخٍ وَارْمي هَدْومي
وْحِتّ ابْرِيمْ يا ريش آلعينْ لا رميه

فهي تقول له :

انها تمتنع عنه لانه لا يحفظ السر فهي ليست بحاجة لان تودعه سرها لان سره سرعان ما يعرف وسيردده الناس على مر الايام الا انه يؤكد لها حرصه على السر ومحافظته عليه وانه لا يبوح به حتى ولو انزل الى القبر الضيق • ولا يكتفى بهذا التأكيد وانما يزيد على ذلك بانه لحرصه على ان لا يفتضح ما بينهم يخشى من ان يعلق بثيابه شيء من الورس الذي تتطيب به فيلفت ذلك نظر الاخريات لذا فهو سيأتيها عاريا من كل شيء حتى لا يعلق به ما ينم عن علاقتهما وبهذا سيبقى السر بينهما في حرز حريز •

والشعراء يتفننون في ابعاد الشبهه عن حبيباتهم خشية ان يعرفن••• فهم عادة لا يذكرون اسم الحبيبة ابدا • ومنهم من يختتم القصيدة ببيت يذكر فيه ان كل هذا الذي قاله انما هو حلم رآه في منامه • او ان يفعل كما فعل شاعرنا الاسبق عندما اراد ان يبعد المرمى ويزيل الشبهة فقال :

علمي بيهم يا غنيم يوم المطر طاح
واليوم مدرى وين ربي دوابه

مدرى مع اللى سندوا يم السياح
والا مع اللى فيضوا يم طابه

فذكر ان هذه الحادثة كانت في الايام التي نزل بها المطر ـ وقد يكون هذا المطر قد نزل قبل عام او اكثر ولم يكتفى بجعل الحادثة قديمة

وانما زاد على ذلك بانه لا يعلم الآن مكان قوم عشيقته اهم مع الذين نزلوا في منطقة « السياح » او مع الذين حلوا في منطقة « طابه » فهو بهذا قد ابعد المرمى على سامعيه من ان يشكو بامرأة معينة من القبيلة .

وقبل ان اختم الحديث عن الغزل لابد لي من ان اذكر جانبا آخر وهو الغزل النسوي . ففي البادية شواعر كثيرات ومنهن من تغزلت بحبيب لها وقالت فيه القصائد الكثيرة ... ومن الملاحظ ان الشاعرة البدوية في غزلها نادراً ما تذكر أحاسيسها ومشاعرها تجاه من تحب أو تصف حالات الوجد ولواعج الحب كما هي الحال في شعر الشعراء وانما نكتفي بتعداد الخصال الحميدة فيمن تهوى من شجاعة وكرم وصفات أخرى بزّ بها اقرانه فغزلها اقرب الى المدح منه الى الغزل تقول دكيس من قصيده لها في الشيخ ماجد الدويش وقد تزوجها فيما بعد :

وجدي على اللّي جِدَمْ بيتْهْ حجيره
اللّي تِمَنّاهِ العِجَافِ المعايير

ما جدِلْيا رِكَبَ الجْوادَ الظهيره
تِقَطّعتْ حِيرَانْهَا والمِخَاليل

خَيَّال مار ما يْرَدِدْ نِشِيرَهْ
وْغَادِ على روسِ النُوازي دِعَاثير

زينِ الحصَانِ اللّي قطَاتُه كبيرة
وْفَكّاكْ بالضِيْجَاتْ زَمْلَ الغنَادير

فهي في قصدتها لم تذكر اي شيء له علاقة بحبها ووجدها وانما اكتفت بتعداد صفات حبيبها من انه كريم وانه فارس شجاع يستهين بالصعاب وانه حامي الذمار الذي يفك نساء القبيلة من الاسر ويردهن مع الاموال التي سلبها الاعداء .

وهذه طفلة الدويش تخاطب عمها وطبان ذاكــره لــه حبها لخلف السنافي ورغبتها بالزواج منه وكان عمها قد اعطاها وعدا بان يترك لها الحرية في اختيار الزوج الذي تريده وهي في قصيدتها لا تخرج عما لا حظنـاه سابقا في غزل الاخريات فهي تذكر لعمها انها تحب خلفا ثم تبدأ بمـدح حبيبها ومنحه الصفات الحميدة في عرفهم فهو الكريم الشجاع والبطـل المغوار الذائد عن حياض القبيلة وهو الغني الذي تعجز الجمال عن حمل امواله لكثرتها ولا تنسى في هذه الحالة من القول بان هذه الاموال لـم يرثها عن آبائه وأجداده وانما جمعها بيمناه كناية عن غزواته وغاراته •

يا عمْ يا وطْبَانْ شَـفّي خْلافـي
شَفّي غْلامٍ تِدْفُقْ آلسَمِنْ يمناه

شَفّي خَلفْ زينِ آلعِيالَ المْجَافي
زينِ آلهَلِيبِ الى ارْتِخَى سيرْ عِلْبَاه

وْعَجّز الجَمَلْ ينقلْ جهازْ سْنَافي
ما هوْ وِرْثِ جْدودْ شَبْثِ بيمناه

خلفْ بالصيفْ هَفْهُوفٍ وْبالشتا دافي
والعفو ياما حلى النومْ وَيّاه

وهكذا نرى ان غزل النساء يكاد يكون جميعه على هذه الشاكلة وانه الى المدح اقرب منه الى الغزل غير اننا نجد بعض القصائد تتعرض فيهـا الشاعرة الى ذكر مشاعرها تجاه من تحب وما فعله حب من تهوى بها مثال ذلك هذه الابيات وهي من قصيدة للشاعره دكيس قالتها في ماجد الدويش ايضا وهي طويلة ولكني لم اتمكن من جميعها كلها • تقول :

انا بْشَفّي واحدٍ من هَلَ آلكُور
وْهُوْ عِشَقْني من ناقلينَ آلتفاكه

لِعَبِ بْقَلبي لِعِبْةَ ٱلغُوش ْ بالكـــور
وَاوْمَا بي أو مـاي َ ٱلعصـــا بالعلاگـــه

هو ْ صار ْ لي عوگث ْ وانا صرت ْ عـــوگث
والكل ْ منَا صـار ْ شـُـــوفُه ْ شـُـفاگـــه

عوگث ِ ٱلظليم ِ اليـا تـحَدَر ْ مع الخـــور
مُنَّح ٱلگرى ُ يِدْرِج ْ على عَظُم ْ سـاگه

خَلِّيتْنِي لَحْدِي ولَبْدي ولا ثُـــوْر
كني خَلْـوِي ِ عاقْـلِينُـــه ْ وْسَـــاگه

فهي تقول انها بشوق الى واحد من الفرسان حملة البنادق من اهـل تلك التلال وهو قد احبني ولعب بقلبي كما يلعب الاطفال بالكرة ، وجعلني حبه كالعصا المغروسة في ماء يلعب بي التيار كيفما يشاء •

لقد اصبح شاغلي كما اصبحت شاغلته واصبح الكل منا يتلهف على رؤيا صاحبه • ثم تقول لقد تركتني ايها الحبيب من شدة الحب والسـقم لا اتمكن من القيام بعمل ما فلا اتحرك ولا اقوم ولا اتكلم كانني رجـل شدوا وثاقه حتى يؤدي ما عليه من دين •

هذا الذي ذكرناه يمثل الغزل البدوي المعاصر وهو كما نرى لايخرج عما الفناه في شعرنا العربي القديم من حيث الصور والتشبيهات والاساليب وختاما اقول اننا لا نجد في الشعر البدوي غزلا بمذكر مطلقا تماما كما هو الحال في الشعر الجاهلي •

الفصل الثاني

المـدح

وهو فن من فنون الادب العربي وباب واسع من ابواب شعرنا منـذ الجاهلية حتى الآن • ولم يكن المدح في الاصـل اداة للتكسب والارتزاق فكثيرا ما كان الشاعر يتجه بفنه الى مدح بطل او أمير من قبيلته ولكنه لم يكن يفكر قديما بالجائزة الرنانة التي نزلت بمكانة شعراء المديح المحترفين ــ منذ عهد النبي (ص) ــ الى درك المتسولين بالغناء[1] •

فالمهلهل وامرؤ القيس وغيرهما من شعراء الجاهلية الاوائل كـان مدحهم ناشئا عن حب عميق وشعور صادق واعتراف بالواقع ــ ولم يكـن في اي حال من الاحوال ملقا وتزلفا لانهم لم يتكسبوا بشعرهم ولم يحترفوا بمدحهم ، وهذا زهير بن ابي سلمى في مدحه لهرم بن سنان انما كان يعبر عن اعترافه بروعة العمل الذي قام به هرم ولم تكن غايته الكسب مطلقـا فلو كان طامعا بالجزاء المادي لحصل على الكثير وقصته مع هرم معروفة •

فالشاعر العربي انما عبر عن اعجاب العرب بالخلق الحميد والكرم والشجاعة وحسن الرأى والصدق والامانة وغيرها من الخصال التي يعجبون بها فامتدح هذه المثل العليا التى رآها عند ممدوحيه ، فالممـدوح في رأى الشاعر هو الذي يجمع الصفات المثلى التي يعتز بها العربي ويفخر بها • وما زالت هذه الخصال التي لهج بها الشعراء القدامى في مدحهم هي نفس الصفات التي تدور على السنة شعراء البدو المعاصرين لانها ما زالت كمـا كانت قديما امورا مستحبه في البادية يعتزون ويفخرون بها •

---

(١) بروكلمان ــ تاريخ الادب العربي ص ٥٧ •

والمدح في شعر البادية الحاضرة يصدر عن قسمين من الشعراء القسم الاول ويكون في اكثره نابعا عن شعور صادق عميق يحمله الشاعر لمدوحه دون ان يفكر بجزاء مادي ثمنا لما قاله لان الشاعر يكون في العادة في مرتبة الممدوح وهؤلاء الشعراء هم امراء وشيوخ ووجوه وفرسان البادية فليس من المعقول ان يتكسبوا بشعرهم لانهم ليسوا بحاجة ولان البدوي يستهدف الحياة القاسية والموت على ان يمد يده مستجديا لما جبل عليه من انفة وكبرياء يقول شاعرهم :

اشربِ مْنِ ٱلمَيّةِ الـكَدْرَةْ وْبيها عْطِنِ
أشوىْ ولا اَقُولْ يا عفن الرجال عْطِنِي[1]

اما القسم الثاني فهو صادر عن شعراء محترفين ـ ان صح التعبير ـ وهم فئة مرتزقة ينتجون الامراء والشيوخ يمدحونهم ليحصلوا على اعطياتهم وغالبية هؤلاء الشعراء من قبيلة الصليب[2] •

وهذا الصنف من الشعراء محتقر عند البدو الا انهم رغم احتقارهم لهم فهم يخشون السنتهم فيجزلون لهم العطاء •

وشعر المديح بغض النظر عن صفة قائله يدور كله حول ابراز الصفات الطيبة والمزايا الرفيعة والاخلاق السامية عند الممدوح فهو يصل الرحم ويفك الاسير العاني ويحمي أعراض القبيلة ويجير المستجير وهو الكريم

---

(١) عطن ـ أي العفونة ـ اشوى ـ اهون • عطني ـ اعطني •
معنى البيتين : يقول : انه يشرب الماء الكدر الموبوء ويتحمله فذلك اهون عنده من مده ليده استجداء وطلبا للعطاء من الرجال •

(٢) الصليب عشيرة محتقرة بين البدو لايغزون ولايغزون ولايزوجهم أحد ولا يتزوجون من احد • يسكنون الاماكن القصية في الحماد التي لا يطرقها غيرهم وهم صناع للبدو يبيضون القدور ويصنعون النعال •

عشائر الشام ج ٢ ص ١١٣ •

الشجاع الى آخر هذه الخلال التي يعتز بها البدوي المعاصر كاعتزاز سلفه بدوي الجاهلية •

يقول عبدالعزيز بن عيد من آل حجلان المشهور بالعزى في مدح احد شيوخ شمر من آل الجربا :

يَا آلزيرْ يَا الزَحَّارْ يَا النمرْ يَا الذيب
يا آللَّيثْ يَا اللاَّيُوثْ يا الشبلْ يا الداب[1]

نَطَّاحْ طابورَ آلعساكرْ الى هِيب
بالسيفْ لاْرقَابِ آلمناعيرْ قَصَّاب[2]

عيبُهْ الى من قالَوْا آلناسْ بُهْ عيب
لِلْسَمِنْ فوقْ مفطحِ آلحيلْ صَبَّاب[3]

فهو قد وصفه بالشجاعة والكرم •• فهو يخرج مبارزا لجموع الجيوش عندما يخافها الآخرون ولا غرابة فهو معروف بانه لا يهاب احد وكيف يخاف وهو جزار لرقاب الشجعان يزيلها بسيفه • وعيبه الوحيد اذا قال الناس ان به عيبا هو انه صباب للسمن فوق اعجاز الغنم •• وهذا منتهى الكرم والبذل •

ونلاحظ هنا ان الشاعر قد أكد المدح بما يشبه الذم وهذا كثير في شعرهم اما ابن لعيون فيصور ممدوحه بقوله :

اسطىٰ مْنَ آلضِرغامْ وَامْضىٰ عَزَايِم
وَاقْطَعِ مْنَ آلصمصامْ وَاكْرَمْ من الديم[4]

---

(١) الزير ، الزحار ، النمر ، الليث ، اللايوث الشبل • كلها أسماء الاسد • الداب ــ الحية الافعى •

(٢) نطاح • صفة مبالغة أي نطاح مبارز • الى ــ اذا • رقاب المناعير ــ رقاب الشجعان • قصاب ــ جزار •

(٣) الى من ــ اذا ما • مفطح ــ عجز • الحيل الغنم التي لم تحمل مدة سنة أو سنتين • صباب ــ مبالغة في كثرة الصب •

(٤) اسطى ــ اشد سطوة •

معطـــي ٱلجســـايمْ مَهْيُوب النسَايِمْ
عوقِ ٱلخصيمِ وْشُوْقْ مَنْ كَنَّهَا الريم(٥)

فهو أشد سطوة من الضرغام وامضى عزيمة ، وهو كالسيف الباتر بل أشد مضيا ، وهو أشد كرما من المطر الذي ينعش الارض الضمآى وما اشبه قوله هذا بقول النابغة :

وانت ربيـــع ينعش الناس سيبه
وسيف اعـــيرته المنيـــة قاطـــع

ويستمر ابن لعبون باطلاق الاوصاف على ممدوحه ليقول انه معطى العطايا الجسيمة تهابه الناس لما له من هيبة في قلوبهم كيف لا وهو من هو في الشجاعة والرجولة فهو منيَّة أعدائه وهلاكهم وهو بعد كل هذا ممن تعجب به النساء وتشتاقه كل جميلة تشبه الريم •

ونراه في قصيدة أخرى يقول :

شـــبلِ نِشَا ما داسْ بالعُمُرْ عَذْروب
ومنـــزهِ ما عابْ عَرْضُهْ ولا عيـــب(١)

ديمِ ٱلمَحَلْ ، مرغي الفَحَلْ عُقُبْ ما هوب
يِرْزِمْ طُويلِ ٱلنابْ • شـوقِ الرعابيب(٢)

فهو شبل نشأ ولم تطأ قدمه طيلة عمره ما يعيبه فهو منزه عن العيوب ولم

---

(٥) الجسايم ـ الهبات الجسيمة • عوق الخصيم ـ هلاك العدو • شوق ـ حبيب أو زوج أو الرجل الذي تشتاقه النساء ويعجبن به •

(١) شبل : ولد الاسد ـ ما داس ـ لم يطأ • عذروب ـ عيب •

(٢) ديم : المطر الدائم التسكاب • المحل ـ الجدب • مرغى الفحل أي جاعل الجمل الشرس يرغى بعد هديره والجمل يرغى اذا خضع وذل ويهدر ويرزم اذا تعاظم واغتاظ ـ طويل الناب ـ أي بازله والمعنى انه مكتمل في سنه •

يمس عرضه ما يشينه • واما كرمه فهو للناس كالمطر للارض المحله المجدبه واما بطولته وشجاعته ، فهو مذلل الرجال الشجعان الذين يذلون له ويستكينون وهم على ما هم عليه من قوة وفحولة •

ثم يختم مدحه بصفة أخرى فيصوره بانه ممن تشتاقه الرعابيب ذوات الحسن والدلال •

اما الظلماوي فينادي ممدوحه بقوله :

يابو ٱليتامى والعِمِنيْ والمحاديب
ويا عِزْ مَنْ صارِ ٱلعصا ثالثاً لَهْ

تكفي محاليباً وْتِمْلاَ محاليب
كَبداً تْبَبِّسْهَا وكبداً تِبِلَّهْ

إفْطنِ بْروحَكْ يا قليلَ ٱلعَذَاريب
لو تستحي ما تجمعِ ٱلطيبْ كِلَّهْ

فاليتامى والعميان والمشوهون انت ملاذهم الوحيد حتى أصبحت لهم أبا وعزا لمن ادركه ارذل العمر فشاخ وأصبحت العصا رجله الثالثة وانت مع كل هذا الحنان والشفقة جبار قاسي على الاعداء فانت الخير للمحتاجين والشر على الاعداء تذيقهم الموت وتسلبهم ما يملكون •• ثم نراه بعد هذا يذهب في تأكيده لمدحه بصيغة الذم فيقول : التفت الى نفسك يا قليل العيوب فأنت لو تخجل لما جمعت الطيب كله ولم تترك لغيرك خصلة حميدة يتحلى بها •

---

(١) العمى ـ العميان • المحاديب جمع احدب •
(٢) تكفى ـ تكفىء • تملا ـ تملأ • المحاليب وعاء الحليب • تبله • تبلله ترطبه •
(٣) العذاريب : جمع عذروب أي العيب • الطيب • الخصال الحميدة والذكر الحسن •

فهؤلاء الشعراء لم يخرجوا في مدحهم عن نعت ممدوحيهم بالكرم والشجاعة والعفة والعطف على المحتاجين وغير ذلك من الخصال الحميدة التي كلفوا بها ولا يخرج مدحهم عن هذه الاوصاف فالمديح في شعرهم على كثرته لا يكاد يتعدى هذا الذي قلناه والشعراء يتفننون باداء هذه المعاني بأساليب مختلفة • ويتوسلون اليها بصور وتشبيهات تتلاءم وبيئتهم •

وكثيرا ما نرى هؤلاء الشعراء يلتفتون الى التاريخ العربي يختارون من بين ابطاله ورجالاته نماذج يشبهون بها ممدوحيهم •

فالشاعر عندما يريد وصف ممدوحه بالكرم فمن غير حاتم الطائي •• وان أراد الشجاعة والفروسية فمن غير عنترة بن شداد•

حُرٌّ مْصَلْصَلْ • عنترِ ٱلحَرْبْ بَالكون
بالجودْ حاتمْ طـــيْ كَسَّابْ وهَّاب(١)

وهذا محمد العبدالله القاضي في مدحه لطلال العبدالله الرشيد لم يجد شجاعة يشبه بها شجاعة ممدوحه ولا وصفا يصفها به الا قوله بانها قد احيت ذكر خالد بن الوليد ولم يكتفي بهذا بل زاد على ذلك قوله بأنها انست الناس حكايا البطولة التي اشتهر بها أبو زيد الهلالي وذياب ابن غانم بطلا الملحمة الشعبية المشهورة •• ويبدو ان شاعرنا أحس بأنه لم يعطى هذه الشجاعة حقها فقال ـ لو ان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ما زال حيا للجأ اليك يحتمي بك ويأمن في حماك •

احييتْ شـــجاعةْ خالد بن الوليـــد
وَانْسيتْ قالاتٍ لابي زيدْ وِذْيَابْ(٢)

لو كانْ عمروِ بِنْ مَعْدَ ٱلزبيدي
حيٍ لجا بِحِمْاكْ يا زاكي ٱلانْسَاب

(١) حر مصلصل : عريق في النسب • الـكون : المعركة والالتحام •
(٢) قالات : حكايا • لجا : لجأ •

اما العوني فيقول ان لممدوحه صولات اذا ركب للمعركة لم ينقل الرواة يوما ان أبا زيد الهلالي صالها أو ان عنتر بن شداد نالها •

لهْ هدّةٍ ما قيلَ ابَا زيدْ هَدّها
وْلاَ عنترٍ ٱلمشهورْ ما قيلْ نَالْهَا[1]

ونراه في مكان آخر يذهب في مدحه الى حد المبالغة في وصفه لكرم صاحبه فيقول لو ان البرامكة ومعن بن زائده وحاتم الطائي رأوا عطاياك لقالوا دعونا نمضي اليه نطلب العلى والنوال من كف ستغنينا عطاياها وهباتها • فهل من كرم هناك يفوق هذا الكرم •

فَلَوّ ٱلبرامكْ وْمَعَنٍ وْحاتمٍ الصخا
شافوا عطايا « ٱلخليفة » ومناقبها[2]

قالوا دعونَا نْسيْر نِطْلُبَ ٱلعلى
من كَف « عيسى » تْغَنّيْنَا وَهَايبها[3]

وهل هناك من سعى في طلب الثأر وبالغ في ذلك كما سعى المهلهل في طلب ثأر أخيه كليب فهو قد أثارها حربا عوانا دامت سنين طويلة وقتل الكثير بدم كليب ولم يهدأ ولا شفى غليله • فاختاره العوني ليشبه به ممدوحه الذي سار على سنة مهلهل وجددها بعدما تقادم عليها الدهر •

سِنّةِ مْهلهلْ عَنِ كْليبٍ خِليْصَه
فْرَضْهَا ٱبُو ثامرٍ وْجَدّدِ اسْمَالْهَا[4]

---

(١) هدة : صوله • هدها : صالها •
(٢) البرامك : البرامكة • الصخا : السخاء • الخليفة : المقصود آل خليفة امراء البحرين •
(٣) عيسى : هو عيسى بن علي آل الخليفة •
(٤) أبو ثامر : كنية الممدوح • جدد اسمالها : جدد قديمها •

وْذِبَحٍ بْعَبْدَ ٱللَّهْ شْيوخٍ كثيرة
مُصَابيخْ ظَلْمَهْ •• بالدجى ينعنىٰ لها[1]

اما حميدان الشويعر فيصف ممدوحه بالعدل والكرم والحلم والدهاء فهو قد أخذ العدل من كسرى والكرم من حاتم والحلم من الاحنف بن قيس والدهاء من عمرو بن العاص ••• وقد اشتهروا جميعا بهذه الصفات •

خَذِ ٱلعدلْ مِنْ كسرى وْمِنْ حاتمِ الصخا
وْمِنَ ٱحْنَفٍ حِلْمْهِ وْمن عَمُروْ هاجسه[2]

وها نحن نورد في ختام كلامنا عن المدح بعض النماذج وهي كسابقاتها من حيث المعاني التي طرقتها في تعداد صفات المدوحين •

يقول العوني :

عبدالعزيزِ حْجَابْ نَجدٍ عنِ ٱلروم
ابْنَكْ نجيبكْ هِدَمْ صولاتْ مَنْ صال[3]

عِزِ ٱلرفيقِ وْذِلْ مَنْ يُنْقِلِ الزوم
لَطَّامْ هاماتِ ٱلعدىٰ مِتْلِفِ المال[4]

---

(١) بالدجى ينعنى لها : أي تستحق ان يتحمل الانسان عناء الذهاب اليهـــا •

(٢) كسرى : هو كسرى انو شروان الذي اشتهر بالعدل • هاجسه : دهـــاءه •

(٣) حجاب : ســـد ، مانع ـ الروم : الافرنج • نجيبك ـ الذي انجبته • صولات ـ جمع صولة •

(٤) الزوم ـ الكبرياء والغطرسة • لطام ـ صفة مبالغة من لطم • متلف المال أي كريم سخي •

حُرٍّ الى مِنُّهْ شِهَرْ وَادْرَجِ ٱلحوم
عُقبانْ نَجدٍ عن مَرامِيهْ تِنْجَال[١]

ريفٍ على ٱلعانينْ نَصْرٍ لْمَظْلُوم
سُوٍّ على المِسْوِينْ قَصَّافْ الآجال[٢]

ويقول عبدالله بن سبيل :

عوقِ ٱلخَصيمِ وْسِتِرْ مَنْ تِذْهَلِ غْطَاه
لاهِجٍ من عِجِّ ٱلسبايا قْعُوده[٣]

وْلاَ يْسَنِّدِ ٱلاّ مروي حَدْ شَلْفَاه
يمناهْ على نَشْرِ ٱلدمي محموده[٤]

زينِ ٱلِخْصانِ الى ارْتَخَى سير علباه
يثني وراهُ ، وْيِحْتِمِي كلْ عوده[٥]

كِنِّ ٱلِسبَايا يُومْ تُوحي مشاراه
صيدٍ مْنَ ٱلرامي تقافى جهوده[٦]

---

(١) حر ـ صقر • الى منه ـ اذا انه • شهر ـ حلق • ادرج الحوم ـ ذرع الفضاء مستطلعا • عقبان جمع عقاب • مراميه ـ مواطنه • تنجال ـ تجلو •

(٢) ريف على العانين ـ ربيع المحتاجين • سو : سوء • المسوين : المسيؤن •

(٣) عوق الخصيم : هلاك الخصم • من تذهل غطاه : التي تذهل عن ستر نفسها من الفزع • العج : الغبار • قعوده ـ جمله •

(٤) يسند • يوقف فرسه • شلفاه : شلفته • الدمي : الدماء •

(٥) سير : قطعه مستطيلة من الجلد • علباه : علبته ، رقبته • يثنى وراه : ينعطف على الاعداء ، يقاتل خلفه • ومعنى البيت : ان الممدوح زينة الجواد اذا تعب من كثرة الطراد في المعركة فتراه يقاتل رغم هذا فتلوذ به الخيل الكبيرة السن التي انهكها التعب • وهذا منتهى الشجاعة •

(٦) كن : كأن • السبايا : الخيل • مشاراه : ثاراته (معارك الثأر) • معنى البيت : كأن الخيل يوم معاركه مع أعدائه في ركضها غزلان افزعها الصائد فانطلقت تعدو •

ويقول معزي :

يا راكبـــاً من عنـــدنا فوقْ مَشْدُود
حُرٍّ مع ٱلديَّانْ زينُهْ فِديْدَه[1]

تلفي على حَمُّودْ وِآنْ قيلْ حَمُّود
ما جابَنِ ٱلنِسوانْ مِثْلُهْ وِليده[2]

عقيدْ قُومٍ سَاطْرُهْ مالَهَا حْدُود
تِنْهِمْ على ٱلصابورْ جَمْعِهْ عَبِيْدَه[3]

وقال آخر مادحا عبدالمحسن آل هذال :

يا مزنةٍ غَرَّةٍ تُمْطُرْ شِـــمَالى
ترمي على روسِ ٱلمعادي جلاميـــد[4]

---

(١) مشدود : الجمل اذا أعد للركوب • حر : الصقر • الديان : الفيافي والقفار الفديد : الجرى •

(٢) تلفى : تأتي ، تصل • ما جابن : لم يلدن • وليده : الرجل الشجاع الجرىء •
معنى البيت : سيكون ملفاك حمود الذي اذا ذكر اسمه ادرك الجميع ان النساء لم يلدن مثله •

(٣) عقيد : أمير الغزو وقائده • ســـاطره : الصفوف ، الجموع المصطفه • تنهم : تهجم • الصابور : المحاربون • جمعه : مجموعه •
معنى البيت : انه عقيد في قوم اذا اصطفوا للقتال فصفوفهم لا حد لها لـكثرتهم • وجموع عبيده لـكثرتها تهجم على المحاربين دون خوف أو وجل •

(٤) غرة : غراء • روس : رؤوس • المعادي : الاعداء • جلاميد : جمع جلمود ، الصخر • معنى البيت يقول انت مزنه من المطر تعطى الخير لنا وترمى الصخور على رؤوس الاعداء يريد بذلك انه فارس وشجاع فهو كالمزنه التي تمطر صخرا على الاعداء فتفنيهم •

زْبيدِيَّهَا يِفَهِّدْ روسَ ٱلرْجَالي
وْعِشْبِهَا قْرُونِ مْنَبِّهِينَ ٱلاوَاليد[1]

يِتْلونَ ابُوْ عَجِيلْ ماضِيْ ٱلْفِعَالي
ماصِ ٱلحَدِيْدِ اللّيِ يِقْصِ ٱلبْوَاليد[2]

نكتفي بايراد هذه النماذج التي اعطتنا على ما اعتقد صورة واضحة عن المدح في شعرهم وعن المعاني التي تناولوها في هذا الموضوع وهي في مجموعها لا تخرج عن ذكر الصفات التي لهجت ألسنة الشعراء القدامى بها • وهي كما رأينا مستمدة من البيئة البدوية مطبوعة بطابع القوة فالشاعر يمدح بالصفات والسجايا التي يفتخر بهـــا البدوي وهي لا تعدو البطش والفروسية والشجاعة والانفه والكرم ••• الخ •

---

(١) زبيديها : الزبيدي نوع من الكماه • قرون • ذوائب الشعر مفردها قرن • الاواليد : الاولاد ، الفتيان عندهم •

معنى البيت : ان الكمأة التي تنتج من هذه المزنه هي رؤوس الرجال والعشب هو خصل شعر الفتيان يريد بذلك كثرة القتلى الذين يسقطون في ساحة المعركة من قوته وبطشه •

(٢) ماص : ماس • اللى : الذي • البواليد ــ الفولاذ •

معنى البيت : انت معروف بافعالك الجليلة وشجاعتك فانت بعزيمتك وقوتك تقطع الفولاذ فاذا كان الماس يقطع الزجاج فانت ماس الحديد الذي يقطع الفولاذ •

الفصل الثالث

الرثـاء

البدوي بطبيعته لا يخشى الموت أبدا ولا يخافه فهو أمر لابد منه وهذا أمر فرضته عليه طبيعة حياته وان الحذر لا ينجي من القدر وانه

لابُدْ من خرقةٍ بيضـا على ألسنَّة
وٱلموتْ مِنْ قبلنا ما عافْ راكان

ولذا فهم لا يجزعون على الميت كثيرا . ولا يبقى الاسى في نفوسهم مدة طويلة . والبدوي لا ينهار أمام الفجيعة بل نراه يتجلد وتبقى الرجولة مسيطرة عليه . فاظهار الحزن والتوجع ليس من صفات الرجال وانما هو من صفات النساء لذا فمن النادر أن نجد بدويا يبكي أمام الآخرين على عكس النساء اللواتي يندبن ويلطمن الخدود . وهم في هذا لا يخرجون عما كان عليه اسلافهم عرب الجاهلية . اذ أن اظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة كما كان لائقا بنسائها ، وخاصة بالاخوات[١] .

الا انهم رغم جلدهم هذا سرعان ما يعلو الحزن وجوههم اذا سمعوا شيئا من شعر الرثاء لذلك نجدهم لا يحبون شعر المراثي يقول الاستاذ أحمد الخطيب طلبت من الشيخ طراد السطام مرثية شقيقته سيطه في شقيقه ممدوح السطام فقال انها لا تنشد عندي[٢] .

وشعر الرثاء غالبا ما يكون تعدادا لصفات الميت الحسنة ، وحسرات

---

(١) بروكلمان تاريخ الادب العربي ص ٤٨ .
(٢) الشعر عند قبائل الرولة ـ بحث موجز لم يطبع .

على فقده وتألما لفراقه ولا يخرج عن ذلك الا في النادر القليل تماما كما هي الحال في شعرنا العربي القديم ٠

وشعر الرثاء في مجموعه صادق العاطفة مصدره القلب ودافعه الالم والتأثر فليس للتكلف ولا للتصنع فيه نصيب ٠

يقول ردهان بن عنكه في الشيخ صفوق بن فارس وكان فارسا عظيما من فرسان قبيلة شمر وسيدها ٠ قتل غدرا بيد أحد الولاة الاتراك حوالي عام ١٨٤٠ – ١٨٤١ ٠

ونيّتْ وانا من غفيله
وَنّةْ عجوزٍ وقّفتْ بالمتاريس(١)

لقتْ ولدها غادي مع حليلة
وْعقْبِ الطرب بدّلتْ بالهداريس(٢)

واويلْ قيلِ صفوقْ واطولْ ويلة
ويلٍ يموّسْ بسْرةَ القلبْ تمويْس(٣)

من غبتْ عنّا يابنْ آخي سبيله
غابَ السعدْ عن نزِلنا والنواميس(٤)

ونرتعْ رتيعِ الصيدْ ونجفلْ جفيله
وصِرنا مِثلْ فرزِ الماعِزْ بِلا تيس(٥)

---

(١) ونة ٠ أنة ٠ المتاريس : جمع متراس ٠

(٢) لقت : لقيت ٠ غادي : غاد ، ذاهب ٠ عقب : بعد ٠ بدلت : ابدلت ٠ الهداريس : الامور المهلكة ٠

(٣) واويل : كلمة يطلقونها للتوجع وهي مرادفة لكلمة ويلاه ٠ يموس : مشتقة من الموسى ، أي السكين والمعنى يقطع ٠

(٤) نزل : جمعها نزول ومعناه مخيم القبيلة ٠ النواميس ٠ مفردها ناموس تأتي بمعنى الشرف وتأتي بمعنى العز والفخر أو ما يجعل الانسان يفتخر به ويعتز ٠

(٥) فرز : قطيع ٠ المواعز : الماعز ٠ التيس : ذكر الماعز ٠

انه يئن انين عجوز ثكلى فقدت وحيدها وزوجته وهي في أيام عرسهما فابدلا الطرب بالهلاك ويعود هاتفا بجزع : ويلي على صفوق عندما نعــاه الناعي ويلي عليه ويا طول ويلي • ويل احسه يقطـع قلبي تقطيعا ويمزقه وجدا والما ــ فمنذ أن غبت عنا غـاب السعد عن ديارنـا وأفلت الذكـريات المشرقة ولن نرجوا بعد اليوم احداثا ووقائع تجعلنا نفتخر ونعتز بها ومن أين تأتينا وقد تركنا غيابك كغزلان الصيد مطمعا لـكل طامع حتى بتنا نجفل جفلته ونرتع رتيعه خائفـــين وجلين وأصبحنا بدونك كقطيع الماعز الذي لا ذكر ولا فحل له •

وهذه سيطة ترثى أخاها ممدوح السطام أحد مشايخ الروله :

برقٍ تِلاَلاَ شــوقْ عينـــي ضِوِيْحَهْ
وْمِنْ رأسْ مزنٍ بالسِمَا ضايحٍ ضوح[1]

يِرْعِدْ ويِبْرُقْ فوقْ هاكَ آلبُطِيْحَهْ
وْسَيِّل شِفَايا ساكْنٍ بَــهْ ممدوح[2]

شــيخَ آلِشْيُوخِ آللّي لِرْبَعْهُ مِنيحَهْ
ولا •• يابَعَدْ شيخٍ عالرِزْقِ مَشْفُوح[3]

وجــدي على راعــي آلعِلُومَ آلمِلِيْحَهْ
اللّي نهـارِ آلـكونْ لِلْضِدْ ذابوح[4]

---

(١) تلالا : تلألأ • شوق عيني : يشوق عيني • ضويحة : لمعانه • المزن : جمع مزنة وهي الغيمة الممطرة • ضايح ضوح : يلمع لمعانا •

(٢) هاك : تلك • الشفايا : الوديان الصغيرة •

(٣) المنيحة : الاعطية • وتطلق أيضا على النعجة التي تسمن • على الرزق مشفوح : فقدناه رغم حاجتنا اليه •

(٤) راعى : صاحب • اللى : الذي • الـكون : القتال • الضد : العدو • ذابوح : صيغة مبالغة من ذبح •

وْياعــينْ كُفّــي دَمعْتِكْ ياكَويْحةْ

وْلاَ لِكْ مع كَلّ آلزِوَاوِيل صالوح(1)

تقول : كم يشوق عيني لمعان هذا البرق الذي يتلألأ ويلمع لمعانا ترسله مزنة محملة بالمطر الذي انهمر ليسقى تلك البقعة التي يظم ثراها ممدوح الذي كان سيد الرجال وشيخ الشيوخ المعطاء لاصدقائه الوفى لهم •

وفجأة لشدة وجدها تصرخ لا •• ايها الشيخ الذي مضى ونحن نحتاجه لا •• لا تذهب •• نحن لا نريدك أن تموت •• ولكنها تعود الى واقعها المرير فقد ذهب ممدوح ولن يعود •• فوجدها عليه •• على صاحب الاخبار التي طبقت الآفاق وجدها على الفارس الذي كان ذباحا للاعداء يوم العراك اذا حمى الوطيس ، أما انت ايتها العين الحسيرة فكفي دمعك فليس لك بعد ممدوح صالح مع أي كان •

وشعر الرثاء عندهم لا يقال الا في الرجال ، فالصرخة التي اطلقها جرير عند فقده لزوجته •

لولا الحيـــاء لها جنى استعبار

ولزرت قبــرك والحبيــب يزار

ما زالت كما هي تحتفظ بدويها وحرارتها وصدقها فالبدوي اليوم يخجل من البكاء على عزيزة أو يرثيها •• فهذا رجل من قبيلة الاسبعة (أَلسْبَعَةْ) احدى قبائل عنزه تموت زوجته فيشتد وجده عليها ويريد أن يقول بها رثاء ولكنه يخجل فلم يجر العرف عندهم ان ترثى امرأة واذا فعل أصبح اضحوكة بين الرجال فماذا يفعل لينفس عن نفسه ما يحسه من ألم ولوعة ، فلابد له ان يحتال لذلك وقد كان •

---

(1) كويحة : حسيرة • الزوايل : الرجال ، الاشخاص • صالوح : صالح ، غرض •

ففي يوم اكفهر الجو فيه وثار الغبار اطلق صاحبنا صقرا له وهو يعلم انه لن يعود اذ لم تجر العادة ان يطلق الصقر في جو مغبر لانه سيضل الطريق ولن يعود الى صاحبه أبدا وهذا ما جرى لصقر صاحبنا فقال فيه قصيدة تنبض باللوعة والحزن عليه وطبيعي ان المقصود لم يكن الصقر وانما زوجته الحبيبة التي فقدها •

يقـــول :

يا ونّتي وَنّةْ خَلَوْجٍ ٱبنْ رومـــي
أفْرَقَتْ عن مَذْبَحْ وَلَدْهَا إدِيهَا[1]

دَنّقْ عليهـــا مَن يِدُوحَهَا بْشـــومي
تِعْوِلْ ولا وِدّكْ صِدِيقَكْ يجيها[2]

يا طيرِتي غَدَتْ وَانَا اشُوف وُاوْمي
وَاجْدَعْ لها الشُولاحْ ما جازْ بيها[3]

وراحَـــتْ تِرْقيُ نايفَـــاتَ الحْزُومي
وَاقْفَتْ وَانَا قلبي غِلِيثٍ عليهـــا[4]

قلبـــي عليهـــا يابِنْ عَبْلانْ يومـــي
أو ماتْ عـــودِ القيشْ يومي عليهـــا[5]

---

(١) ونتي : انتي • خلوج : الناقة اذا فقدت رضيعها • ايديها : يديهـــا •

(٢) دنق : انحنى • يدوحها : يضربها • الشومي : العصا الغليظة ودك : بودك •

(٣) غدت : ذهبت • اشوف : أرى • اومي : اوميء ـ اجدع : ارمى اقذف • ماجاز : مافاد •

(٤) راحت : تولت • ترقى : ترتقى • نايفات الحزومي : عاليات الجبال • اقفت : ادبرت • غليث : محزون ، مكروب •

(٥) يومى : يوميء • اومات : ايماء • القيش : الماء الضحل •

لقد أشار الشاعر الى حادثة مشهورة في البادية وهي قصة خلوج ابن رومي ونحن نذكرها هنا حتى ندرك مدى لوعة الشاعر على فقيدته •

المعروف عن النـاقة انها مضرب المثل في حنانهـا على رضيعها • واذا فقدته فهي تئن دائما أنينا يقطع نياط القلوب ومن هنا جاء تشبيههم بأنينها والناقة عندما تفقد رضيعها يسمونها الخلوج • وتتلخص الحادثة التي أشار اليها الشاعر بأنه كانت لرجل من البدو اسمه ابن رومي ناقة ترضع حوارها وقد أخذ دون علمها وذبح في مكان قصى فأخذت تئن عليه وفي يوم مرت مع باقي الابل في المـكان الذي ذبح فيه رضيعها فبركت في الموضع الذي ذبح فيه وأخذت تئن أنينا محزنا يمزق القلب وقد حاول صاحبها ان ينهضها ولـكنها أبت على الرغم من ضربها بالعصي الغليظة واستمرت في عويلها حتى لفظت أنفاسها حزنا وجزعا على وليدها •

فشاعرنا يشبه انينه بأنين هذه الناقة ولوعته بلوعتها وعلينا ان نقدر مدى هذه اللوعة وهذا الحزن •• ثم يقول يا طيرتي الا انه يحس انها لم تعد له فقد ذهبت الى غير رجعة ذهبت وهو ينظر اليها ويومىء لها ويرمي لها ما يغريها بالهبوط الا ان كل ذلك لم يجده نفعا فقد مضت ترتقي الجبال الوعرة المرتفعة وادبرت تاركة الهم والاسى له والحزن والـكدر لقلبه هذا القلب الذي يشتاقها ويحن اليها فهو في اختلاجه واضطرابه كعود في ماء ضحل تلعب فيه الريح مرة ويحركه الماء ثانية فهو في اضطراب دائم وحركة لا تهـــدأ •

وهكذا تمكن ان يفرج عن كربته ويخفف من حزنه على فقيدته بهذه الابيات الباكية الحزينة التي قالها في صقره الذي فقده •• الا أن حيلته هذه لم تنطلي على الآخرين اذ سرعان ما أجابه صديقه الذي خاطبه في البيت الاخير وهو ابن عبلان بقصيدة أخرى مناقضة لها •

يقول ابن عبلان :

هَبيْلْ يَا دَعَّاي طيرٍ يحُومي
طيرٍ بغَى لُهْ ديرةٍ مِشْتَهِيْهَا[1]

الطيرْ ما هُوْ من حَلاَلٍ يدومي
طيرَ ٱلهوَى كلٍّ ٱلمَلاَ خانْ بيها[2]

فُقَايدِ ٱلدنيَا فْرُوخَ ٱلرْجُوعي
اللّي يشْلَجّنْ ٱلحبَاري إدِيْهَا[1]

اللّي لهم عندَ ٱلمظاهيرْ يُومي
وْصِيحَاتْهُم يِكْثَرْ ٱلمُرَّاجْ بيهَا[2]

ذولاكْ حَطّوْ بالضمَايرِ ثْلُومي
وْباقي ٱلنوَاقِصْ عقْبُهُمْ وِشْ عليها[3]

يقول : مجنون انت •• يا من يدعو طيرا ولى في الفضاء ويجزع على ذهابه ويحزن لفقده • فهو ليس بالمال الذي يدوم ويخلص لصاحبه وليس بالشيء الذي يفتقد اذا ضاع لانه تافه •• اما الذي يفتقد في هذه الحياة

---

(١) هبيل : مجنون • دعاي : داعى ، منادى • يحوم : الطائر عندما يجوب الفضاء • بغى : أراد • ديره : مكان أو جهة •

(٢) حلال : ما يملـكه الانسان من مال وحيوان وارض •• الخ • الملا : الملأ : البشر •

(١) فقايد : الاشياء التي تفتقد • فروخ : جمع فرخ • الرجوم : مفردها رجم المرتفع الوعر • يشلجن : يقطن ، يمزقن ـ الحبارى : مفردها حبارة وهو طائر •

(٢) المظاهير : الخيل • صيحاتهم : يقصد صيحات الحرب • المراج : جمع مارج ، مارق أي الفرس التي وقع فارسها عنها •

(٣) ذولاك : اولئك • حطوا : تركوا أو وضعوا • ثلوم : جمع ثلم • عقبهم : بعدهم •

ويترك اللوعة في القلوب فهو فقد الرجال فقد الفتيان الذين يمزقون اعداءهم •• الفرسان الذين اذا ركبوا الخيل كانت لهم وقعات وأيام ومعارك تكثر فيها القتلى وتكثر الخيل التي سقط عنها فرسانها •• هؤلاء هم الذين يتركون عند فقدهم في القلوب جروحا لا تندمل وكل ما عدا ذلك فهو تافه وامره يهون اذا فقد •

فالرثاء يجب ان يقال في الرجال لا في النساء وهم عموما كما قلنا سابقا لا يجزعون على الميت فكيف اذا كان الميت امرأة •

وبالرغم من كل هذا فنحن نجد بينهم من جزع على امرأته جزعا شديدا وقال فيها المراثي الكثيرة •• بل اوقف شعره على رثائها ومع هذا فلم يعيبوا عليه ذلك بل على العكس نراهم اعجبو بهذه المراثي وما زالوا يتناقلونها منذ عشرات السنين ويذكرون صاحبها بكل اجلال واحترام •• وهذه المراثي الخالدة التي يعتزون بها هي ـ رثاء نمر بن عدوان لزوجته « وضحا » ومصدر خلود هذه المراثي عندهم اعجابهم بنمر من ناحية وحزنهم على وضحا التي تعد من اكرم سيدات البادية • فقد كانت سيدة فاضلة كريمة للاضياف سترت وجه زوجها مرة ، حين جاءه شيوخ البدو ضيوفا في سنة جدباء • وكانت قد ادخرت لمثل هذه الساعة المؤن فأكرمت الضيوف وذهبوا يلهجون بذكائها ومقدرتها على ادارة بيت زوجها ••[1]

وكان نمرين عدوان رحمة الله فارسا شجاعا وسيدا لقبيلته عدوان المعروفة في الاردن •

وما نراه من الجزع الشديد واللوعة في شعره مرده الى شغفه الشديد بزوجته والحالة التي تركته فيها فقد خلفت وراءها طفلا صغيرا اسمه عقاب وبيتا يحتاج الى حسن ادارتها وخبرتها • وعقاب هذا يتردد اسمه في كل قصائد نمر فهو يخاطبه دائما قاصا عليه ما كانت عليه امه من خصال وواصفا له حالته وأحزانه بعد وفاتها •

---

(١) خمسة أعوام في شرق الاردن ـ بولس سلمان • ص ٤٤ •

يقول نمر بن عدوان :

البَارِحَةْ ـ يَعْقَابْ ـ حين ٱلقُمَرْ غَابْ
وْحِينِ ٱلثُريا كُوكَبَتْ عَالمغِيبِ (١)

جيتِ ٱلعَرَبْ لَنِّ ٱلأَهَلْ .. غِيَّابْ
بَسِ ٱلفَرَسْ بالبيتْ وِيَّهْ العَبِيدْ (٢)

سَايَلْتُهُمْ عن صاحبي وِيْنْ غَابْ
قالُوا ٱسْتَمِعْ يا نِمِرْ ما هُوْ بِعِيدِ (٣)

زايرْ هَلُهْ ـ يَعْقَابْ ـ في سَاعَةَ غْيَابْ
هلْ حِينْ يلْفِي وَٱلمَحَبَّهْ تِزِيْدِ (٤)

إنْ كانْ عِلْمِ ٱلعَبِدْ ـ يَعْقَابْ ـ صدّاگْ
أَعطي العَبِدْ ـ يَعْقَابْ ـ ما نالَتِ ٱيْدِي (٥)

وِانْ كانْ عِلْمِ ٱلعَبِدْ ـ يَعْقَابْ ـ كَذّابْ
لَصُكْ أنَا بيديهْ ذاكَ ٱلحَوِيْدِ (٦)

ومن لامني ـ يَعْقَابْ ـ يِبْلَى بَارْقَطِ ٱلدَابْ
وِيْعيشْ بِالدنيا ذِرِيْدٍ وِحِيْدِ (٧)

---

(١) البارحة : امس • كوكبت : مالت : انحدرت •

(٢) جيت : جئت • العرب : يقصد قبيلته • لن الاهل • اذا بالاهل • بس : فقط • ويه : مع •

(٣) سايلتهم : سألتهم • وين : أين •

(٤) زاير : زائر ، ذهب في زيارة • هلة : اهله • هل حين • هذا الوقت ، في هذه الساعة • يلفي : يصل ، يأتي •

(٥) علم العبد : خبر العبد • صداق : صادق • ايدى : يدى •

(٦) صك : قفل • ذاك الحديد : يقصد ذاك القيد وهو يستعمل في العادة لتقييد الخيل •

(٧) يبلى : يبتلى • ارقط الداب : الارقط من الافاعي • الداب : الافعى •

ومن لامني •• مالُهْ مَعَ ٱلخيلْ مِطْلابْ
وْمِنْ جَنّةِ ٱلفردوسْ ما يِسْتَفِيدِ (١)

ان الفاجعة التي أصابت شاعرنا نمر بن عدوان جعلته « يفزع فيها الى الامال بالكذب » فيتصور ان وضحا ما زالت على قيد الحياة •• فهو بالامس عند افول القمر قد عاد الى البيت كعادته ولكنه لم يجد وضحة في البيت على غير عادتها والبيت خال لا أحد فيه سوى فرسة وعبيده سألهم عنها عن وضحا الحبيبة فقالوا له انهـا تزور اهلها وستعود قريبا لتعود الى سابق عهدها تمنحه الحب والحنان •• انه يكاد ان يصدق نفسه ويصدق ان وضحا لم تمت فيضطرب للخبر الذي قاله العبد له فيقول اذا كان صحيحا ما قاله العبد فسأعطيه كل ما تناله يدي واقدر عليه اما اذا كان كذبا فسأقيده واذيقه الامرين ••• لكنه يعود الى نفسه ويثوب الى رشده فيشعر انه قد تمادى في الجزع والاسى وان الناس قد يلومونه على ذلك ••• ايا عجبا لهؤلاء الناس الذين اكثروا اللوم •• وعلام هذا اللوم هل قام بأمر يستحق عليه اللوم ألأنه يبكي زوجته حليلته •• ام طفله الصغير ••• كفوا لومكم ايها الناس ويا رب سلط على من لامني وسيلومني الافاعي الرقطاء تلسعه واحرمه من الاحباب والاصدقاء وامنع النصر عنه ولا توفقه بغزوة يغزوها ولا فائدة يجنيها ••• ثم يرى ان كل هذا لا يشفي غليله فيدعوا على لائميه بحرمانهم من الجنة ••• أمل كل مسلم •

وفي قصيدة أخرى نراه يعدد محاسن وضحا فلا يكتفي بوصف جمالها وانها كالغزال الجميل كعنود الريم اجمل قطيع الغزلان •• التي أصبحت وحيدة في قبرها •• نعم لا يكتفي بذلك بل يعدد محاسنها الخلقية وكيف انها تحنو عليه اذا ما رأته متأثرا من أمر فتسترضيه وتداعبه كما تداعب الام

(١) ماله : ليس له • مطلاب : مطلب • وقوله ماله مع الخيل مطلاب • يدعو عليه بأن لا يركب فرسا في غزو ولا يستفيد من غزوة يقوم بها •

وليدها وهي ليست كباقي النساء اذ لم يسمع لها صوت ولم تخاصم جاراتها •

ولا زَغْرَتَتْ زَغْرُوتَةٍ بين آلفريجين
ولا علـى آلجـارات أوْمَتِ بْيَدهـا

وما أشبه قوله هذا بقول جرير في زوجته :

اناة لا النموم لهـا خدين
ولا تهـدى لجارتها السبابا

فهي شريفة مخلصة له لم تعاشر أحدا ولا غمزت لاحد بعينها فهي أرفع من ذلك لانها لم تتعود ان تعطى موعدا ولا وعدا بشيء يعيب •• ثم يأسف بعد هذا لموتها فالموت ليس لامثالها ••• يقول :

واللهْ ثُـمَّ آللهْ ديـنٍ بَاثَرْ ديـن
وْحَيَـاةْ كُلْ مِنْ بالشُوَابِر لِكَدْها

يا زينِ آمِّ عقابْ ـ يَعْقَابْ ـ يا زيـنِ
وَضْحَةْ عَنُودِ آلريمْ تِمشي وَحَدْها(١)

انْ جِيتَها ـ زعلانْ قامتْ تِرَضِّيني
شِبْهِ آلحنونِ آللِّي تْلاعبْ وَلَدْها

وْلا عاشرتْ غِرْياف بْغَمزةِ آلعيـنِ
وَلا على آلجـاراتْ أومتِ بْيَدْهَـا(٢)

وْلا عاشرتْ غِرْيَاف بْغَمزةِ آلعيـنِ
وَلا على آلخَمْـلاتْ تِعطي وَعَدْهَـا(٣)

---

(١) عنود الريم : اجمل قطيع الغزلان وتكون تامة في السن •
(٢) زغرتت : زغردت • زغروتة : زغرودة • أومت : اومأت •
(٣) عاشرت : المقصود هنا مازحت • غرياف : شاب • الخملات : الاعمال الرديئة أو الاعمال التي تعيب •

بالحيف يا أم عقاب إنك تموتين

وبالحيف عنز الريم تمشي وحده[1]

ويمر نمر بن عدوان يوما فيرى طفله عقاب يلعب ويلهو مع اترابه ولا يدرى من الاحزان شيئا .. فيحسد طفله لذلك . ويخاطبه بهذه القطعة

يعقاب ياعزي اين حالك وحالي

قفت ليالي مزهرات بدلا لك

قفا سرورك مع هاتيك الليالي

عفت الليالي . والطرب والهنا لك

كل الشجا والحزن والبين جالي

جاني ضناي وقال افنيت حالك

محبوب عيني ساكن الدو خالي

يعقاب انت تلعب مع ارفاق اجيالك[2]

ونا يعقاب على النيران آلالي

طير السعاده طار لا لي ولا لك[3]

طار السرور عني والهنا لا .. لي

والحزن خزن بقلبي .. واراح بالك[4]

---

(١) بالحيف : مما يؤسف .. ولها معاني أخرى لا تخرج عن دائرة الاسف . عنز الريم : الانثى الجميلة في الغزلان .

(٢) الدو : القفر . اجيالك : اترابك ، يقاربونك في السن .

(٣) ألالي : اتحرق .. اتكوى .

(٤) لا .. لي ، أي ليس لي . واراح بالك من ما اريح بالك . أي أنت لا تحس بما أحس به .

وله قصيدة يصف فيها زوجته وهي محمولة على جمـــل وقد نقلت لدفنها يختمها بهذين البيتين .

يا زارعَ ٱلبســـتانِ هْنَـــا منيـــتي
دونَــكْ على مجــرى عْيُوني ازْرَعِ

اِزرعْ لنــا مراً وْدِفْلَى وْحَنْضَـــلْ
حتى دومَ آذُوقْــهْ وَشْرَبْ واجْــرَعِ[1]

ومن مراثيه ايضا هذه القصيدة التي يقدم فيها عصارة قلبه حـــزنا على ام طفله يقول :

اي ونــةٍ مَــن سمَعْهَــا مــا ينامــا
كنِّي صوِيْبِ بينِ ٱلاَضْــلاعْ مطعون[2]

وِٱلاَّ كمــا وَنَّــةْ كسِيْرِ ٱلســـلاما
خَلّوْهْ رَبْعُه لِلمْعَــادينْ مديــون[3]

وِٱلاَّ فَوَنَّـــةْ راعْبِــيِّ ٱلحَمَامَـــا
غادٍ ذِكَــرْهَا والقوانيصْ يِرْمـــون[4]

تِسْمَعْ لها بينِ ٱلجِــرَايِد حْطَامــا
وْمِنْ نُوحهَا دَلَّى ٱلحمايمْ يِنُوحون[5]

---

(١) دوم : دوما ، دائما . اجرع : اتجرع .

ومن مراثيه ايضا هذه القصيدة التي يقدم فيها عصاره قلبــه حــزنا

(٢) كني : كأني . صويب : جريح .

(٣) كسير السلاما : مكسور عظم الساق . خلوه : تركوه . ربعه : رفاقه مديون : مدين .

(٤) راعبي : بفتحة وكسرتين انثى الحمام التي فقدت الفها . غاد ذكرها : ضال ذكرها . القوانيص : الصيادون .

(٥) الجرايد : جريد النخل . حطاما : سجع وهديل . دلى : علم ، جعـــل .

عليكْ يا آللّي شِرَبْ كأس آلحِمَامـا
صرف بتَقْدير مِنَ آللّهْ ماذون[1]

حَطُّوهْ في قبر هيّاما هدّاما
وْقامَوْا عليه منِ آلترايبْ يِهيلون[2]

يا حُفْرةٍ يِسْقي ثَراكْ آلغَماما
مِزْنٍ مِنَ آلرحمةْ عليها يِصبُّون[3]

عسى آلبُخْتُرِي و آلنَفلْ والخزامي
يِنْبِتْ على قبرٍ هَوِيِّي فيهْ مدفون[4]

اَخَذْتَ اَنَا و يَّاهْ سبعة عْواما
معْ مِثْلِهِنْ في كيفةٍ مالَها لُون[5]

واللّهْ كَنَّهْ يا عَرَبْ صِرفْ عاما
يا عونةَ آللّهْ صرفِ الايامْ وِشْ لُون[6]

ولـه ايضـا :

قم شدِّلي يَعْقَابْ هِجْنِ آلبعارين
لاَ دَوِّرْ بالدنيا علّي أجدها[7]

---

(١) اللى : التي • من الله ماذون : مقدور ، باذنه تعالى •

(٢) حطوه : جعلوه ، وضعوه • هيام هدام : موحش متهدم • قاموا : جعلوا الترايب : التراب •

(٣) حفرة : المراد بها القبر •

(٤) البختري والنفل والخزامي : من نباتات البادية ذات الرائحة الطيبة هوي : الذي اهواه — محبوب •

(٥) كيفة : لذة • مالها لون : لا مثيل لها •

(٦) صرف عام : بقدر عام • ياعونة الله : يا معونة الله • صرف الايام وشى لون : تعجب من سرعة مرور الايام •

(٧) البعارين : البعران مفردها بعير وهو الجمل • ادور : اجوب ، افتش • علي : لعلى •

يَعْقَابْ امكْ يا حبيبي غدَتْ ويــنْ
أَمس ٱلعَصِر يعقَابْ تِرْضَعْ نهَدْها

هي غِدتْ ما بين سلمىْ وْمُرِّيْن
غَرْطُوفَةٍ يعْقَابْ تِنْهَشْ جسدها[1]

وين ٱلصبرْ يعْقَابْ وين ٱلصبرْ ويــن
فوق ٱلصدِرْ يعْقَابْ طُبْقَوا لحَدْها

من لامنــي يبلىْ بْمُوتِ ٱلمحبــين
ويقضي زِمَانُه في هموم ونِكَدْهَــا[2]

وهذا ضيف الله بن حميد يرثي اخاه عبيد بن حميد احد فرسان قبيلة عتيبه :

يا ونَّتي ونَّـةْ مِرِيْضَ ٱلحــرارة
والىوِقَفْ مَا ٱحْتَالْ والىقِعَدْ وَنْ[3]

عليكْ يَا شَبَّابْ ضَوِّ ٱلمنــارة
عليهْ ترْفَاتِ ٱلصبــايا يِنُوحَن[4]

---

(١) سلمى ومرين : أسماء امكنة فيها قبر زوجته • الغرطوفه : الافعى •

(٢) يبلى : يبتلى •

(٣) ونتي : انتي • ونة : أنه • الى : اذا • ما احتال : ما طاق • قعد : جلس • ون : أن •

(٤) شباب ضو المنارة : موقد النيران التي ترى من بعيد كالنور في رأس المنارة • ترفات الصبايا : الصبايا اللطيفات ، الكواعب ، الجميلات • ينوحن : ينحن •

تبكيه قُطعانٍ رعَتْ بالزبارة
والى بُغَنْ يَمْ خايْعٍ ما يردن[1]

الخيلْ عُقبِ عْبيدْ جاها غتاره
حَتيشْ لي راحَنْ وحتيشْ لي جَن[2]

كمْ شيخْ قومٍ ـ فيه ـ نطفي بْناره
مارِ الجروحِ الى وَزّنْ كيفْ يبرَن[3]

---

(١) قطعان : جمع قطيع • الزبارة اسم مكان • الى : اذا • بغن من ابتغى الشي ، أراده • خايع : النبات الملتف •

(٢) عقب : بعد • جاها : جاءها • غتارة : كلال وانحلال • حتيش : بمعنى دون فائدة والمراد بالبيت • ان الخيل بعد مقتل عبيد اصابها الوهن والانحلال وأصبح ذهابها وايابها سواسية لان لا فائدة ترتجى منها بعد ما ذهب فارسها •

(٣) فيه : معناها هنا من اجله • نطفى بناره : أي نقتله ونقضى عليه • وهم يقولون طفت نارهم أي قضي عليهم • مار : لكن • وزن : تغلغلن والمراد الحزن الشديد • يبرن : تبرأ ومعنى البيت : اننا سنقضي على كثير من الرؤساء ثأرا له ولكن هذا لا يشفى الغليل فالجروح اذ نفذت في القلب لا تبرا والحزن عليه دائم لا يزول •

الفصل الرابع

الفخـــر والحماسة

الفخر عند العرب باب واسع من ابواب شعرهم ، يعبر عن ميـــل طبيعي عندهم الى الانفة والعزة ، وانطلاقهم الــذي لا يعرف حـدا وراء الامال والذرى .

فالعربي بفطرته نزوع الى المفاخرة والمباهاة ، شديد الوله بالتطـلع الى ما مضى من الزمان ... الى مآثر الاباء والاجداد .

فللصحراء المجدبة القاحلة بمخاطرها يد طولى في تدفق الطمـوح وتوثبه الملحاح الى الذرى . وللعدو الذي يتربص دائما ... أثره البين في انفعالهم ومجلبة لغضبتهم الهادرة التي تتفجر مفاخراً لا تقف عند حد .

فالامم ... كل الامم ... في اخلاقها وعاداتها انما تماشي حاجاتها وصور معيشتها ومن هنا كانت الاخلاق والعادات التي فاخر العرب بهـا ثمرة حاجاتهم وصور معيشتهم ففاخروا بنقاء العنصر وكرم المحتد وقـوة العصبية ومنعة الجانب ومجدوا الشجاعة والكـرم والابـاء وباهوا بالمرؤة والوفاء والنجدة ... فحياة البادية المعرضة لقساوة السماء دائما والمهـددة بشبح الفاقة في كل حين جعلت للكرم عندهم شأنه العظيم فتغنى به الشعراء ومجدوا المتصفين به وصوّروا تهلل اساريرهم وترحيبهم البالـغ ... اذا طرقهم ضيف او محتاج واحتيالهم على جلب الضيوف بايقادهم نار القرى على رؤوس المرتفعات حتى يهتدي بها الضيف والضال والمحتاج مـن جانبي الصحاري ...

وهذه الحياة نفسها في كونها حياة تنقل وترحل لا ظل لقانون فيها ولا قوة منفذة ••• جعلت للكلمة قدسيتها فاصبحت كلمة الشرف قانون الحياة والوعد دين فتقدس الوفاء واحتقر الغدر ومجد الاوفياء وابتذلت سمعة الغادرين •••

ومن الطبيعي ان تكون هذه الحياة حياة فروسية يعمل الابطال فيها على حماية المستضعفين ونجدة الملهوفين ـ واغاثة المحرومين فلهجت الالسن بحماية الجار وفك العاني وبكل ما هو خير وبكل ما يعطي صاحبه المجد والذكر الحسن •

وما زالت هذه الخصال التي تدفقت على السنة شعراء الجاهلية فخرا واعتزازا هي هي في تدفقها على السنة شعراء البدو فهذا ابن لعبون يفتخر بقومه وينعتهم بالبطولة والشجاعة وحماية الجار فهم مشعلوا حروب لا يسلم عدوهم منهم مهما كان حذرا لمهارتهم بفنون القتال فهو يقول :

حِنَّا هَلَ آلوادي وْحِنَّا آلمناعير
وْحِنَّا وِدِيْنَا جارنا من جداره°(١)

خُطْلانَ آلاَيْدِي كالاسودِ آلهزابير
مِقَابْسِ للحربْ وِانْ شَبَّ نَاره°(٢)

مِرْكَاضْنَا يِشْبَعْ بُهُ آلسَبْع وآلطير
بْيُومِ تِغَبَّتْ شمسها في نهاره°(٣)

(١) حنا : نحن ـ المناعير : الشجعان • ودينا : من الدية أي دفعنا دية جارنا •

(٢) خطلان الايدي : طوالها • الهزابير : مفردها هزبر : اسد • مقابس للحرب : مشعلين لها •

(٣) مركاضنا : أرض المعركة • تغبت : اختفت واحتجبت •

حَرِيْبِنا لو كانْ دُونُهْ نُواطير

لا بُدْ ما يُفْجَعْ صباحِ بْغَاره°(١)

وهذا مشعان بن هذال يفخر بأنهم رجال حرب صلوا واصطلوا بنارها ويدل بكثرة عددهم وبأنهم يحمون الجار ويجيرون من استجاربهم.

حِنَا شَبَّاةَ الحربْ وآنْ شبَّتِ النار

وِتْفَازَعَتْ بينِ الجموعِ المشاهير(٢)

وْحِنَّا هَلَ الجَمْعِ المسمى الى سار

مِرْكَاضْنَا يِشْبَعْ بُهُ السَبعْ وَلطير(٣)

وْرُفَاقْتُهْ وَاللِّي حِذَانا لَهُمْ جار

وْحِنَّا عليهم نِحْمِي الجارْ وِنْجِير(٤)

اما محسن الهزاني فنراه يفخر بنسبه الذي يرجع الى وائل فمن يطاول قومه بني هزان نسبا وعراقة محتد ولا يكتفي بهذا بل يفخر ببطولات قومه وكرمهم وبذلهم فيقول :

دِيْرِةْ شيوخِ من عرانينْ وايل

لها القنا يومِ المِلاْقَا وقايع(٥)

---

(١) حريبنا : الذي يحاربنا • نواطير : مفردها ناطور أي حارس •

(٢) تفازعت : نفرت ، تقاطرت للنجدة وخوض المعركة • المشاهير : الكبار •

(٣) الجمع المسمى : المشهور • السبع : عند التحديد الاسد وفي الاطلاق الوحوش الضارية •

(٤) رفاقته : جماعته • اللى حذانا : الذين حولنا ، المحاذون لنا •

(٥) ديره : تأتي أرض ومنطقة وموطن وبلد • شيوخ : امراء • عرانين : جمع عرنين وهي الانوف • وائل : هو وائل المنحدر من ربيعه وهو أبو بكر وتغلب • القنا الرمح • الملاقا : الملاقاة ، الوغى • وقايع : مفردها وقعه • والمراد شدة بأسهم في الحرب •

كم واحدٍ تِخْشَى الخماسينْ بأسه
جعلناهْ قوتاً للنسورِ الهَلاَيِع[1]

بَامْوَالْنَا نِشْري من الحَمِدْ ما غلا
وْبَارْوَاحْنَا يوم التِلاَقِي نْبَايِع[2]

وبالمنْ ما نِتْبِعْ عِطانا وْلاَ بَعَد
على الغيظْ قلنا ذابه البِرْ ضَايع[3]

وهذا احمد بن عبدالله السديري يدل بقومه ويفخر بأنهم رجال حرب وطعان فهم ليسوا ممن يعطرون ثيابهم بالعطور وانما عطورهم آثار البارود على ملابسهم وليسوا ممن يتلهى بالزواج الكثير فهم انما يلهون على ظهور الابل والخيل عندما تسير الى الوغى والصدام يقول :

وِثْيَابْنَا مِهِبْ تِصْبَحْ مْوَاريس
الاَّ منَ البارودْ فيها غِثَايِر[4]

مِنَّابْ مَنْ يِلْهِي بْكُثْرِ المعاريس
كيفاتنا من فوقْ عُوصٍ فْطَاير[5]

---

(١) الخماسين : مفردها الخميس أي الجيش أو الاسد • باسه : بأسه • الهلايع : الجياع •

(٢) نشرى : نشتري • نبايع : نبيع ، ونبذل •

(٣) المن ، المنه • عطانا : عطاءنا • الغيظ : الغضب وهذا البيت في معناه قريب من الآية الكريمة : « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

(٤) مواريس : ملطخة بالورس • غثاير : آثار •

(٥) مناب : ما نحن بـ •• لسنا • المعاريس : الزواج الكثير • كيفاتنا : مفردها كيف انس لهو •

نِسْرِي الى منِّ ٱلدُجا •• جآخراميس

من فوقْ ما يِحْتَاجْ ضَرْبِ ٱلمسامير[1]

والفخر ليس وقفا على القبيلة ومآثرها فهناك الشعراء والفرسان الذين طالما فاخروا بأنفسهم وبطولاتهم وصبرهم على المكاره •

فهذا عبدالله بن الرشيد يفاخر بأنه رجل حرب لا يمل منها وبأنه سقى الاعادي الكدر والطين •• وهذه الجروح واثارها في جسمه واجسام اعاديه خير شاهد على ما يقول والناس تعلم من هو وتعرف اخباره القديمة والحديثة •

لكن الى ركب الرشا للمحاله

وِاسْتَثْقَلَتْ ماني منِ ٱلحَرْبْ ملاّل[2]

نِرْسِي كما تِرْسِي رواسي جِبْالَه

ما نِنْهَزِعْ مِنْ وطيْ حافي وِنْعَال[3]

وْمَنْ عافْ صافِ ٱلما كدَّرْ زَلالَهْ

اَسْقِيهْ كدرِ لِينْ يروي وْيِكْتَال[4]

شْهُودي بْجِلدي والعدوبَهْ بِدَالَه

وٱلناسْ تِدْري بالجِدَايِدْ وَلاسْمَال[5]

(١) جا : جاء • خراميس : شديد الظلمة • ضرب المسامير : ضرب العصي •

(٢) الى : اذا • الرشا : الرشأ وهو الحبل يجذب به الماء من البئر • المحاله : البكرة • استثقلت لقحت • ماني : ما انا • ملال : ملول •

(٣) نرسى : نثبت • ننهزع : نتقهر • وطى : وطء • حافى ونعال : المراد الخاص والعام •

(٤) عاف الشيء : تركه ولم يقربه • صاف الما : الماء الصافي • لين :حتى •

(٥) شهودي بجلدي : يقصد الندوب واثار الجروح • بداله : بديله ، مثله : الجديد والاسمال : الجديد والقديم •

اما عرعر بن دجين فنراه يفاخر بانه لا يلبس من الثياب الا الدرع ولا ينام الا والسيف ضجيعه فهو الشقاء لكل معتد وكيف لا وهو صاحب الهدلا « اسم فرسه » وهو بعد كل هذا يستدرك فيقول ولو ان مدح النفس معيب وفيه سفه الا انني لم اقل الا الحق والشعر قد يفرح القلب بعض الوقت الا ان الذي يشفى الغليل هي الافعال وخوض المعامع ٠

جِضِيعي منَ ٱلهِنْدي مَصقُولْ صارم
لْمَا نَاشْ مِنْ جَثْلَ ٱلعِظَامِ رْمَاه[1]

وْثُوبي منِ ٱلبُولاد دِرْعٍ وْطَاسَه
يْبَيِّنِ لْعَيْنِ ٱلناظرينِ سْناه[2]

اَنَا راعي ٱلهَدْلاَ شقَاكلِّ عايلْ
وْلُوْ صَارْ مدحِ ٱلروحْ فيهِ سْفَاه[3]

فما الشعر الا يفْرِحِ ٱلقَلْب سَاعة
وِ ٱلاَفْعَالْ تِبْرِي لِلْغليلْ مشاه[4]

وهكذا لاحظنا من هذه النماذج ان فخرهم يدور في مجموعه حول الصفات الخلقية التي يعتزون بها فهي مستوحاة من حياتهم الفطرية ، حياة البادية وهي بالتالى قد نبتت على السنتهم نبتا تلقائيا في سذاجه محببه وايمان نابع من نفوس تهوى العزة والمجد ٠

واذا نحن انتقلنا الى الجانب الآخر من الفخر اعني به الفخر الحماسي

---

(١) جضيعي : ضجيعي ٠
(٢) البولاد : الفولاذ ٠ سناه : سناؤه ، ضوءه ٠
(٣) راعى الهدلا : صاحب الفرس المسمى بهذا الاسم ٠ شفا : شفاء ٠ عايل : معتد ٠ فيه سفاه : يعني معيب ٠
(٤) يقول ان الشعر قد يفرح القلب ساعة ، ولكن الافعال هي التي تشفي الغليل ٠

الذي ينطق به هذا السيل من شعر الحماسة لوجدنا ان البدوي قد فطر على الحماسة كما فطر عليها كل انسان وذلك ان حب الحياة حمل الناس على النزاع في سبيل الحياة فاذا الناس اثنان : غاز ومغزو واذا هم في طعان وجلاد مستمر فلا بد لهم والحالة هذه من مناد يدعو للقتال ويشعل الحماس في الصدور ومسجل يسجل هذه الملاحم والمعامع فانبرى الشعراء ليرسلوا من بين نبضات القلوب وصرخات الحرب وقعقعة السلاح هذا الشعر الحماسي الهادر .

وهذا الشعر الحماسي له دواعيه وهي عند بدو اليوم نفس دواعيه عند بدو الجاهلية فالبدوي اليوم هو نفس بدوي الامس ربيب الصحراء يعيش في كنفها ويواجه مخاطرها وتطحنه قساوتها يقضي حياته في الحل والترحال وراء مساقط المياه ومواطن الكلأ حتى اذا زاحمه مزاحم كانت الحرب وكان الصراع ... فتنطوي القلوب على الطغائن ... فلا بد من الانتقام ولابد من طلب الثأر فتعقد الاحلاف وتتصادم القوى وتتعانق السيوف وتختلط صرخات الرجال بصهيل الخيل ورغاء الابل .

وهو كسلفه في حفاظه على الشرف ، وحماية الجار فهو يثور لاقل سبب ما دام هذا السبب في نظره يثلم الشرف الذي يعتز به ويحافظ عليه فلابد من الحرب ولابد من الثأر والانتقام .. ولابد للدماء ان تسيل فالدم الحار هو الثمن .. ثمن الحياة العزيزة _ ثمن الشرف .. ثمن البطولة.. ومن هذا كانت حياته حياة ترقب وحذر فهو لا يدرى متى تكون النهاية وكثيرا ما تكون الموت قتلا وهذا منتهى الشرف الذي يسعى اليه .

هذا الذي ذكرناه من دواعي الحماسة هو الذي اذكى القرائح ففاض الشعر باسلوب ملحمي هادر وهكذا كان الداعي الى الحماسة هو كل ما كان داعيا الى الحرب .. فكل معركة وكل غزوة وكل استعداد يعقبه هذا الفيض الملحمي من الشعر الحماسي الذي يستثير الهمم ويذكي

شعله الحماس في صدور الفتيان •• فالحياة في البادية تعنى الاستعداد الدائم للقتال فلابد من البطولة ••• ولابد من ان يحيا الانسان بارعا في صناعة الموت مقاتلا شرسا اذ لا مكان للرجل المسالم في عرف البادية وقديما قال قائلهم :

اذا لم تكن ذئبا على الارض امردا
كثير الاذى بالت عليك الثعالب

وحديثا قال :

اَلاْرنبْ تُرقدْ ما توذي
وْلاَ شِفْتِ آلناسِ تْخَلِّيْهَا
وِآلسَبْعِ آلمُوذي ما يُرقُد
ما يوطا بَارْضٍ هوْ فيها

نعم هذه هي حياة البادية معارك دائمة وغزاة يغزون ويغزون ووقائع تنتهي واخرى تستجد وشعر يعقب كل هذه وتلك ، يتحدث عنها ويدور حولها وشعر يسبقها يهز النفوس ويستحث الهمم وشعر يرافقها ينضح بالتهديد والوعيد •

فهذا شاعر من قبائل الصايح اسمه دخيل بن ناعم يطلقها هادرة محرقة بوجه الشيخ صفوق بن فارس من ال محمد احد فرسان شمر الجربا وسيدها قتل غدرا بيد احد الولاة الاتراك حوالىعام ١٨٤٠-١٨٤١ •

فشاعرنا يملأ قصيدته تهديدا ووعيدا ـ فهم أباة لا يتركون عرضهم يهان ولابد لهم من رفعة الرأس حتى ولو جندت ياصفوق لقتالهم الروم جميعهم فهم قد صبروا على قتال اجدادك ومعاركهم مع قبيلتك ليست بالجديدة وانما تعود الى الايام الاولى ايام نجد ايام كان امواتنا ما زالوا احياء يصولون على ظهور الخيل •• واعلم يا صفوق باننا لن نتركك تأخذ

مرابعنا الا اذا خلت الجزيرة من اهلها ٠

لُوْ جِيتَ ابُوْ فَرْحَانْ قُلْ لُهْ عبَرْنَا
جَزَّاعَةٍ ما ندعي الخَشِمْ ينْداس[1]

وْلُوْ تِرْكَبَ آلرْوَامْ كِلَّهْ بَاثَرْنَا
لابُدْ لنَا يَا صَفُوقْ مِنْ رَفْعةِ آلراس

وْحِنَّا على حرَابةِ جدُودَكْ صبَرْنَا
ما هي مِنْكِ وْجاي يا ذيبَ آلمرَاس[2]

قبْلِ آلجزيْرة يُومْ نجْدِ دِيرَنَا
وَامْوَاتْنَا فيها تْطَارِدْ عَالفْراس[1]

يَصفُوقْ واللّهْ ما نخْلي سكَرْنَا
كُودِ آلجزيرةْ خالْيَةْ ما بْهَا اوْناس[2]

ان كَانَ آلمحَزَّمْ شبْرَحْنَّا ذرعْنَا
رَمي آلمدَرَّعْ مِنْ قديم لنَا ساس[3]

اما محمد العبدالله العوني شاعر الحماسة المشهور في بوادينا فيرسلها

---

(١) جيت : جئت ٠ أبو فرحان : هو صفوق بن فارس الجربا ٠ ما ندعي ، ما نترك ينداس : يداس ٠ الخشم : الانف ٠

(٢) حنا : نحن ٠ حرابة : حرب ، محاربة ٠ ما هي منك وجاي : أي انها قديمة وليست منذ عهدك حتى الآن ٠

(١) ديرنا : أراضينا ، مواطننا ، بلادنا ٠ تطارد : من الطراد أي تصول على الخيل ٠ الفراس : مفردها فرس ٠

(٢) نخلي ، بالتشديد أي نترك وبالتخفيف من اخلى يخلى ٠ كود : تأتي الا إذا ٠

(٣) المحزم : لقب لصفوق بن فارس الجربا ٠ شبر : تقدم شبرا ٠ ذرعنا : تقدمنا ذراعا ٠ ساس : أساس ، وتأتي بمعنى عاده ٠

قصيدة طويلة تنزل على رؤوس القوم تقريعاً وتأنيبا لهم على الذل والخنوع بعد العزة والانفة • يذكرهم باجدادهم الابطال ويأسف ان يكونوا من نسل هؤلاء الشجعان •• ونراه يتلمس الجوانب التي تبعث الحمية والانفة فيرميهم بها صارخا في وجوههم اترتضون لجيرانكم ان يهاجموا ولا تحمونهم • اتسمعون صرخات نسائكم ولا تحركون ساكنا لدفع الاذى والعار •

تْقُولونْ دنيــانا علينـــا تغَيَّرَتْ •
تِغَيَّرْتُوا اِنْتُمْ ما عِرَفْتُوا غْيُورْهَا

آلاَيَّامْ هيْ آلاَيَّامْ ما زادْ عَدْهَا
هــذي لياليهــا وْهَذى شْهُورهــا

لا شكْ غَيَّرْكُمْ هَمَالِيْجْ مِبْغِضْ
وْذلِ جشبــا لُبَّاتْكُمْ في صْدُورها

ما تَأنَفُون آلعــارْ وَآلذلْ والرِدَا
اِنْعُوا نِساكُمْ يُومْ ضاعتِ بْزُورْهَا

تِرضونْ بِالجيران تِسْلَبْ حَرِيْمْهُمْ
يا كبيرهـا •• يا ليتْ ما صــارْ دورها

يا حيفْ صيحَةْ بِنتْكُمْ تِسترْكُونْهَا
وْقَصَّةْ ذْوايِبْهَا وْقَطْعِةِ خْصُورها(١)

وينِ آلرْجَالِ آللّي تْمَيِّزْ لرشـدها
وْعَنْهُمْ جميعِ آلنَاس تقصرِ شْبُورْهَا(٢)

---

(١) يا حيف : مما يؤسف له • قصة ذوايبها : مفردها ذؤابة وهي الجديلة والمرأة عندهم لا تقص ذوائبها الا لامر جلل •

(٢) وين : اين • اللى : التي • تميز لرشدها : تثوب لرشـدها • تقصر شبورها : تقصر ايديها •

يا حيفْ يا صلبَ ٱلمناعيرْ خَلَّفُوا
شروى حرارٍ وَجْعَةٍ في وكُورها[1]
وِشْ خَانَةِ ٱلقُبِّ ٱلجِيادِ وْرَبْطْهَا
الى عادْ ما زارتْ حِمَىً مَنْ يزُورها[2]

ونراه ثانية يشعل حربا يسقط فيها عشرات القتلى على اثر قصيدة حماسية قالها تعرف عند البدو باسم « الخلوج » يصفها الاستاذ خالد بن محمد الفرج بانها أشهر أشعار محمد العوني وقل ان تجد في نجد احدا لا يحفظها أو يحفظ منها شيئا • وذلك ان السليم امراء عنيزه وآل ابا الخيل امراء بريده كانوا جالين فرارا من حكم ابن الرشيد ولاجئين الى الكويت بعد وقعة الصريف المشهورة وكان العوني معهم • وكان ينقصهم المال والرجال لاسترداد اوطانهم وكان في دمشق الشام كثير من أهل القصيم المعروفين باسم « عقيل » • فاقترحوا على العوني ان ينظم قصيدة يستثير بها هممهم ويستنجدهم لانقاذ الوطن • وبالفعل لما قرئت عليهم بكوا وصفوا تجاراتهم وتجهزوا على حسابهم الخاص وحاربوا الى ان تم لهم استرجاع القصيم سنة ١٣٢١هـ كما هو معلوم • والخلوج الناقه التي فقدت ولدها فهي لا تهدأ من الحنين وقد استوحى الشاعر موضوعه من حنين ناقة خلوج سمعها وهو في قصر الشيخ مبارك الصباح بالسره في الكويت[3] •

وقصيدته هذه تقع في (٧٦) بيتا يستهلها بذكر هذه الناقة التي فقدت وليدها فراحت ترجع الحنين وتكسر العبرات وتعول عويلا يذيب القلوب •

---

(١) ياحيف : ما يؤسف له ومما يعيب • المناعير : الشجعان • خلفوا : اعقبوا وهي من الخلف اي الابناء • حرار : جمع حر ، الصقر • وجعة في وكورها : لا تفارقها ولا تغادر اوكارها • يقصد اذلاء خانعين •

(٢) وش : ماذا ، اي شيء • خانه القب الجياد : فائدة القب الجياد • وربطها : واقتنائها • الى عاد : اذا لم •

(٣) ديوان النبط ص ٢٩٠

خَلُوجٍ تِجِذِّ آلقَلْبْ بَتْلاَ عْوَالْهَا
تِكَسِّرِ بْعَبْراتٍ تْحِطِمْ سْلاَلهَا[1]

تْهَيِّضْ مَفْجُوعَ آلضمايِرْ بْحِسها
الى طَوَّحَتْ صوتٍ تْزَايَدِ هْجَالَهَا[2]

لَهْ قلتَ أنَا : يا ناقْ كُفِّي عنِ آلبكاء
لا تِبْحَثِينِ آنُفْسْ عَمَّا جرى لْهَا[3]

لا تِفْجَعِينِ آلبالْ بِاللَّهِ هَوِّدي
ولِّي خلوجٍ خَبَّثِ آلبينْ يَالهَا[4]

ثم يمضي مقارنا بين حاله وحالها معددا ما يجيش في قلبه من الام وأحزان :

تِجِيْكْ يَا ناقَ آلخُطَا أو تِجِيْنْهَا
وِانْ كانْ ضاعتْ لَكْ بِدِيْلِ بْدَالها[5]

لِكنْ انا اليومْ ما تِنْعَدْ مَصَاوْبِي
وْلاَ عِلَّتي تُبْرا ولا يِنْشكي لْهَا[6]

---

(١) تجذ : تقطع • عوالها : حنينها • تكسر : ترجع • سلالها : جمع سلة وهي السيوف والخناجر مجردة من اغمادها •

(٢) تهيض • تثير • الضماير : الضمائر وهي عندهم القلوب • حسها : صوتها • الى : اذا • طوحت : صوتت • هجالها : اضطرابها •

(٣) ياناق : ياناقة • تبحثين : تنبشين •

(٤) هودي : هوني • من قولهم هون عليك • خبث : افسد • البين : الفراق والبعد •

(٥) معنى البيت : انه لابد ان ياتيك وليدك او ان تاتيه انت فيجدك او تجدينه وحتى اذا فقد فسوف ياتيك عوضا عنه اذ ستلدين غيره •

(٦) ما تنعد : لا تعد • مصاوبى : جروحي ، الضربات الموجه الى • تبرا : تبرأ • ينشكى : يشتكى •

ثم يأتي على ذكر موطنهم السليب فيصفه وينعته بكل حبيب على القلب وهل هناك احب للقلب من ذكر الام وحنانها فينعت ارضهم بانها امهم التي غذتهم وربتهم ، امهم التي كانت تصلهم برّة بهم • الا انهم كانوا عاقين سرعان ما نسوا وصلها وحنانها وعطفها •

هيْ أُمِّنَا وَاحْلُو مَطْعُومْ دَرْهَا
غَذَّتْنَا وْرَبَّتْنَا وْحِنَّا عْيَالِهَا[1]

بَرُورٍ بنا ، ما مثلها يِكرمِ ٱلضنا
وصولٍ بنا لكنْ نِسينا وْصَالها[2]

تِلِقي علينا ٱلجوخْ وَٱلشالْ فُوقْنَا
وْهِيِ عاريةْ تبكي وَلاَ ٱحَدْ بكى لْها[3]

قلتْ آهْ واويلاهْ يا خَيْبَةِ ٱلرِبَا
كيفْ أُمنا تِنْهَضم وْحِنَّا قبالها[4]

ثم نراه يندب شاكيا باكيا مستصرخا منهضا الهمم فيقول :

لا تِتْبَعُونِ ٱلهونْ وٱلعجزِ والعسى
اَوْ ربما اَوليتْ يِتْعَبْ سؤالها[5]

---

(١) واحلو : ما أحلى • مطعوم درها : مذاق حليبها • حنا : نحن • عيالها : ابناؤها •

(٢) برور : كثيرة البر بنا : الضنا : الضنأ ، الابناء • وصول : كثيرة الوصل •

(٣) الجوخ والشال : من الاقمشة الثمينة • معنى البيت : انها كانت تلبسنا ثمين القماش وتترك نفسها عارية واليوم تبكي ولا نبكي لبكائها • ولا نعيد لها فضلها على الاقل •

(٤) يا خيبة الربا : ياضيعة التربية • اي ان تعبها في تربيتنا ضاع هدرا لاننا نراها تهان امامنا ولا نتحرك لرفع هذا الضيم •

(٥) العسى او ربما او ليت : اي التعلل • يتعب سؤالها : اي لا يفيد التعلل بها الا التعب •

ترى مركبَ الاخطارْ هُوْ مَصْعَدَ العُلى
وْلاَ يدرِكِ العليا غيورٍ شِكى لْها[1]

وهكذا يستمر في قصيدته فتثور النفوس وتغضب للكرامة التي اهينت فتسعى في طلب الثأر وحماية الذمار ، وتسير الجموع وتلتحم فتشتعل نار الحرب ويسقط المئات من القتلى وتتحرر الارض المغصوبة •

ومن الطبيعي ـ في جو مثل هذا قوامه الحرب والاستعداد لها تتعالى فيه صرخات الحرب شعرا هادرا بالفخر والتهديد والوعيد ـ ان يكون للنقائص سوقها الرائج •

فهذا محمد بن هادي شيخ قحطان وفارسها يثور لأمر ما فيرسل قصيدة تتدفق كلماتها تهديدا ووعيدا لقبيلة (يام) وهم العجمان فيقول :

لي لابةٍ حَدَّرْتَها من تُهامه
وِسْلاحِهَا صُنْعِ الفرَنْجِي وَالارْوَام[2]

ياذا البِهِمْ وَاللّه ان تْبَارِي الجَهامَه
حَتّاكْ تِنْزِلْ بينْ صَفْوَى وَالوْجَام[3]

لابدْ من يومٍ يْثَوِّرْ كِتَامَه
امَّا على المطرانْ وِالاَّ على يام[4]

---

(١) ترى : بمعنى ان • مركب : ركوب • شكى لها : اي اشتكى من وعورة طريقها •

(٢) لابة : الجمع ، الطائفة • حدرتها : اتيت بها • تهامه : هي المكان المعروفة في جزيرة العرب • الفرنجي : الافرنج الروام : الروم •

(٣) البهم : صغار الغنم • تباري : تصاحب ، تسير في رفقته • حتاك : حتى أن • صفوى والوجام : اسما مكانين قرب القطيف •

(٤) يثور كتامه : يثور قتامه • المطران : قبيلة المطير • يام : اسم يطلق على العجمان •

فتلقفها الالسن وتتناقلها الرواة حتى تصل الى العجمان فتثور القبيلة لكرامتها وينبرى راكان بن حثلين شيخ العجمان وفارسهم المشهور الذي كانت له صولات وجولات في بوادي الجزيرة في السنين الخوالي •• فيرغى ويزيد ويرسلها نقيضة مجلجلة الى ابن هادي يكيل له فيها الصاع صاعين ويحذره من الاقدام على مهاجمتهم لانهم ليسوا ممن ينامون على ذل أو يصبرون على ضيم • فخير لك وسلامة لجمعك ان تبقى في مكانك ولا تفكر بالهجوم على حمانا •• واعلم بانك لن تنال ما تصبوا اليه ما دام في الدنيا واحد من بني يام (العجمان) •

يا راكبٍ حرٍّ تِذَرَّبْ سَنَامَهْ
نِيٍّ على نيٍ جِدِيدٍ وْمَا ٱلعَام[1]

يِلْفي لنا شيخٍ كِبِيرٍ ٱلعمامه
شيخٍ وْرُمْحُه في هَلِ ٱلخيلْ سَلاَم[2]

اهديتْ لَكْ نور ٱلسلفْ وٱلجهامة
اَبْغِيهْ ذُخْرٍ في مِقَاويمِ ٱلاَيَّام[3]

غِديتَ اَنَا وَيَّاكْ مِثْل ٱلنعامه
جاها بلاها من ثِقِيْلاَتِ ٱلاَقْدَام[4]

---

(١) يا راكب حر : يا راكبا جملا من الجمال الحرة الاصيلة • تذرب سنامه : علا واكتنز • ني على ني : بناء على بناء • شبه شحم سنامه بالنأي الذي يقام دون السيل •

(٢) سلام : لا ينالهم بسوء رغم ان صاحبه شيخ ولابد للشيخ ان يكون فارسا يريد انه ليس بفارس •

(٣) نور السلف والجهامة : بهجه الحي وزين القطين • والمراد الجواد الذي اهداه له • ابغيه : اريده •

(٤) غديت : صرت • جاها بلاها : جاءها بلاؤها • ثقيلات الاقدام : اي ان مناسمها تعوقها عن الطيران رغم انها في عداد الطيور •

إنْ كـانْ تبغـي الـمْجادرْ سَـلامَة
فـلا تْحَدَّرْ بالجحادِرْ عـلى يَـام[1]

يِحْرَمْ عليـكِ ٱلنُوطْ فَـكُّهْ بْلامَهْ
مـا دامْ فيهـا واحـدِ من ضنـا يَام[2]

وهذا تركي ابن حميد شيخ قبيلة عتيبه يبعثها دفاقه بالفخر والاعتزاز بقبيلته حاطا من قبيلة قحطان مستعليا عليها ولا يخرج فيها عن خلق العربي في الاقرار لخصمه بالقوة والمنعة وهم في تعظيمهم لخصومهم انما يعظمون انفسهم وقوتهم بحيث انهم تمكنوا من قهر قوم بهذه القوة والمنعة .. يقول :

انتمْ كما ضِلْعٍ عـلى ٱلخـدْ مَزْمومْ
وَاللهْ خِلَقْنَا لَـهْ نْجُومٍ تِهِلَّه[3]

وِٱنْتُمْ كما حوتٍ منِ ٱلبَحَرْ لا هومْ
والله خِلَقْنَـا لِلوَّاهِيـمْ عِلَّـه[4]

وَانَا بْرُمْحِي في هلِ ٱلخيلْ مَوْسُومْ
يومْ رُمْحَكْ عِنِدْ سـارهْ تِشِلَّه[5]

فينبرى له محمد بن هادي بن قرمله شيخ قحطان بقصيدة نقيضه لتلك يقول فيها :

---

(١) تبغي : تريد . الجحادر : لقب لقحطان . تحدر : تنحدر .
(٢) يحرم عليك : أي ذلا لا شرعا . النوط : وعاء التمر . فكـة بلامه : حل وكائه . ضنا : ضنأ ، نسل ابناء . يام : لقب لقبيلة العجمان .
(٣) كما ضلع : كجبل . الخد : الارض . مزموم : مرتفع . تهله : تدكـه .
(٤) لاهوم : يلتهم ما حوله . والله خلقنا للواهيم عله : اي نحن علة هذه الحيتـان .
(٥) موسوم : معروف . ساره : لعلها زوجه ابن هادي . تشـله : تنقلـه .

ما خِلْقَتِ ٱلدنيــا وَلاَ ٱلدينْ في يوم
وِٱللّي تِمَنَّى حَرْبِنَا مِضْحِيٍ لَهْ[1]
حريْبِنَا لو جَضْ مَا هُــوبْ مَلْيُوم
اللّي وَرَاهِ ـ يْجِضْ من جَضَّةٍ لَهْ[2]
ان كانْ رُمْحَكْ في هَلِ ٱلخيلْ مَوْسُوم
فَانَا بْرُمْحِي حَامي نجد كِلَّه

وباب الحماسة باب واسع وميدان رحب نكتفي منه بما اوردنا • وهو كما نرى أناشيد حرب وانتصار للشــرف والاباء وهو شعر الثورة التي لا تخمد والغضبة البدوية التي لا يطفيء اوارها الا الدم •

وهناك الـكثير من شعر الحماسة الذي يدور حول وصف المعارك والوقائع المشهورة بينهم • وقد برعوا بوصفها وتصويرها حية نابضـة بالهــول •

وممن برع في ذلك شاعر الحماسة دون منازع محمد العبدالله العوني الذي اوقف كل شعره على الحماسة تقريبا • وقال في ذلك القصائد الطوال ومنها قصيدته في وصف معركة « البكيريه » وهي المعركة الفاصلة التيوطدت حكـم آل السعود وزعزعت حكم آل الرشيد وهي تقع في (١٨٤) بيتـا ومطلعهـا :

---

(١) معنى البيت : ان الدنيا لم تخلق حتى الآن من يتجرأ على حربنا •

(٢) حريبنا : الـذي يحاربنا • لوجض : اذا جض ، اذا خـاف او اشتكى من شدة ضربنا ، وراه : وراءه •
ومعنى البيت : ان الذي يقوم على محاربتنا لا لوم عليه ان فر وتألم من شدة ضربنا وكيف يلام والذي وراءه يفر من فراره ويتألم من المـه كأنما الضربات فيه • والمراد بطشهم وشدة ضربهم في المعارك •

قوموا كفاكمْ شَرْ مَيلاتِ ٱلاَقْدَار
شدوا على هجنٍ لِهْنَّ ٱلطربْ دار

وله قصائد أخرى قالها في وصف معارك حرب الجوف بين آل الرشيد من شمر وآل الشعلان من الروله ومنها هذه القصيدة التي مطلعها :

ٱلاَعْمَارْ سِفْنٍ وٱلسنِينِ بْحَار
بِالاَقْدارْ تِجري وٱلْعُبَابِ غزار

ومنها القصيدة التي مطلعها :

مِزِنْةٍ هَلّ ٱلغضبْ من جوانبْهَا
قادْهَا ٱلمـولى على راسْ عِدْوانه

وله قصائد أخرى كثيرة في وصف المعارك ينقلك فيها الى آرض المعركة فكانك تراها وتسمع هديرها •• وممن برع أيضا في هذه الناحية عبيد العلي الرشيد (ابن الرشيد) امير حائل فله قصائد كثيرة في وصف المعارك التي خاضها مع أعدائه ومنها قصيدته في وصف وقعة (بقعا) التي جرت بينه وبين أهل القصيم ومطلعها :

يا من لِقلبٍ فيهْ تَسعَهْ وتِسعين
هجسٍ وهَاجُوسٍ وعَدْلٍ ومايل

ومنها قصيدته في معركته مع أهل عنيزه ومطلعها :

طِلَبْت مَنْ يعطي ٱلعطايا اِلىٰ سيل
اِللّي عنِ ٱلطِلاّبْ ما صَكّ بَابَه

ومنها قصيدته التي مطلعها :

يا اللهْ يا ٱللّي تِبْدِي ٱلخَلَقْ وِتعيد
وِٱلّىٰ بْغيتَ آمْرٍ قِضِيتِ المِرَادي

وممن برع أيضا الشاعر أبو الـكباير وله قصيدة في وصف معركة دارت بين قبـائل الحويطات والصخور سنة ۱۹۰۹ وهي تتجاوز (۱۷۰) بيتا[1] ومطلعها :

ابدي بذكرِ آللّي على آلـكلْ بادي
ربٍّ آلمَلاَ وَالي جِمِيعَ آلبُوَادي

وختاما نقول ان من استقرى الشعر البدوي وجد ان الحماسة تستحوذ على أغلبه وشعر أنها ملء الافواه والاسماع وانها غذاؤهم اليومي فهـــم لا يملون من حديث القتال ووصف المعارك والمفاخرة بالايام •• وانه ليطول بنا المجال لو اردنا ان نذكر أسماء شعراء الحماسة فكيف بنا لو اردنا الـكلام عن شعرهم في شيء من التفصيل والاسهاب لذلك نقتصر على ما ذكرناه ففيه غنى عن التفصيل والتطويل •

(۱) خمسة اعوام في شرق الاردن ـ بولس سلمان •

الفصل الخامس

الهجـــاء

ان طبيعة الصحراء التي عاش فيها العربي عيشة كفاح ونضال من أجل اللقمة وحل وترحال وراء الـكلأ والمطر وحذر وترقب من غاصب يغصبه اياها ، قد ولدت فيـــه صفاتاً عرف بها منذ القدم فابن خلدون في مقدمته يصفهم بأنهم أصعب الامم انقياداً لبعضهم البعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة •

وقد عرف عنهم هـــذا الى جانب نزوعهم المطلق الى الحرية التي لا تحد لذا رأينا الفرد منهم يثور اذا ما حاول أحد أن يحد من حريته فهو سريع الغضب ، ديمقراطي مسرف في ديمقراطيته ، عصبي المزاج فاذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قبيلته فهذا أمر جلل لا يسكت عليه فلابد من الدم يغسل به هذا العار الذي لحقه فيسارع الى سيفه يحتكم اليه ويسارع شاعر القبيلة الى لسانه يشحن القوم بشعره الحماسي الهادر باعثا فيهـــم النخوة واصـــفا اياهم بكل مفخرة معرضا بخصومهم نابشا عن مثالبهـــم وعيوبهـــم •

وهذا الخلق راجع كما قلنا الى طبيعة أرضهم القاسية فهي بعنفهـــا وقساوتها فرضت على ساكنيها قساوة العيش وخشونته لذلك كانت القوة والبأس والمنعة عماد الحياة عندهم ، فالقوي هو الذي يحيا الحياة الحرة الـكريمة يختار ما يشاء من المراعي والمياه وينزل في كل أرض ، فيلجأ اليه الضعيف يحتمي به ويلوذ في كنفه • ومن هنا كانت الشجاعة والفروسية وركوب الاخطار والصبر على المـكاره وتحملها وحماية الجـــار واغاثة

المستجير من المزايا التي نظروا اليها نظرة تمجيد واعزاز • فالقوة هي المثل الاعلى في نظر القوم يلجأ اليها العربي والى العصبية القبلية في حل مشاكله التي لا طريق لحلها غير هـذا الطريق • فمن العار أن يستغيث بسلطان حاكم ففي ذلك مذلة وضعف ومن هنـا كانت نظرتهم الى سكان المدن وأرباب الصناعة والزراعة نظرة احتقار وازدراء فهم في نظرهم أذلاء جبناء ارتضوا لانفسهم حياة الدعة والاستقرار لا يعرفون لذة المغامرة ولا سعوا في طلبها أو خاضوا من أجلها الزحام • ومن هنا كان اعتزازهم بالنسب والعصبية وفاخروا بالشجاعة والبطولة • واستحبوا لانفسهم أن يموتوا على ظهور الخيل وسط المعارك من أن يموتوا على فراشهم حتف أنوفهم •

ولقد نتج من هذا كله مثل عليا ومزايا وخصال نظروا اليها نظرة اجلال واحتـرام واعتزوا وفاخروا باتصافهم بها كالقوة والكرم والمنعة والوفاء وحماية الجار والصدق والامانة ونظروا الى ما يخل بها نظرة احتقار وازدراء لذا كانوا يهجـون بالجبن والضعف والبقل والغدر والكذب والخور واحتراف المهن الحقيرة ويثيرون هذه المثالب والمعايب بألفاظ شديدة الوقع تتناقلها الالسن وتسير بها الركبان •

وما زال البدوي اليوم هو هو بدوي الامس في كل ما ذكرناه •• ولا غرابة في ذلك ما دامت الارض هي الارض والحياة هي الحياة بقساوتها وعنفها ومثلها • فالبدوي اليوم يهجو خصومه بما هجاهم به سلفه ذاكرا معايبهم الخلقية من غدر وجبن وبخل وكذب الى المثالب الاخرى التي تتعلق بالنسب وضعته وبامتهان الحرف والقعود عن حماية الجار وعدم نصرة المستجير الى غير ذلك مما هجا فيه بدوي الجاهلية خصومه • وهو في هجائه هـذا لا يسف كما أسف شعراء العصر العباسي وأفحشوا ببذيء الكلام ومقذعه ، أيام خالطتهم لوثة الاعاجم ففسد ذوقهم العربي الذي كان يعف عن ذلك ومن النادر أن نجد في شعراء البادية اليوم من جرى

على لسانه شيء من هـذا الذي كثر على ألسنة ابن الحجاج وابن سكره وبشار وغيرهم •

والدارس لشعرهم اليوم لا يجد للهجاء قصائد منفردة قائمة بنفسها وانما يجده مختلطا بالحماسة والفخر فالشاعر عادة يفخر ويدل بقومه ثم ينثني على خصومهم بهجاء مر يتناول القبيلة والعشيرة كلها ولا يقف عند المهجو فقط فيتعرض للانساب والاحساب والاخلاق يصورها ويلح في ابراز الجوانب المعيبة فيها وهو مع هذا نراه يقر للخصم بعراقة النسب ان كان كذلك وبالكرم الا أنه يوجـد له عيوبا يلصقها به كالجبن والفرار من المعركة أو غير ذلك من المعايب فهذا شاعرهم العوني في قصيدة له يخاطب فيها آل الشعلان على لسان ابن الرشيد وآل الشعلان هم سادة القبيلة العنزية والتي يرجع نسبها الى وائل • نراه يقر لآل الشعلان بأن لهم أخبارا تتداولها القبائل عن كرمهم وعراقة أصلهم وان نوري الشعلان حامي الجار وحامي الخائف ثم نراه بعد هذا يزجي له النصح بأنهم لا قبل لهم على محاربة آل الرشيد وان عملكم هذا لا يقدم عليه غيركم والا فكيف تريدون أن تقتنصوا الصقور بالدجاج ويستمر في ذلك ناعتا اياهم بالجبن وبأنهم ليسوا برجال حرب يمكنهم الوقوف أمام صولات آل الرشيد •

وْبَعَـد خَمِس ليـلات يِلْفِن قبيله
هـم بالثنـا عِلْـمٍ بِعِيـدِ آذكـار

يِلْفِن نَوّافِ بِنْ شـعلانْ بَعَدْ ذا
وَآلنوري مَنْ لُـهْ هَرْجِةٍ وِجْهار

قولوا لُهْ يا زينَ آلمْخيفْةَ عْنَ آلردى
تَرى آلنُصُحْ يِشْري وَآلصحيحِ قْرارْ

نْقُـولْ لَكْ مـا لِلرِشيدِ مْقَابِل
الاّ لمـنْ يِكْتِبْ عليهِ دْمـار

هَمّيتْ بَامْــر مَا يْهِمُّــهْ غيركْ
تْرِيدْ تِقْنُصْ بِالدِجاجَ حْــرار[1]

جيتِ ٱلحوازمْ وٱلشــرارات خَلِطْهُم
وَأبُو تايهْ يِرثِــغ بْغِـيرْ هْجَــار[2]

عُقْبِ ٱلِمْكَافَخْ وٱلخُطُوطْ وقُولُه
حِنَّا سْبَاعِ صارْ ديـكْ وْخَــار[3]

حاشا وليَ ٱلعَرْشْ يِخْلِفْ عَوَايْدُهْ
يْرَكِّبْ على سرجِ ٱلحِصانِ حْمَــار[4]

أما الشاعر ابن لعبون فهو يهجو الشاعر ابن ربيعة ، ويعيره بأن قومه صناع ، من أرباب الحرف • وهذا عار عندهم • لأن أصحاب الحرف ، هم في العادة من ذوي النسب المنحط وهم في الغالب يكونون من قبائل الصليب • ويزيد على ذلك بتهمة أخرى فيذكره بأن أباه جاء من وراء البقر ، أي أنه فلاح • وهذا عار آخر في عرفهم ، لانهم كما قلنا يحتقرون الزراعة ، والصناعة ، ويحتقرون أهلها ، ويتهمونهم بالجبن والخنوع • ثم نرى ابن لعبون يوغل في هجائه • فيطعنه بان امه تحترف الغزل والحياكة ، طلبا للربح ، وهي ليست بذات حسب يشرف • وأنه لا فائدة فيه ترتجى لولا شعره • يقول بعد أن يفخر بقومه وحسبهم ونسبهم وبطولاتهم وكرمهم :

---

(١) هميت : هممت • ما يهمه : لا يهم به • تقنص : تصطاد • حرار : جمع حر الصقر •
(٢) جيت : جئت • الحوازم والشرارات : قبيلتان معروفتان • أبو تايه : عوده أبو تايه شيخ الحويطات • يرثع : يهذي يثرثر •
(٣) المكافخ : القتال • الخطوط : جمع خط أي الرسالة • حنا : نحن • خار : من خارت قواه ، تعب •
(٤) يخلف : يغير • عوايده : عاداته •

خُذْ ما تراهْ وْخَلْ عنكَ ٱلتِفَاكِــير
مَنْ شقْ جيبِ ٱلناسْ شَقَّــوا وْزَاره
أُخْذِ ٱلصحِيحِ آنْ كانْ قصدكْ مَعَايِــير
العيبْ من دارِ ٱلخمــرْ وَٱلِحَجاره
يِمْنَاكْ تُقْصُر عنْ فِعِلْ نِيَّةِ ٱلخير
وْمنِ ٱلمراجل ما ذُكِر بَــكْ نُمَــاره
مِنْطَلِعْتَكْسِهِمْتَكْرِقْصٍوْتَسطير
وْبَالعونْ ما بَكْ عُقُبْ شِعِرَكْ تجارة
تِفْخَرِ بْسلطانِ ٱلعَرَبْ وِآنْتْ مِنْغير
ما مِفْخِرِ ٱلبَــزونْ ليثِ ٱلمَغــارة
تدري بْجَــدَكْ من مُقَــافي بْقَاقِــير
أَقْبَلِ وْحَطَّهْ مِجْرِنٍ في جــواره
خَلاّهْ بالخـــدمهْ بْدَارِ ٱلخَطاطِــير
وْمِنْ عُقُبْذا دارُهْ بْرَسْمِ ٱلِعشارة
وْلَفَّاكْ تُرِكي يومْ جيتهْ بْتَزْوِيــر
عَنَ اَصْلكْ ثُمْ أَطْلَعَكْ في نهــاره
وَاقْفيتْ تِشْتِم ٱلصغــراتْ وَٱلبِــير
تْقُول بَالعــون جَيْتي لُــهْ خَسَــارة
لَوِ اْنتْمِنْهُم ما رِضَوا لَكْ بِتْحَقِير
عِنْدِ ٱقْبَايِل مِظِهْرِينِ وْقَــاره

يا عبيدْ جِدْ أمَّكْ يـفَاحِجْ على ٱلكـير
أَصْلُهُ مِنْ صِلْيب يـدُقِّ ٱلصبـاره

شاطرْ بْصنْعُه لَلحـذا وٱلمسامـير
وْذَقنُهْ خلاصِ ٱلكيرْ كُلُّهْ بْشَراره

في وَسَطْ عانهْ تِسدي ٱلغَزِلْ وِتْنِيرْ
وْزُوْدِ لِهلْهَا بالحياكـةْ تِجـارة

وهكذا نرى ابن لعبون في هجائه لابن ربيعة قد رماه بأن آباءه صناع ماهرون بالحدادة يقضون أيامهم عاكفين على الكير وأمـه صانعة ثياب وغازلة صوف وكفى بذلك مهانة وعار وهو بهـذا يذهب مذهب جرير في هجائه للفرزدق حيث رماه بأن أجداده كانوا يعيشون بالحدادة ، يقضون أيامهم قرب النار والحديد والشرر والدخان المتطاير من الكير فيقول :[1]

ما بال أمـك اذ تسـر بل درعهـا
ومن الحـديد مفاضـة سربالى

حممت وجهـك فوق كـيرك قائمـا
وسقيت أمك فضلـة الجريـال

فانفـخ بكـيرك يافرزدق وانتظـر
في كرنبـاء هديـة القفـال

أما ابن ربيعة فيجيبه مفاخرا بنسبه وعراقته وبقومه وفعالهم وينفي عن نفسه وعشيرته ما ألصقه بهم ابن لعبون بقصيدته ثم يكيل لابن لعبون الصاع صاعين فيطعن بنسبه ، فهو هجين من أم أعجمية اشتراها أبوه من سوق النخاسة وهي وان كانت شقراء وجميلة الا أن مخبرها خبيث :

---

(١) شرح نقائض جرير والفرزدق طبعة ليدن .

خذ ما تراه وخل عنك التفاكير
يا قلب ياللى كل ما جاه داره[1]

صار الجزا لي من رفيقي معايير
ليته يشارهني مشاري مشاره[2]

ان كان حنا ياخوالك عطاطير
فحمود تبطل شيمته واعتباره[3]

أبوك أخذ هندية بالدنانير
بيضا وتكرم داخليها طهاره[4]

ليتك تقر بخطبتك بنت صنهير
أنشد بني عتبه ترى العجم داره[5]

مر باه في دسبول والجد بنجير
شقرا ولطامه خدود خساره[6]

---

(١) خل : دع ، اترك • التفاكير : الافكار والتفكيرات • ياللى : يالذي • داره : أداره •

(٢) الجزا : المجازاة ، الجزاء • معايير : نبز بالالقاب والانساب • يشارهني : يعاتبني •

(٣) حنا : نحن • عطاطير : مفردها عطار •

(٤) أخذ : تزوج • تكرم : معترضة تستعمل بمعنى أجلك عن ذكر ما سأقوله • داخليها طهارة : مخبرها خبيث • والطهارة عندهم المرحاض • دورة المياه •

(٥) أنشد : اسأل • ترى : اعلم بأن •

(٦) مرباه : نشأتها • دسبول ونجير : جهتان من بلاد العجم • لطامة خدود : يقصد شيعيه لكثرة ما يلطمون على سيدنا الحسين •

تشهد لنا عقال قومك بتفخير

وحنا هل العوجا وحنا فقاره(١)

ياهيه ، من صنعا الى ما ورا الدير

أنشدك من كل البوادي جواره(٢)

فابن ربيعة رغم طعنه بنسب ابن لعبون في كونه ابن أعجمية رخيصة بيعت بدنانير قليلة ... الى غير ذلك فهو لم يفحش في كلامه وهذه عادتهم اذ انهم يترفعون عن الكلام البذيء تماما كأسلافهم فالهجاء الجاهلي لم يكن فيه بذاءة وفحش وما خرج عن ذلك فهو قذف وافحاش .

فالنقائض على كثرتها في شعر البدو الا أن الدارس لها رغم ما يلاحظه من غضب وحنق ومنافرة وتبادل مطاعن لا يجد فيها سلاطة في القول أو فحشا مزريا أو شيئا من الاقذاع الذي تجده عند أبي نواس وابن سكرة وابن بسام البغدادي وابن الحجاج وبشار وغيرهم من شعراء العصر العباسى الذين انحدروا وأوغلوا في الالفاظ البذيئة وسفوا في المعاني المنحطة السافلة حتى لتتوارى اهاجي جرير وصاحبيه أمامها حياء وخجلا . أقول أنه لا يجد فيها ما هو واجده عند هؤلاء . وانما سيجدهم عاكفين على أخلاق الجاهلية في هجائهم . يرمون من يحترف الصناعة والمهن الحقيرة والبخل الى غير ذلك من المثالب الخلقية .

فهذا شاعر يهجو خصمه بالبخل باسلوب ساخر أشبه ما يكون بالتصوير الكاريكاتوري . فهو يطلب منه أن يرأف بحاله وماله الذي

(١) عقال : عقلاء . بتفخير : بالفخر . حنا هل العوجا : نحن أهل العوجا وهي نخوه أهل العارض يتنادون بها وقت الشده . فقاره : سنام . يقصد رفعة النسب وعلوه كما أن السنام أعلى ما في الجمل .

(٢) ياهيه : يا هذا . صنعا : صنعاء . الدير : قد يكون المقصود دير الزور وهي مدينة على الفرات . جواره : بجواره .

أفناه بكرمه • فجفانه كعيون البعير في السعة فأية سخرية لاذعة هذه تصور جفانا تقدم للاضياف بسعة عين البعير يتناول الضيف منها لقمة أو لقمتين أما الثالثة فستكون هواء ••• أما الخبز فهو من الشعير اذا عضه كهل صرخ من الالم لقساوته وصلابته •

يقـــول :

يا واشْ يا عبــدَ آلعـــــزيز
خَرَّبِتْ بيتــكْ شِـدْعَوَه°(١)

ما كُوْلُكُـمْ خُـبْزَ آلشـعير
ان عَضَّهُ آلشـايبْ عَـوَه°(٢)

وِجْفَانِكُـم عــينَ آلبِعِــير
غَطِّـينْ وَآلثَالِثْ هَـوَه°(٣)

أما ابن جعيش فيهجو حضريا ويرميه بالبخل ولكن باسلوب ساخر لاذع فهو لا يقول عنه انه بخيل هكذا صراحة وانما يصف حالة من حالاته ويصورها تصويرا مضحكا •

افلقهوة في البادية هي الأداة لاجتماع الرجال وتبادل الاحاديث • وصانعها لا يشربها لوحده ، بل على العكس ، نراه يدعو رجال القبيلة جميعا عن طريق دقات منغومة ، صادرة عن « النجر » الذي تطحن به

---

(١) ياواش : مهلا هون عليك • شدعوه : على اي شيء او ما هذا كله •

(٢) ما كولكم : مأكولكم • الشايب : الكهل الرجل المسن • عوه : صرخ وهي مأخوذة من العواء •

(٣) وجفانكم : مفردها جفنه : وهي وعاء الاكل الذي يقدم للضيوف وهو عادة يكون واسعا وتتناسب سعته مع الوضع الاجتماعي للمضيف فكلما كانت واسعة دلت على الكرم وعلى عراقة المضيف • هوه : هواء •

القهوة • فاذا سمعها الرجال توجهوا الى بيت صاحبها ، يشربونها ويسمرون حولها • وهذه هي عادتهم • فالقهوة لا تخفى عن احد وهـذا ان حصل ، فهو عار ما بعده عار • لذا نرى شاعرنا ، يرمى خصمه ، باخفـاء اواني القهوة • فاذا اراد شربها سقى نفسه بنفسه ، وتراه يخفى نفسه في زوايـا البيت وقلبه يدق خوفا فكانه صائد نصب شركا لطائر فاخفى نفسه حتـى لا يراه الطائر ••• ومن ثم يغلق ابواب بيته على نفسه خائفا مترقبا حتى السعلة لا يظهرها خوفا من ان يسمعها احد فكانه مطارد من احد فيخشى ان يظهر صوتا ينم عن مكانه •• وحتى الدخان الذي تبعثه النار يخـاف ان يفضحه فيرتقى سطح المنزل ليغطى فوهة المدخنة حتى لا يخرج منهـا الدخان فينم عليه • ويستمر باعطاء هذه الصور الساخرة فيصف (نجيره) اداة سحق القهوة بانها مثله خرساء لا تظهر صوتا عنـدما يدق فيها حب القهوة فكانها كلب زارع الخضار الذي يسرق اللص واللص لا يسرقه •• يريد ان هذا الكلب يفاجيء السارق مفاجاة دون ان يصدر منه صوت ينـم عنه فيتنبه اللص الى ذلك ••• فهل من سخرية اشد من هذه السـخرية تصور رجلا يقوم بهذه الاعمال من اخفاء نفسه في الزوايا الى الترقب والحذر ورجفان قلبه كل ذلك من اجل ان يشرب قهوته لوحده فلا يشاركه فيهـا احد وعلى القارى او السامع ان يتصور مدى هذا البخل الذي جعل صاحبه يسلك هذا المسلك • يقـول :

الى هـمّ يقهـوى نفسـه
نـوى في مالـهْ باتلافـه(١)

تِلقـاهِ يـكْـوبِعْ في العـيَّرْ
قلبـهْ ما يسـكن رِجَّافـه(٢)

---

(١) الى هم : اذا هم • يقهوى نفسه : يسقى نفسه القهوة •
(٢) تلقاه : تجده • يكوبع : يتخبأ • في العير : بكسر العين وتشديد الياء جمع عائر وهي الزوايا • رجافه : رجفانه •

كنـــه حبّـالٍ لـــه حقـــــه
حَطّ ٱلحَبَّـه في مِطْــــرافه[1]

ساعةْ يِدخُـــلْ صَـكّ المجــرا
وْعَقّدْ شـلحاتُهْ واطرافـــه[2]

عفـيّ ما هـــا وِحْبيبـــاتُـــهْ
وِوْقُودُهْ خـــوصِ ٱلسفافـــه[3]

حتـــى الگحـــهْ ما يظهرهـــا
كنـــه ســـارٍ في مخافـــه[4]

مـن خوفـــه يظهـــر دخانـــه
يرقـــى ويغَطـــى كشافـــه[5]

كَنّ نْجـيره كلب مْخَضـــر
يْحُوفِ ٱلحَايِفْ ما حافـــه[6]

اما الشاعر خلف الاذن • وهو من آل الشـعلان نسبا • اضطر الى ترك قبيلته على اثر خلاف وقع بينـه وبـين النورى (نوري بن شعلان) ،

(١) كنه : كأنه • حبال له حقه : ناصب فخ • حط الحبه : وضع الطعم • مطرافه : في مكانها من الفخ •
(٢) صك المجرا : اغلق الباب بمغلاقه الكبير • عقد شلحاته : شمر اكمامه • اطرافه : اى اطراف الثوب •
(٣) عفى : نقى • ساها : ساءها • حبيباته : تصغير حبوب القهوة • خوص السفافه : خوص السعف •
(٤) الگحه : السعال • كنه : كانه • في نحافه : في حالة خوف ورعب •
(٥) يظهر دخانه : يخرج دخانه ويظهر للعيان • يرقى : يرتقى يصعد • يغطى كشافه يغطى مدخنته •
(٦) كن نجيره : كان هاونه (الهون) • كلب مخضر : كلب زارع الخضره • يحوف : يسرق • الحايف : اللص •

والتجأ الى ابن سبهان ، وهو احد المقدمين عند ابن الرشيد امير نجد ، قبل ابن سعود • وفي يوم كان شاعرنا جالسا مع ابن سبهان ، واذ بشاعر متكسب يدخل « المضيف » ويأخذ بالانشاد فاذا انتهى قال ابن سبهان لخلف الاذن « رد عليه يا خلف » يريد منه ان يتهاجى مع هذا الشاعر لكي يتسلى هو•• فكبر الامر على خلف • ايتهاجى مع هذا الشاعر المتكسب الوضيع النسب وهو من آل الشعلان امراء الدولة وسادة من سادات البادية •• فاخـذته الحمية والبدوى جرىء بطبعه يأنف من الذل ويثأر لكرامته فورا • فتناول خلف الربابه ، وانشد قصيده على الفور ، يهجى بها ابن سبهان ، ويشتمه ويلوم نفسه على تركه قومه واللجوء الى هذا الانسان ، الذي مل ضيافته رغم ما يبديه له من حلاوة في اللسان • فهو لئيم ورجل ردىء وهو عـدو قديم منذ دور الاجداد ــ يشير بهذا الى الحروب والمعارك التي جرت بين آل الرشيد وآل الشعلان •• ثم يرميه بكل نقيصه ومن أنه وضيع في نسبه وانه يجلس مجالس الرجال وهو امراه •• يريد انه ليس من الرجولـة في شيء •• وهو لذلك سيغادره عائدا الى اهله رغم الجفاء الذي بينه وبـين النورى فهم على كل حال اهله وعشيرته •

يقول منها :

يـومٍ تِـنادِيني وَأنَـا وِيـنْ وِينـي
بَقْعَهْ تِصَفْجني على غـيرْ فَاقَـه

اَللّهْ يَـخُـونكْ كانْ ما تِشْـتَهِيني
لو حكيـت لي بالعـلوم الرقاقـة[1]

الشّـينْ شِـينْ وْمَنْقَعِ الشّينْ شينِ
عَدُوْ جَدٍ ولا بْقَلْبَـكْ صداقـة[2]

---

(١) العلوم : الاخبار ، الاحاديث • الرقاقه : الرقيقه ، العذبة •
(٢) الشين : الرجل الردىء • منقع الشين : اصله • عدو جد : اي انه عدو منذ عهد الجدود •

فنجالْ طينٍ منْتْ فنْجالْ صينـي
تُبركْ مباريكِ ٱلجملْ وِانْتْ ناقة[1]

ابغـي تنصـى واسْمين ٱلرديـني
الربْعَ ٱللّي كل ابُوهُمْ رُفاقـه[2]

وهذا الذي رأيناه كثير الوقوع بين الشيوخ عادة ، حيث نرى فيه ثأر البدوي لكرامته ومجابهة خصمه دون خوف او وجل .. وقصائد الحماسه مليئة بهذا النوع من الهجاء . من ذلك ما جاء في قصيدة لعبيد العلى الرشيد فارس نجد وامير حائل السابق يخاطب فيها ابن سليم صاحب بريده لما أغار على حائل سنة ١٢٦٢ هـ ومطلعها :

يا بِنْ سِلِيْمِ انْ كانْ غِرتُوا بِالاطْراف
فَلاتْهِمِ ٱلطّهْبَلَـهْ وٱلتِدَاهير

ويمضي الشاعر بالمفاخرة بقومه ، ويعدد معاركهم وانهم رجال حرب وطعان ، لا يغيرون على الاطراف كما تفعلون انتم ، مستغلين بعد هؤلاء وقلة عددهم . ويستمر في فخره وحماسته ، حتى يعرج على ابن سليم خصمه فيرميه بابيات مرة لاذعة يصوغها على شكل نصيحة . لكنها نصيحة تنضح بالسخرية والطعن والانتقاص من ابن سليم وقومه ...

فالمعروف عن اهل بريده انهم من التجار حيث يتزعمون تجارة الجزيرة العربية في الابل والخيل والغنم ويطلق عليهم اسم « عقيل » ... لذا نرى الشاعر ينصح خصمه بان يبقى على تجارته وعد الدنانير ويترك الحرب لاهلها وان لا يحمل نفسه فوق طاقتها ففي ذلك ذهابه فالحرب

---

(١) فنجال طين : فنجال من الطين . صيني : الخزف الصيني وهو ثمين عادة . تبرك : تجلس ، تتهيأ لحمل الصعاب .

(٢) ابغي : اريد . تنصى : اقصد ، اميل الى . واسمين الرديني : الجاعلين الرديني وسما لهم . الربع : الاصحاب . رفاقه : رفاق .

تريد رجالاً خلقوا لها ولم يخلقوا لحمل البضاعة والانتقال بها بين القبائل لبيعها • فاترك يابن سليم السعي للحرب واخلد مع حليلتك الى الراحة والسكينة وسط غيوم البخور العطره واترك عجاج الحرب وغباره ورائحة البارود وارضى بفقد الجزء خير لك من فقد الكل • فان كنت قد صنعت لك درعا من سعف النخيل ، وتريد به أن تصوغ الجبل (جبل شمر) على هواك وتشكله كما يشكل الصانع ما بيده على نار الكير ، فانت واهم فالسور لا يبنى من اغصان الصفصاف • يريد بذلك ان عظائم الامور يراد لها رجال اشداء للنهوض بها ، والحرب تريد من يكون اهلا لها •

يقول :

فانْ طِعِتْ شوري فَاسْعَ باطْراف آلانْصَاف
بِبْضَاعَتَكْ واُضْبُطِ حِسْابِ آلدنانير

واتْعَبِ لِمْجلس الشفاتين ••••• بلحاف
وآرْقُدْ مَعْهُ وادْغَثْ عجاجَ المِبَاخير

شوري عليك مِنْ آلمَغَازي بالانْكَاف
تَرى ذِهَابَ آلنَمِلْ سعيُهْ بتطيير

اعمى بْريَدهْ لا يكْزِكِ بْمِهياف
وْيتبعْ بِكَ آلدَلْوَ آلرِشَا باسْفَلَ البير

نِصيحتي اِنْ كنتْ للجبِلْ عَرَّاف
وِآنْ كانْ تِبْغينَا فْحِنَا مَحَاضِير

دونِ آلجِبَلْ نِنْقُلْ رِهيفَاتِ آلاسياف
على ظْهُورِ مْعَسْكراتِ آلمسامير

عِمَلْتْ لَكَ دِرْعِ وْهُو جَرِدْ خصَّاف
تبغي تْصُوغِ آلجبلْ صوغِ على كير

السورْ ما ينبني بْعُودانْ صُفْصَاف
وْبَالسُوقْ لا يغريكْ رَقْصَ آلجِزَازِير

وكثيرا ما نجد في شعرهم هجاء سياسيا مبعثه الخصومات والتنازع على السلطة والامارة فهذا عجلان بن رمال وهو من قبيلة شمر الذي اضطر الى النزوح عن نجد بعد ان دالت دولتهم المتمثلة في امارة ابن الرشيد •• نراه يحن الى نجد ويترقب ان يصله رسول منها يخبره عن موطنه ما حل به بعد ان اختلفت الروايات فمن قائل انها تحيا بسلام وطمأنينه فلا خوف ولا ظلم على حين انها حسب علمه ملجأ للذئاب الكساسرة المتوحشة •

فيقول :

متى يِجينا طارْشٍ فوقْ مَجْحُود
يِعِلْمَنْ عَنْ دِيرِتي وَشْ جِرَابَه(١)

هيْ على ما جاني سْهُودْ وِمْهُود
وِلْلاَ على خِبْري سْوَاةَ آلِذْيابه(٢)

حِلْنَا مْنَ آلجوبَهْ على آلكْنَّسِ الكود
وَلا لُومَ أنَا خَطْوَ آلرَجُلْ لو يْهَابه(٣)

ثم نراه ينتقل الى هجاء البعض من عشيرته الذين آمنوا بالدعوة الوهابية والتحقوا بجموع الاخوان تحت امرة ابن السعود •• فيطلب لهم الموت

---

(١) يجينا : يجيئنا • طارش : رسول • مجحود : صفه للجمل القوي • يعلمن : يخبرنا • وش جرابه : اي شيء جرى بها •

(٢) ما جاني : ما جاءني • سهود ومهود : ارض مطمئنة يرف عليها السلام • واللا : والا • خبري : علمي •

(٣) حلنا : رجعنا اتينا • الجوبة : مكان ، الارض المقفره • الكنس الكود • الجمال القوية • خطو الرجل : الرجل الشجاع • لو يهابه : اذا هابها وتخوف من قطعها (اي الصحراء) •

ومن الله ان يحرمهم شبابهم ثم يصفهم بانهم يمسون ويصبحون حليقي الشوارب . واذا شدوا العصائب على رؤسهم فهم يتهيؤن الى سفك الدماء ، تصور انهم يقتلون اقاربهم رغم انهم من شمر ومع هذا نراهم يخربون بيوتها ومضيف قبيلتهم .. يا للعار انهم يريدون الجنة بقتل اقاربهم ... ثم يختم قصيدته بالقسم العظيم بان هذا الشيء يبرأ الاسلام منه وانها اعمال لم تسن ولم تعرف في عهد الصحابه (رضى الله عنهم) يقول :

نَكَّاسْ للاخوانْ دودِ ولَدْ دودْ
هـا ذاكْ ودِكَ ٱللهْ ينْزَعْ شَبَابَه[1]

يِمْسي وْيِصْبحْ شَارْبُه تقِلْ مَجْرود
يِذْبَحِ ٱلْيَا شِيفَتْ عليهِ ٱلِعصابـة[2]

اخوانْ شَمَّرْ ما رْتِطْلاهُمِ ٱلسود
مُضِيفَ أَهَلْهُمْ على آيْدِيهِم خَرَابَة[4]

واللهْ دينْ وْنِتْبَعِ ٱلدينْ بِشْهود
إنْهَا فلا سُنَّتْ بْدُورِ ٱلصحابة[5]

فشاعرنا في هجائه هذا سلط الانظار على ناحيتين تجلب العار لصاحبها

---

(١) نكاس للاخوان : يميل اليهم ـ دود ولد دود : شتيمه . ودك : بودك وتأتي احيانا دعاء .

(٢) تقل : تقول وتاتى بمعني كأنه . مجرود : محلوق ، والاجرد خفيف شعر الوجه . الليا : اذا . شفيت : رؤيت .

(٣) مار : لكن . تطلاهم : تطليهم . مضيف اهلهم : المكان الذي خصصه اهلهم للاضياف والمقصود هنا بيت الشيخ .

(٤) لقوا : وجدوا . دسمة الفود : ما يصبون اليه من فائدة وطمع ويقصد انهم انتهازيون دفعهم الطمع الى الانضمام الى آل سعود . دوارة الجنه : طالبوا الجنة . القرابة : الاقارب .

(٥) فلاسنت : لم تسن . بدور الصحابة : على عهد الصحابة .

في عرفهم • الاولى قتلهم لاقاربهم وهذا يتنافي والعصبية القبلية ، وهي شيء مقدس عندهم • والناحية الثانية حلق الشوارب • وهذا عيب ما بعده عيب عند البدوي • وان كانت الوهابية في عملها هذا انما تماشى السنه • وكأنما اراد شاعرنا بتطرقه الى هذه الناحية ما اراده شاعرنا المتنبي في قوله :

أغاية الدين ان تحفوا شواربكم
يا أمة ضحكت من جهلها الامم

ثم نراه يتهمهم اخيرا بان اندفاعهم هذا لم يكن بدافع حرصهم على الدين واعلاء كلمته • وانما بدافع طمعهم وحرصهم على الكسب والغنيمة والربح ••••

وقد اجابه على قصيدته هذه الشاعر مضحى بن وحير وهو من عبده احدى قبائل شمر بقصيدة يوافقه فيها على ما جاء في قصيدته ويؤمن على اقواله وينصحه بان لا يذكر نجدا بعد اليوم ولا يحن اليها وان يحيا هائما في القفار صابرا على الضيم خير من حياة نجد الآن • فنجد حلاوته ايام كانت الحياة فيه آمنة مطمئنة يجد فيها الخائف ملجأ له فينام قرير العين • اما اليوم فلا عز فيه • ولا أمن لخائف • فبعد ما كان سكنته سلاطينا وفهودا وفرسانا تولت أمره الآن جماعات من اخلاط الناس فمن قوم (ختلان) الى قوم « سلبود » الى غير ذلك ممن هب ودب حتى ان لهجاتهم لا تتشابه لانهم ليسوا من أرومة واحدة وانما هم خليط من البشر همهم الوحيد الدس والوقيعة بين الناس فابعد عنهم واتبع البعد بصدود يقول :

احسنتْ يَا عجلانْ ما قلتْ مَنْقُود
حكْيَكَ على عَقْلِي لذلذِ جَوابَه[1]

---

(١) ما قلت منقود : لم تقل ما ينتقد •

انْ كُنْتْ عَنِ ٱللّي تِشتهي مِنْتْ مَرْدُوْدْ
اِقْبَلْ نِصِيْحَةْ واحِدِ لَكْ عَنَابَهْ[1]

اِنْحَشْ مَعَ ٱلديَّانْ وِاصْبُرْ على الكُود
لا تِطْرَحَكْ ناسٍ تْغَوِّلِ كْلابَه[2]

نَجْدِ حلاتُه يُومْ حاوي وْمَرْدُوْدْ
وْعِزٍ يِنْبَامِ قْهِيدِي مِن لِجَابَه[3]

واليوم لا عِزٍ ولا زَيْنْ مَضْهُود
قُلْ لُهْ لْيَاجَا طارِيه لا هَلَا بَه[4]

من عُقُبْ ما سكناه سَلاَطِين وِفْهُود
تِوَلَّتُه ناسٍ على ٱلله حْسَابَه[5]

من قومْ خَتْلانْ ليا قومْ سَلْبُود
ناسٍ تِفَالَه وٱللّغَةْ ما يْتِشَابَه[6]

---

(١) منت : ما أنت • اقبل نصيحة واحد لك عنابة : اقبل النصح من رجل تحمل عناء نقله اليك •

(٢) انحش مع الديان : يطلب اليه ان يهيم في القفار ويتوجه اليها • لا تطرحك لا تطرحك ارضا اي تقتلك • تغول : تغتال • كلابه : كلابها ،

(٣) حلاته : حلاوته • حاوي ومردود : اي كنا نجوب فيه ولا يمنعنا احد لاننا نحن حاكموه • قهيدى : النوم العميق المريح • لجابه : لجأ به •

(٤) لياجا : اذا جاء • طاريه : ذكره • لا هلابه : لا أهلا به • لا زين مضهود : لا ملجأ لمضطهد •

(٥) عقب : بعد • سكناه : ساكنوه • تولته ناس على الله حسابه : اي على الله حسابها فهو وحده الذي يعرفهم ، يريد انهم قوم مجهولون لم يكن ليعرفهم احد من قبل •

(٦) ختلان وسلبود : إسمان لشخصين • ليا : الى • ناس تفاله : ناس تتفاله اي تنتشر • اللغة : بكسر اللام وفتح الغين : الكلام • ما يتشابه: لا يتشابه •

من بين قوادْ ليا بين مقيود
بَس نقيلي حكيهم والخيابه[1]

ابعدْ عنْه واجزه مع البعد بصدود
ما زالْ ما قالوا عديم سطابه[2]

فهو هجا نجد ، وشتم ساكنيها ، وطعن في انسابهم وفي اخلاقهم • فهم شذاذ آفاق تجمعوا فيه ، من بعد ما كان مسكنا للملوك ، والفهود من فرسان شمر • ولا ينسى ان يرمى الوهابيين بانهم يقتلون كلابهم • والبدوى لا يقتل كلبه بل يعزه فهو حارسه الامين وهو الوفي له والشاعر لا يجد مبررا لقتل هذه الكلاب وهو في نظره عمل ينم عن قساوه ووحشية • فاناس كهؤلاء ليس في قلوبهم رحمة او وازع يمنعهم من قتل كلابهم لا يمكن للانسان ان يثق بهم او يركن اليهم •

واذا تركنا هذا النوع من الهجاء الاخلاقي الذي يتناول المثالب والمعايب جانبا • وجدنا عندهم من الهجاء الشخصى الذي يتناول عيوب الخلقة ، والسحنه الشيء الكثير ، ويكون هدف الشاعر من هجائه ان يجعل المهجو هزأة للسامعين ، فيرسمه في صورة ساخرة مزرية تلفت النظر اليه وتثير الضحكات • والشاعر بتصويره يركز على نقص في المهجو يوسع امره ويضخمه ويلح في ابرازه حتى يثير الزرايه ويشبع النكتة ، من غير رحمة او شفقة ، فيكون مدار شعره عادة ، قصر في المهجو او دمامة في وجهه او طول وضخامة في انفه او كبر في المنخرين او نتوء في عينيه الى غير ذلك من عيوب الخلقه التي ليس للمهجو فيها يد ولكنهم الشعراء وقديما قيل « وعداوة الشعراء بئس المقتنى » •

---

(١) قواد : قائد • مقيود : منقاد (تابع ومتبوع) • بس : فقط • نقيلي حكيهم والخيابة : اي ان كلامهم كله خائب لا يخرج عن نقل ما يتلفظ به الناس للدس والوقيعه •

(٢) اجزه : جازه • عديم : فارس • سطا : من سطا يسطو اي تسلط •

فهذا الشاعر سليمان بن علي التميمي يهجو أحدهم ويصف أنفه الافطس الضخم فيقول :

جلّ آلخالق يا خشم لُه
لو هو يشوفه ما شاله[1]

فيه حنفه فيه جنفه
وفيه صدفه ملّه ، ماله[2]

وصف آعرفه باقوله
لا شك آسرع ما تلقى له[3]

كنّه قين حمار قاحل
له زمان في مزباله[4]

فيه خروم ومتثلّم
والارضه شبّت في جاله[5]

كنّه كسرة صاع ناقص
منكسر في يد كيّاله[6]

فياله من انف حوى كل ما يجعل من صاحبه هزأه للناظرين فهو في كبره كحافر حمار ملقى في مزبله منذ امد طويل حتى تخرم وتثلم واكلت

---

(١) يشوفه : يراه • ما شاله : ما حمله • خشم : انف •
(٢) حنفه : ميلان ومثلها الجنفه والصدفه •
(٣) باقوله : اقوله •
(٤) كنه : كأنه • قين حمار : حافر حمار • قاحل : كبير • مزباله : مزبله •
(٥) الارضه : نوع من الدود يقرض الخشب والملابس وغيرها • شبت في جاله : اكلت جانبه •
(٦) كنه : كأنه • صاع : مكيال •

« الارضه » جوانبه • او كأنه كسرة من صاع ناقص كسر بيد كيـال •••
وانت ايها السابع ، لا تشمت به •• بل احمد الله الذي جعلك في اكمل
خلقه فلم يصبح حالك كحاله •

واخيرا لا نريد ان نذهب بعيدا في ايراد النماذج فهذا أمر يطـول
واحسب اني قد عرضت لالوان الهجاء وانواعه بما فيه الكفاية ، بحيـث
اعطيت صورة واضحة لهذا الباب وللطريقة التي سلكها الشعراء في هجائهم
من حط لقيمه المهجو وتندربه وسخرية وتهكم وضحك ، الى تناول مـا
يعيب في عرفهم من بخل وجبن وغدر وذل للجار وضعـة وهوان وخمول
في النسب وطعن في صفائه ونقائه ، الى غير ذلك من المثالب والمعايب •

وقد لاحظنا انهم في هجائهم ـ على الرغم من قساوته ـ كانوا بعيـدين
كل البعد عن بذيء الكلام وفاحش القول ، وعن المعاني المنحطة السافلـة ،
التي يزخر بها شعر المتأخرين من شعراء العصر العباسي • وفي يتيمـه
الدهر للثعالبي الشيء الكثير من هذا الذي تتقزز النفوس منه وتأنف الاذان
من سماعه وخاصة ما اورده الثعالبي من شعر لابن الحجاج وابن سكره •

* * *

الفصل السادس

الوصــف

وهو من اوسع الابواب الادبية نطاقا واكثرها شمولا نهو في كل باب من ابواب الشعر حتى نستطيع القول بان كل شعرٍ وصف • يقول المبرد في الوصف بانه « باب كأنه لا آخر له ••[١] » •

والوصف لغة ، اظهار الموصوف وتزيينه وتحليته • قال بن منظـور في اللسان : وصف الشيء •• حـلاه • ويقـول ابن رشيق : واصـل الوصف الكشف والاظهار ، يقال قد وصف الثوب الجسم اذا نم عليـه ولم يستره ••[٢] ومنه قول ابن الرومي :

اذا وصفت ما فوق مجرى وشاحهـا

غلائلهـا ، ردت شـهادتهـا الازر

اما في الادب فالوصف انما هو التصوير الحي للظواهر الطبيعيـة بخطوط دقيقة ملونة تساعد السامع على كشف الجمال الكامن فيما يطرقـه الوصف من مواضع واغراض • ويذهب ابن رشيق في عمدته الى ان احسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع • ولعل اجمـل ما قيل في الوصف ما رواه ابن رشيق على لسان بعض المتأخرين قولـه : ابلغ الوصف ما قلب السمع بصرا[٣] •

---

(١) الكامل جـ ٣ ص ٨٧٨

(٢) العمده جـ ٢ ص ٢٧٩

(٣) العمده جـ ٢ ص ٢٧٨

والوصف كما قلنا سابقا باب واسع يكاد يبتلع سائر الاغراض حتى ان ابن رشيق ذهب الى القول : بان الشعر الا اقله راجع الى باب الوصف ولا سبيل الى حصره واستقصائه[٤] وابن رشيق في كلامه هذا لم يجانب الواقع والحقيقة • فالمدح والرثاء والهجاء والفخر والنسيب ما هي في الحقيقة الا وصف للانسان في حالات معينة ومواقف موقوته •

والوصف في شعرنا البدوي كما هي الحال في الشعر الجاهلي ليس بغرض مستقل وانما يمتزج في اغراض الشعر جميعا وليس بغاية تبنى عليها القصيدة وانما هو واسطة لتنميق القصيدة وتنسيقها • فهو في القصيدة بمثابة السلك في العقد ، يشد الاغراض المختلفة في القصيدة ، الى بعضها البعض ولعل طغيان الوصف في هذا الشعر واجادة الشاعر فيه انما يرجع الى قوة الملاحظة عند البدو وحدة الذكاء ، وتفجر العاطفه ، وهذه الوحدة في صحراء مترامية الاطراف ، بحياتها الرتيبة ذات النغمة الواحدة جعلته يلاحظ بدقة ما حوله وما يطرأ على الطبيعة من تغير فيلفت نظره السحاب ، برعده وبرقه • والنجم في تلألئه • والضياء في تلفتها واجفالها ، فيسجل كل ذلك في شعره • ومن هنا جاءت القصيدة سلاسل اوصاف ، وكان موضوع الوصف كل ما في هذه البيئة الصحراوية من معطيات • كالاطلال البالية والرياح المختلفة الهبوب ، وكثبان الرمال المترامية والامطار الهاطلة ، والرعود القاصفة والبروق اللامعة • ثم هذه الحيوانات التي تعيش في هذا المحيط من اليفة داجنة الى وحشية مفترسة • او ما الى ذلك مما لا تخلو قصيدة منه • وقد جعل الشاعر هذه المعطيات مادة كلام ومادة تلوين وتنميق ومن هنا كان وصفه شديد اللصوق بالواقع الذي يحسه شديد اللصوق بالمادة محدود الانطلاق في عام الخيال فخياله لا يخرج عن البيئة او يتعداها فلا يخلق ولا يركب بل يعتمد التشبيه ركنا اساسيا ويجعل التشبيه او الاستعارة وسيلة تلوينه وتزيينه •

---

(٤) العمدة ج ٢ ص ٢٧٨

وعلى الرغم مما ذكرناه آنفا من ان الوصف في الشعر البدوي ليس بغرض مستقل يذهبون اليه • الا اننا نقول بانه يرنوا الى ان يكون غايـة في ذاته فالشاعر يصف الاطلال ثم ينتقل الى وصف راحلته ثم الى وصف حبيبته وهكذا فهو يسير من وصف الى وصف حتى تنتهي القصيدة •

ولقد ذكرنا في أول كلامنا عن الوصف بانه يشمل اكثر اغـراض الشعر وهذا امر لا ريب فيه • الا ان النقاد قسموا هـذه الاغراض التي تصف الانسان وصنفوها وجعلوا المدح والهجاء والفخر والرثاء والغـزل اغراضا مستقلة باسمائها وبمواضيعها • واما الوصف فهو ما يتناول الظواهر الطبيعية والآثار الانسانية وما يمت اليها بصلة •

يقول عبدالعظيم قناوى : الوصف عندهم تصوير الظواهر الطبيعيـة بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الانسانية تحليلا يصل بك الى الاعماق[١] •

وقد تناول الشعر البدوي هذه الظواهر والآثار بوصف فيه دقـة تصوير وسمو تعبير تماما كما هي الحال في شعرنا الجاهلى الذي يصـدق عليه الى ابعد الحدود القول : بأن الشعر رسم ناطق ، اي تصوير حسى للبيئة الطبيعية والبشرية على السواء واذا كان الوصف هو الفن الذي برع فيه شعراء الجاهلية واتقنوه الى حد الاعجاز الذي لا نكاد نجد له مثيلا في اي ادب عالمي آخر وذلك لفرط دقـة الملاحظـة واستقصاء الدقائق عنـد شعراء البادية الذين لم يتركوا فيها شيئا الا صوروه ادق تصوير[٢] • فهو ما زال كذلك في شعر البدو المعاصرين الذين لم يتركوا شيئا مما تقع عليه عيونهم الا وصفوه في دقة حسية بالغه •

فهذا محمد العبدالله القاضي يصف السحاب والغيث فيقول :

---

(١) الوصف في الشعر العربي ج ١ ص ٤٢

(٢) فن الشعر ــ دكتور مندور ــ ص ١٢٣

لعلّ برّاقٍ صدوقٍ خيالَه
محنٍ مرنٍ مرجحنٍ وهطّال[1]

حينِ ارتكبْ كنّهْ شواميخِ جبالَه
متْرادفٍ ذيلهْ يجي سيلهْ ارسالِ[2]

لحب الى ربرب ربابه حباله
من الشرق نسمٍ ردّ الاوّل على التالِ[3]

تشوف عيازِ المزنْ وقت احتمالَه
طبّوقٍ بجنحانِ الخضاري له امثالِ[4]

تنظر خشومِ المزنْ يوضي بجاله
صفايحَ الفضّة بصالوخْ صقّالِ[5]

لكنّ طفاحَ الربابِ اجتوا له
هجمةْ مغاتيرٍ حداهن خيّالِ[6]

كنّ الرعدْ به والبروقِ اشتعاله
تتبعِ اطوابَ الفرنجي الى صال[7]

ونضّاضْ برقهْ في مثاني خيالَه
لي نشروا شرعِ المراكب بالادقال

(١) محن ، مرن ، مرجحن : كثير البرق والرعد غزير المطر ٠
(٢) حين ارتكب : عندما تراكم بعضه على بعض ٠ كنه : كأنه ٠
(٣) الى : اذا ٠ الرباب : نوع من الغيم ٠
(٤) تشوف : ترى ٠ طبوق : كثيف ٠ الخضاري : نوع من الطير ٠
(٥) الخشوم : الجبال ٠ بجاله : بطرفه او بجانبه ٠ صالوخ صقال : مجلاة صقال ٠
(٦) طفاح : القطعة من الابل ٠ المغاتير : مالونه فاتح من الابل ٠
(٧) كن : كأن ٠ طواب مفردها طوب : المدفع ٠

ويقول محسن الهزاني في وصف السحاب ايضا ما يلي :ـ

خْلافِ ٱلجِفَى و ٱلهَجرِ ْ و ٱليأس ْ و ٱلرِجاء
بالاَقْدَارْ يِسقي دارْوادِ ٱلمجامع[1]

بْنَوٍّ عَرِيْضٍ حالِكِ ٱللَّونْ مِظْلِم
مِنُّهْ ٱلفَرَجْ يُرجَى اِلى شِيفْ طَالع[2]

لَكَنْ رُبَابُه حينما يِنْشُرْ ٱلسدى
جِنْحِ ٱلدِجَا رِيلانْ صُمٍّ المِسَامع[3]

نهارُهْ كَمَا ليلٍ بِهِيمٍ وْلِيْلُه
نهارِ مْنِ ٱيْضَاحِ البِرُوقِ اللّوامع[4]

الى ما غِشَا وقتَ ٱلعشا بَعَدْ ما نشَى
حِبَالُهْ منَ ٱلمَشْرِقْ نِسِيمِ الذعاذِع[5]

وْزَلْزَلْ وْعَزَّلْ بهْ رُبَابٍ وْنَزَّل
سَبْحَرْ وٌزَجْرْ مِثلْ ضَرْبَ ٱلمدافع[6]

---

(١) خلاف • بعد • وادي المجامع : اسم مكان يسكنه بني هزان •

(٢) النو : السحاب • الى شيف • اذا روءى •

(٣) لكن : لكأن • ربابه : سحابه والرباب من الغيم الابيض منه • السدى : غير المزن وهو ما يتمدد في الافق امام غليظ السحاب وكأنه سدا والبرد والمزن لحمته • ريلان : جمع رئل ولد النعام •

(٤) كما ليل : كليل • من ايضاح : بسبب اشتعال البروق •

(٥) الى ما غشى : اذا غشى الجو • حباله : تصدى له ويقصد هبوب الصبا المشهور عندهم بالقاح السحاب : الذعاذع : الريح بين الرخاء والزعزع •

(٦) زلزل : دمدم صوته • عزل : حل عزاليه والمراد شدة المطر • سبحر : امتلاء • زجر : صوت الرعد •

وْخَيَّمْ كَمَا ٱلحنـدي وْغَيَّم وْدَيَّـم
الى حيثْ ما يبقى بِالاوْطَـانْ جاضـع[1]

وْصَكَّبُ وْسَكَّبْ ثُمْ بَالغِيثْ رَكَّـبْ
وْغَطَّى ما وِطَا مِنُّـه ٱلعطـا والمرافـع[2]

وْثَوَّرِ غَبَارَ ٱلارضْ من ضَرُبْ وَدَقُّـه
وْضَجَّنْ مِنُّـه ٱلجازيـاتِ الرواتـع[3]

بسيحٍ وْتسـكابٍ الى حيثْ ما يجـي
لَـهْ ٱلحولْ وَٱلَما في خَبَارِيـهْ ناقـع[4]

ولابن لعبون قصيدة في هذا الموضوع ايضا :

يا مالْ هَطَّالِ صـدوقٍ حَقُوقُـه
مِتَرَادْفٍ مَبْنَاهْ طـاقٍ على طـاق[5]

يفتلِ نَدَافَ ٱلطَهَـا مِـنِ طَبُوقُـه
مثلِ ٱلنعـامِ انْ نَارْهـا زُولْ تَفَّـاق[6]

---

(١) الحندى : الظلام ٠ غيم : حجب الشمس ٠ جاضع : مضطجع ٠

(٢) صكب وسكب : دام تسكابه ٠ وركب : لم ينتظر اقلاعـه ٠ الوطا : المنخفض من الارض ٠

(٣) الجازيات ومفردها جازية : الظباء ٠ سميت بذلك لانها تجتزىء عن الماء وتترك شربه ٠

(٤) يجى : يأتي ٠ الحول : العام ٠

(٥) يا مال : تاتى للدعاء ٠ هطال : دائم التسكاب ٠ صدوق حقوقه: منهمر مطره بشده ٠ طاق : طبقة ٠

(٦) نداف : نافش القطن ٠ طبوقه : طبقاته ٠ زول تفاق : شـبح صياد والتفاق حامل البندقية ويسمونها تفقـه ٠

تِرْفي مِرِيْضَات ٱلنسايِم فْتُوقُه
يِشْبَه كما لِيلٍ على ٱلصُبُحْ يِنْسَاق[1]

تْفَتِرْ عن مثلِ ٱلدحَارِيْجْ مُوقُه
اربعْ لِيالِ مِدْلِجَاتٍ على ساق[2]

والناقة صديقتهم في الحل والترحال ومادتهم في المأكل والملبس والمشرب فمن حقها ان توصف وتمدح ولهم في ذلك شؤون وابتكارات يقول الشاعر خلف السنجاري وهي من قصيدة يمدح بها صطام الشعلان :

يا راكبٍ ٱللّي كما سُولَعِ الذِيب
رَمْلَهْ وَلاَ عُمْرِ ٱلِحْوَيِّرْ غِذَى بِه

تجري بْذِرْعَانٍ سْوَاتَ ٱلدُواليب
وِحْدَةْ تْقَلِّطها وْوِحْدَة جِنِيْبَه

شَذّبْ عليها مِظْلم ٱللّيل تَشْذِيب
يوم ٱلثُريّا دُوبَحَتْ وَالجِنِيبه

كَنّ ٱلشَجَرْ عنها عْدَالةْ جَنَاديب
عنِ ٱلسَّهَلْ لَجّةِ عْفَاش الذِيبه

العينْ حَمْرَةْ لونْ ضَوّ ٱلمشَاهيب
وِٱلاّ خْلاصِةْ نارِ منْ مبتلى بِه

ريحِةْ عَرَقْهَا عنبرْ من هَلَوجِيب
او زعفرانٍ بالخدود العجيبه

(١) ترفى : ترفو ، فتوقه : فجواته • مريضات النسايم : النسيم الهاديء •

(٢) تفتر : تتمايز • مثل الدحاريج : كقطع الحجاره الكبيرة•موقه : مآقيه • على ساق : يقصد متتابعه مستمرة ، قائمه على قدم وساق •

لو دَرْهَمَتْ شَدَّتْ ملاوي ٱلعَصَاليب
حِسِيسْ رَبْدا وْمَاجْ عنهـا لِعيبه

ولمحمد العبدالله القاضي قوله :

هيـهْ يا رَكبٍ عـلى اكْوَارِ ٱلْنجَاب
مِدْنِيات ٱلبيـدْ مَطلوبِ الغَـرِيب[1]

كَنْ رَمْقِ عَيُونْهِنْ شَـعَّ ٱلشهاب
اوِ نْجُومٍ حَدَّرتْ وَقْـتَ ٱلمغيب[2]

وِٱلاَذآنِ مْشَـزَّرَاتٍ كالحـراب
بينْ مَلْقَى ٱلزورْ وَالمِرْفَقْ رِحِيبْ[3]

بالمهـامِهْ والمِتَنـايِهْ وٱلسراب
جـولْ رُبْدِ جَالْ من زولٍ مريب[4]

او كمـا ٱلكُدْرِي الى شاف العقَاب
وِٱصْطُفَقْ يِبْغي مِبِيتْهْ في شذيب[5]

او كمـا مامُـوْرْ طَفّـاحِ ٱلربـاب
سـاقَهُ ٱلغرْبِي مْطيعٍ لُـهْ مجيب[6]

---

(١) الكوار : مفردها كور ، ما يوضع على الجمل عند الركوب . النجاب : مفردها نجيب الجمل القوي الاصيل .

(٢) كن : كأن . شع : شعاع . حدرت : نزلت .

(٣) مشزرات : مستشزرات . الحراب : مفردها حربه . ملقى : ملتقى .

(٤) جول : قطيع . ربد : نعام . جال : ركض . زول مريب : شبح مريب .

(٥) الكدرى : نوع من القطا . الى : اذا . شاف : ابصر . يبغي : يريد . مبيته مكان مبيته .

(٦) طفاح : قطع . الرباب : الغيم الابيض .

او دواليبٍ يدُولِبْهَا ٱلعَذَاب

ساهْيَاتٍ مع سَحَا حِيرٍ تَلْيِبْ

وللخيل عند البدو مكانة مرموقة لذا نراهم يحتفون بها كاحتفائهم بالناقة ويتغنون في وصفها كتغنيهم في وصف النياق ٠

يقول راكان بن حثلين في وصف جواده :

على جْوادٍ مِثِلْ ظبيَ ٱلرْمَال

مِثْلِ ٱلعَنُودِ الى تْرِبّ العشامير[1]

العُنُقْ عُنْقِ اللّي شِطَنْهَا ٱلغزال

وِاْذنين مِثْلِ مْغَلّقَاتِ ٱلكُوافير[2]

وْذِرْعَانْ مِثْلِ مْلَحيّاتِ ٱلسْيَالى

وْسِيْقَانْ مِثْلِ مْهَدِفَاتِ ٱلنْواعير[3]

وْحِجْبَانْهَا عِدَتِ بْنُوقَ ٱلجْلال

وِٱلغَارِبَ اشْعَى مِثِلْ رَسْمٍ على بير[4]

وِٱلقينْ ما عِدَا على ارْبَعِ قْفَال

وْحَوافِرٍ يِزْهِنِ سْدُوسِ ٱلمسامير[5]

---

(١) العنود : قائدة الظباء ٠ ترب : تألف ٠ العشامير : مفردها عشمور الدعص من الرمل ٠

(٢) شطنها : عاقها ٠ مغلقات الكوافير : طلع النخيل في اغلفته وهو يشبه اذن الجواد تماما ٠

(٣) ذرعان : جمع ذراع ٠ ملحيات السيالى ، نوع من شجر البادية ٠ مهدفات النواعير : مقوسات الخشب تجعل على سطح البئر تحمل البكرة والدلو ٠

(٤) حجبانها : الشعر في جفن الفرس ٠ عدت : تجاوزت ٠ بنوق : مكان ربط الجلال والجلال رداء يوضع على الجواد ٠ أشعى : طويل ٠

(٥) القين : مؤخر الحافر ٠ ما عدا/لم يتجاوز ٠ اربع قفال : اربعة اصابع مضمومة الى بعضها ، والقفل مصطلح يستعملونه في القياس ٠

وْكَنُّهْ الى مِنُّــــهْ زوَاهَا ٱلجِفَــــال
قِرْنَاسْ اَهْوَى مِنْ رِفِيْعِ ٱلمُوَاكِير(١)

يِبكــــي عليهـــا جَـــلْ ذودِ متـــالى
الى نِشَـــى ٱلوَسْـمِي مْزُنُـــة مِزَابِيْر(٢)

كـــم قَلَّطَتْهِنْ صُـــوبْ زيـنِ ٱلمفالـــي
في خايعٍ عُقُـــبِ ٱلمطـــرْ ما بَعَدْ زِيْر(٣)

الى غـــدا ٱلصُمَّان مِثْـــلِ ٱلزوالـــــي
وْزَافَتِ (جُوَيَّانِ) ٱلهمـلْ بالنُواويـــر(٤)

أما أبن سبيل فيصف جمله بالسرعة ولا يرى تشبيها لهذه السرعـــة سوى قطاة رأت عقابا ففرت فزعه تبغي النجاة فلاقت ريحا ساعدها عـــلى الطيران بسرعة اشد ، والمعروف ان القطا من اسرع الطيور طيرانا • يقول :

---

(١) كنه : كأنه • الى منه : اذا هو • الجفال : النفور • قرناس : الصقر اذا نسل ريشه وخرج له ريش جديد • المواكير : جمع ماكر وهي اوكار الطيور •

(٢) جل ذود : كباره • متالي : تتلوها فضلاتها • الى نشى الوسمي : اذا نشأ اول مطر الربيع والوسمي اسم للمطر عندما ينزل في اول الموسم فهو الذي يسم الارض لتنبت اعشابها • مزون : جمع مزنه • مزابير : كأنها الجبال •

(٣) قلطتهن : قدمتهن • زين المفالي : حسن المرعى • خايع : ملتف النبت • عقب : بعد • ما بعد زير : لم يزره احد •

(٤) الى : اذا • الصمان : مربع من مرابع العرب الشهيرة • الزوالي : مفردها زوليه أي البساط أو السجادة الملونة • زافت : اختلف نوارها • جويان : تصفير جيان وهو موضع من مواضع الصمان الجميلة • النواوير : النوار •

يِجْفِلْ الى زولٍ مع ألحزم زيـلان
ما يِدْرُكُهْ بالمشـي رَقْطَ ألجناحِ[1]

يِشْدِي قطاةٍ طَالَعَتْ حوم عُقْبَـانْ
صَرَّتٍ وْصَاعَتْهَاهُبُوبَ آلرْيَاحِ[2]

واذا تركنا جانبا وصفهم للجمال والخيل والمطر والبرق والسحاب نجدهم قد تناولوا ايضا الفلوات والليل والنهار وغير ذلك من الظواهر الطبيعية وحيوانات البادية والمعارك الحربية وغير ذلك فهذا رميزان يصف الحرابي وقد احرقتها الهاجرة فتسلقت اعالي الصخور تومي برؤسها طلبا للنسائم العذبة لتتخلص من هـذا الحر القاتل وقد وصفها وهي في هـذا الوضع بالمؤذنين وهم في مآذنهم يحركون رؤسهم بالاذان • حيث يقول :

وحرا بل بالقيـظ تومـي روسـها
خوف اللظى ينجـال عن مهمـارها[3]

الى حميت الرمضا مقايلهـا الحصـا
شـروى مطـاوعةٍ بروسِ مْنَارهـا[4]

اما راكان بن حثلين فيصف مسيرة قومه الى القتال بسحابة حمـراء

---

(١) يجفل : ينفر • زيلان : مفردها زول ، الشبح • رقط الجناح : الطيور ذات الاجنحة المرقطة ويقصد بعض جوارح الطيور كالباشق وغيره وهي في العادة سريعة الطيران •

(٢) يشدى : يشبه • طالعت : ابصرت • عقبان : مفردها عقاب وهو من جوارح الطير • صرت : بعثت صوتا لشدة طيرانها • صاعتها : جنحت بهـا •

(٣) حرابل : مفردها حرباء • ينجال : ينجلي •

(٤) مقايلها : مفردها مقيلها والمقيل مكان القيلولة • شروى : مثل ، مشابه • مطاوعة : المؤذنون ، وتطلق على رجال الدين عامة وطلاب علـوم الشريعة •

مخيفة تزلزل الارض بدوي رعودها وتسكاب مطرها فيالها من سحابة مريعة رعودها قصف البارود وانفجاراته ومطرها الرصاص ينصب على الاعداء صبا وبرقها لمعان السيوف وبريق الاسنة •••• ثم تراه يختار تشبيها دقيقا يصف فيه اسنة الرماح حيث يصفها بألسنة كلاب الصيد وقد انهكها التعب فاخرجت السنتها تعبا واعياء • يقول :

فَانْ جَرَّ حَربي علينا جريرة
صَبَرْنَا عليهْ اِلِيْن نِقْوَى رْدُودْهَا[1]

فَالى قْوينا آلَردْ نِجْزِيهْ مِزْنَة
حمرا تْزَلْزِلْ في رَهَقْهَا وْعُودْهَا[2]

رَعَدْهَاآلقَهَرْ وِمْصَبَبِ آلَدرجْ وَبِلْهَا
وحدبِ مقابيس البلى في حدودها[3]

ومواصيل بارقاب القنا كَنْ وَصُفْهَا
أَلآسينْ سلقِ مِتْعِبِتْهَا طْرُودْهَا[4]

---

(١) حربى : محارب • جريرة : جمعا كبيرا من الجند • الين : حتى • ردودها : مردها ويقصد الاخذ بالثأر •

(٢) فالى قوينا : فاذا اقتدرنا • رهقها : اخافتها ، وما تتركه من الفزع في قلوب الاخرين •

(٣) القهر : البارود • مصبب الدرج : الرصاص المعبأ • وبلها : وابلها حدب : مفردها احدب اي السيف • مقابيس : مفردها مقباس أي القبس •

(٤) مواصيل : مفردها موصوله وهي سنان الرمح • كن : كأن • الاسين : ألسنة • سلق : مفردها سلوقي وهو كلب الصيد • طرودها : طرائدها •

الباب السادس

مقارنة بين الشعرين البدوي والجاهلي

لاحظنا في الفصول السابقة هذا التشابه العجيب بين هذا الشعر البدوي موضوع البحث وبين الشعر الجاهلي ، وقد لاحظ ذلك قبلنا الدكتور طه حسين حيث يقول :

وهذا الادب ـ وان فسدت لغته ـ حي قوي ، له قيمته الممتازة من حيث انه مرآة صافية لحياة الاعراب في باديتهم ، وهو في موضوعاته ومعانيه، وأساليبه ، مشبه كل الشبه للادب العربي القديم الذي كان ينشأ في العصر الجاهلي وفي القرون الاولى للتاريخ الاسلامي ، ذلك لان حياة العرب في البادية لم تتغير ، فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية ، والمادية الآن كما كانت منذ ثلاثة عشر قرنا ، فطبيعي ان يكون الشعر المصور لهذه الحياة ، كالشعر الذي يصور الحياة القديمة ...[1]

ولقد التفت الاستاذ خير الدين الزركلي الى هذه الظاهرة فقال :

يقف الشاعر البدوي اليوم فيسامر الآثار ويصف السحاب ، وينعت الجبال أو يحن الى حبيب ، او يبكي لفراقه ، أو يرثي كريما ، او يمدح عظيما ، فترى فيه روح ذلك البدوي الذي كان يقصد عكاظا قبل اربعة عشر قرنا حاملا في صدره ما قال من وصف ، أو حنين ، أو رثاء أو مدح[2] .

وكذلك لفت نظر القس بولس سلمان ذلك الذي لاحظناه حيث يقول :

ومما لاشك فيه ان ارباب الخيم الحالين ما زالوا على عهد جاهليتهم وبداوتهم وهم بالرغم من الاجيال التي طووها ما زالوا على ما كانوا عليه منذ عشرين قرنا ، حتى ان شعرهم ليقرب من الشعر الغابر من حيث المعاني

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب ـ طه حسين ـ ٠٠ (طبع في دمشق عام ١٩٣٥) .

(٢) ما رأيت وما سمعت ـ خيرالدين الزركلي ٠٠٠ (طبع في القاهرة عام ١٩٢٣) .

والاوزان[1] •• ولا ينسون شيئا من الاستعارات التي كان يأتي بها الجاهليون في عصرهم[2] •• واما معانيهم الشعرية فهي تحاكي معاني الجاهليين[3] •

وسنحاول ـ بعد هذه الالتفاتات ـ ان نعقد مقارنة بين هذين الشعرين حتى نعطي صورة واضحة لهذا التشابه •

اذا تناولنا موضوعات الشعر الجاهلي وقارناها بمواضيع الشعر البدوي المعاصر نجدها واحدة فما زالت الموضوعات هي الموضوعات المدح ، الرثاء ، الفخر ، والحماسة ، الوصف ، الغزل ، الهجاء •

ولقد لاحظنا في الفصول التي عقدناها لهذه الموضوعات كيف ان المعاني والصور والتشبيهات التي جاء بها بدونا المعاصرين هي نفسها التي جاءت على ألسنة شعرائنا القدامى • فتشبيه المرأة بالظبية والقطاة والبدر والشمس وقوامها بالرمح واسنانها بالبرد والاقحوان ونهودها بالرمان وارادفها بدعص الرمل وبالكثيب وشعرها بالليل وابتسامتها بالبرق ورائحتها بالمسك وريقها بالعسل والخمر والعين بعيون الغزال وجيدها بجيد الريم والرجل يشبه بالاسد والذئب والبحر والغيث والجمل والصقر والفحل والصخر والافعى •

يقول محمد العبدالله القاضي :

لَهَا ٱلعينْ مِنْ غُزلانْ (حوضى) وْجيدْهَا
تِليعٍ وْمَجْدُولٍ كَمَا سَبَّقْ الـرال[4]

(١) خمسة أعوام في شرق الاردن ـ الاب بولس سلمان •• (طبع في حريصا بلبنان عام ١٩٢٦) •

(٢) نفس المصدر السابق •

(٣) نفس المصدر السابق •

(٤) حوضى : اسم مكان تكثر فيه الظباء • الرال : الرأل ولد النعامة •

وقولـــه :

سَـنَا نُورْ مَصقـول ٱلترايبْ إلى بَـدَا
قُـمرْ نُورْ بَدْرِ شَـقّ إلآفـاقْ جَلجَالْ

وقول بن سبيل :

كَـنّ ٱللوَالُو بينْ اَشَـافيه مَنْظُـومْ
اَو ضيقْ وَبْـلِ مِحْـلِمِ في قنوفَـه

وقولـــه :

وٱلجيـدْ جيدِ غَزَيَـلِ طالعْ شـبُوحْ
شَـافَ القُنُوصْ وجـا مَّجِرْوِدينُـه

وقول عبدالعزيز المحمد القاضي :

رَجْحَا إلى أقْفَتْ كَنْ رُوسِ رْدُوفها
طِعْسِ ٱلرمـالْ المِسْتَقِلِ ٱلسَـامى

وقولـــه :

حَسْنَا ٱلقِوامْ وقَدْهَا مثـل ٱلقَنَـا
يِهْـتَزْ لَدْنِ وغَـضْ نَهْدُه زامي

ويقول عبدالعزيز بن عيد في مدح أحد مشايخ شمر :

يَا الزيرْ يا الزَحَّارْ يا النمرْ يَا الـذيبْ
يَا ٱلليثْ يَا ٱللايوثْ يَا الشبِـلْ يَا الدَابْ(١)

فهو قد شبهه بالذئب والنمر والليث والافعى •

واذا تركنا هذه التشابيه جانبا لوجـدنا أن الصور التي يرسمونها

(١) الداب : الافعى •

للرجل الكريم واحدة فهو ريف العانين وهو البحر الذي يغرفون منه وهو الغيث بعد المحل وهو حامي القبيلة ونسائها الى غير ذلك مما نجده في مدح الجاهلية •

يقول العوني في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود :

سَبْعٍ خُرومٍ يُقْصِمِ ٱلعَظْمْ مَلْحُومْ
حَرّابْ ضَرّابْ حمولٍ وزعالْ

ريفٍ عَلَى ٱلعانينْ ، نَصْرٍ لِمَظْلُومْ
سُوٍّ على المسْوينْ قَصّافْ ٱلآجالْ(١)

وله في مدح الشيخ مبارك الصباح :

فَهوَ مِثل البَحْرْ بُه خُصلَتينْ
بُهْ ٱلطمعاتْ تِلْقَى والمنايا

سَحَابُهْ ، يُمْطِرِ ٱلعَذْبَ القَراحْ
لمن لُه صَافي مالُه شكايا

وْيُمْطُرْ بالزلازِلْ وَٱلعظايم
وِ ٱلَى ما آنْسُهْ غِضَبْ سيلُهْ سَرَايَا

وفي مراثي الجاهلية ، نجدهم يستنزلون لهم الغيث من السماء حتى تصبح قبورهم رياضا عطره(٢) • واستنزال المطر ما زال واضحا في مراثي بدونا المعاصرين • فهذه سيطة السطام ترثي أخاها ممدوح فتقول :

برقٍ تِلالا شُوفْ عيني ضِويحَه
وْمِنْ راسْ مِزْنٍ بالسِمَا ضايحٍ ضوح

---

(١) سو : سوء • المسوين : المسيؤون •
(٢) العصر الجاهلي : شوقي ضيف •

يرعد ويبرق فوق هاك البطيحه
يسيل شفايا ساكن به ممدوح

فالمعاني عامة في الشعر البدوي واضحة بسيطة وضوح وبساطة الشعر الجاهلي فلا تكلف ولا اغراق في الخيال و لامبالغة تخرج به عن المألوف فهي معاني حسيه محددة لا يغلفها اي غموض وما زال هذا الشعر كسابقه ينقل الاحاسيس والاشياء نقلا أمينا دون تحوير او تعديل قد يمس جوهرها ومن هنا يمكن اعتباره كسابقه وثيقة دقيقة تصور حياة البادية بر مالها ووديانها وعادات اهلها واسلحتهم وكل ماله علاقة بهم .

وهذا الشعر كسابقه ايضا في انعدام الافكار المجردة والمطلقة فيه فنحن لا نجد فيه شيئا عن الكرم او البخل او الجبن من حيث كونها معان ذهنية عامة اذ لابد أن تقترن هذه الاشياء بشخص معين يتحدثون عنه .

وهذه النزعة الحسية جعلته كسابقه ، لا يحلل خواطره ولا عواطفه فهو لا يعرف التغلغل في خفايا النفس الانسانية ولا في اعماق الاشياء الحسية كما يقول الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن الشاعر الجاهلي[1] وهي بالتالي جعلته ينتزع تشبيهاته وخيالاته من عالمه المادي . ومن هنا جاءت هذه التشبيهات للمرأة والرجل والخيل والابل فهي جميعها منتزعة مما حوله من هذه الصحراء المترامية الاطراف .

ويرجع هذا التوافق والتشابه في كل ما ذكرنا هو أن بيئة الشعرين واحدة فالعوامل البيئوية التي فرضت على الشعر الجاهلي هذه الموضوعات المحددة وهذه التشبيهات والصور هي نفس العوامل المؤثرة في هذا الشعر البدوي فلا عجب ان جاء على هذه الدرجة من التشابه .

ثم أن نفس العوامل التي جعلت شعراء الجاهلية لا يتوسعون بمعانيهم بل جعلتهم يدورون حول معان تكاد تكون واحدة لا ينحرف الشعراء عنها .

---

(١) العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ـ ص ٢٢٠ .

فما يقوله طرفه في وصف الناقــه يقولـه فيها غيره ، وما يقولــه امرؤ القيس في بكاء الاطلال يقوله جميع الشعراء ، واقرأ حماسية عمــرو بن كلثوم فستجد الشعراء الحماسيين لا يكادون يأتون بمعنى جديد ، وقل ذلك في غزلهم ومديحهم ورثائهم فالشعراء يتداولون معاني واحدة وتشبيهات وأخيلة واحدة • ومن ثم تبدو في اشعارهم نزعة واضحة للمحاكاة والتقليد وجنى عليهم ذلك ضيق واضح في معانيهم[1] •

نقول ان هذه العوامل نفسها جعلت شعراء البدو يدورون في نفس الدائرة الضيقة التي دار فيها اسلافهم فهم يتناولون نفس المعاني فما يقولــه العوني في الحماسة يقوله الآخرون وما يقوله القاضي الكبير في الغزل يقوله غيره من الشعراء ونفس هذه المعاني التي يطرقونها هي نفس تلك المعــاني التي طرقها اسلافهم فهم ما زالوا يلوكون ما جاء به شعراء الجاهلية من معان وتشبيهات لانهم في الواقع انما يتوارثون هذه الظاهرة عن اسلافهم •

وقول الدكتور شوقي ضيف : ان ما يقوله امرؤ القيس في بكاء الديار يقوله الآخرون وما يقوله طرفه يردده غيره ما زال قائما حتى الآن فنحن نزيد على ذلك بأن ما قاله هؤلاء ما زال شعراء البدو يقولونه وسيستمرون بقوله ما دامت ظروفهم البيئوية هي هي ••

فهذا عبدالعزيز القاضي يقف على الديار ويبكيها كما بكاها اسلافــه منذ اكثر من اربعة عشر قرنا فيقول :

عَفَا رَسِمْ سَلْمَى وَأَصْبَحِ آلنَزِلْ مِنْزَاح
وْلِعْبَتِ بْدَارِسْ رَسِمْهَــا هُوْجَ آلاَرِياح

ديــارِ لِسَلْمَى حلت الحــي واضعـــت
جْنُوبِ منِ آلوادي وْشَرقي عـنِ آلضاحي

---

(١) العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ـ ص ٢٢١ •

مضى اِلِي بْهَا حولــين ْ و ٱلثَّـالث ٱنْتصَـف
لَكنِّي بِهَا فِي جَنّةِ ٱلخُلْدُ مِرْتَاح

وهو يطلب من رفاقه ان يحيوا منازل الحبيبة :

حَيِّ ٱلمنازلْ بَعَدْمَا قُول
اللَّه يْسَامِح لاهَاليهن

ونراه ثانية يلقي السلام على اطلال المحبوبة فيقول :

سَلامٌ عَلَى ما بانْ مِنْ طَلَلِ بالى
وْرَسْمِ بْرَبْعِ ٱلدارْ بَعْدَ ٱلانْسِ خالى

ويقول أخرى :

عَفَا من ديارِ ٱلشوقْ قبْلِيّهَا الفاني
سنينٍ مِحَتْ آياتْهَا ذالَهَا آزْمان
رْسُومٍ كما خطِ ٱلزَبورِ آنْ بِدَت بها
يومٍ وْيُومٍ تدرسْ الريحْ ما بان
خليلَيِّ عوجابي لْعَافي رسُوْمْهَا
رْوَيْداً بْزَعْجِ ٱلدَمْع خَلاي عيناني

ولنستمع الآن الى الشاعر ابن لعبون :

هـلِ ٱلدّارْ ــ ياعوّادْ ــ الا منازل
سِبَارِيْتْ ـيا عوّادـخِفْيَتِ رْسُومها
يْلُوحِ ٱلسَنَا فيها كما لاح زَرْقَهْ
على خدْميٍّ من بقايا وْشُومها

فهو قد شبه الاطلال ببقايا الوشم تماما كما فعل طرفه والفرق هو انه اختار الوشم في ظاهر اليد على حين شاعرنا جعله على خد محبوبته ولنستمع اليه ثانية اذ يقول :

حي المنازل على الخابور
من حوضْ فَلْوانِ آلىَ آلبقشه

منازِلْ حَاشَهِنّ آلشُور
عُقْبِ آلفُضَى صايرِ وَحْشَه

ايامْ حظّي سِطَعْ لُهْ نُور
وِآلَنفس بِالوَصِلْ مِبْتَهْشَة

وهذا ابراهيم بن جعيثين يقول :

يا منازلْ كلّ زينِ مِنْ قديم
باقي لِرْسُومَهَا مِنْهَا عَلام

اما ابراهيم القاضي فيقول :

بِكيتْ بِكْ يا دار مِنْ ضِيْقة آلبَال
أَبي تِسَلّي مِيْرْمَا في يدي حيل

ويقول ايضا :

أَلاَ آنْعِمْ صباحِ ايّها المنزل آلعالى
وِآسْعَدْ منّاً بَعَدْ ما شِمْتَ الاَطْلاَل

وْقَفِتْ على حاشي نِواحيهْ وَقْفَة
كما وَقْفَةِ آللّي شاهَدِ المحشَرِ التالي

ويقول محمد الصالح القاضي :

على الدارْ وِالآثـــارْ والمنزل ٱلخـــالي
تِـوَنَّـوا لكُـمْ فالِ ٱلسعادة والاقبـــال
تِـوَنَّـوا قِـدَرْ ما تُنْثُرِ ٱلعينْ واكـِـفْ
من الموقْ هطَّـــالٍ على الخَدْ هِـمَّـــال

ويقـــول الهزاني :

عوجوا بِنَـــا باللَّـــهْ يا ركْبْ ساعـــة
على ٱلطَّلَلِ البـــالي لعـلّي اوادِعُ
رْسُومٍ لِسلمى آنَسَ ٱلبُوم رَبْعَهَا
وَآمْسَتِ خَلاَفَ الأُنْس قَفْراً بَلاقِع

ولا اعتقد ان من يقرأ هذه الابيات سيشعر بأي فارق بينها وبين اقوال الجاهلين في هـــذا الموضوع ، ولا عجب في ذلك فبدوي اليوم هو بدوي الامس لم يتغير ، وما زالت نظرتهم واحدة لـكل ما يصادفهم •

وتكرار هذه المعاني على ألسنة الجاهليين ، واستمرار هذا التكرار على ألسنة البدو حتى لـكأنهم اصطلحوا على هذه المعاني لا يحيدون عنهـــا ، ودورانهم في حلقة هذه المعاني جعلنا نجد عندهم صورا مطابقة كل التطابق لصور جاء بها شعراء جاهليون •

من ذلك قول الشاعر البدوي :

روحيْ عزِيـزَهْ بـالفُضَـا
بالروع لاَ رْخصْ سومَـهَا

وهذا القول مطابق لقول بشامه بن حزن النهشلي[1] :

(١) ديوان الحماسة ج ١ •

انا لنرخص يوم الروع انفسنا

ولو نسام بها في الامن اغلينا

وقول ابن لعبون :

مع صحصح كنه قفا الترس مقلوب

يفرح به الجنى على فقده الذيب

وهذا القول مشابه لقول الاعشى[1] :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة

للجن بالليل في حافاتها زجل

ومشابه لقوله أيضا :

وفلاة كأنها ظهر ترس

ليس الا الرجيع فيها علاق[2]

وهذا شاعر آخر يقول :

مثلِ ألاَفاعي لينات المَلامِيسْ

وَالسُّمْ بانيابهنْ كامناتِ

وهو مطابق لقول عنتره :

ان الافاعي وان لانت ملامسها

عند التقلب في انيابها العطب

وهذا شاعر آخر هو النجيدي يقول في قصيدته المسماة (الشيخه) :

وقطعانا ما ترتعى دمنة الدار

ترعى صحاصيح الغلاة النضيفة

---

(١) ديوان الاعشى ، العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف .

(٢) ديوان الاعشى ، العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ـ ص ٣٥٤ .

وهو مشابه لقول ابي الغول الطهوي(١) :

ولا يرعون اكناف الهوينى
اذا حلوا ولا أرض الهدون

وقول سليمان بن عفالق :

واصَلْنَنِي يومِ انَّنِي كنتُ أمرد
وِاَقْفَنْ عني يومْ بالشيبْ لَزَّيت

مشابه الى حد ما لقول علقمه :

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس لـه من ودهـن نصيب

والاعجب ان يصف اثنان احدهما جاهلي والآخر بدوي معاصر جبل اليمامة فلا يجدان الا تشبيها واحدا وهي السيوف المصلتة ، فهذا راكان بن حثلين يقول في وصفها :

وِخْشُومِ طْـوِيقِ كَـنْ وَصْفها
صِقيل اَلسْيُوفِ اللّي تْجَدَدِ جِرْودْهَا(٢)

وهو نفس ما ذهب اليه عمرو بن كلثوم :

فاعرضت اليمامة واشمخرت
كاسياف بأيدي مصلتينا

---

(١) ديوان الحماسة ، جـ ١ ص ٢٢ • وأبو الغول الطهوي شاعر اموي معاصر لجرير الا انه رغم هذا ما زالت روح الجاهلية مسيطرة عليه فهو والحالة هذه ليس جاهليا زمانيا ولكنه جاهلي روحا •

(٢) خشوم : مفردها خشم وهو الانف والمراد هنا رعان الجبل ، طويق : اسم جبل اليمامة •

وهذا شاعر آخر يصف أرداف حبيبته فيشبهها بدعص من الرمل اصابه وابل خفيف من المطر فيقول :

الردف طعس يا على ما وطى به
غب المطر شمس العصير اشرقت به[1]

وهذا نفس ما ذهب اليه الشاعر الجاهلي حيث يقول :

وتحتهما حقفان ـ قد ضربتهما
قطار من الجوزاء ـ ملتبدان[2]

وهذا تركي بن حميد يقول :

عرج ولوهن كنهن القرانيس
على الطريح مصوبرات اكضومي[3]

وقوله هذا مشابه لقول عمر بن كلثوم :

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا[4]

وقول ابي ذؤيب الهذلي :

واذا المنية انشبت اظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع[5]

مشابه لقول عبدالرحيم راعي الشقرا :

الى جاحمام الموت ما ينفع الدوا
يموت الطبيب ولا يفيد دواه

---

(١) طعس : دعص الرمل .

(٢) المفضليات .

(٣) عرج : جمع عرجاء ، ومن عادة الخيل الاصيلة ان تتعارج اذا أخذ بشكيمتها . ولو هن : ولو انهن . كنهن القرانيس : كانهن الصقور . الطريح : القتيل . مصوبرات : واقفات . كضوم : كاضمات الاعنه .

(٤) المعلقات العشر .

(٥) شرح اشعار الهذليين ج ١ .

وهذا آخر يقول :

وَأنَا أدري بعلمِ اللّي مضى مارْ قَصْدِي
بالمقبلاتِ مِنْ ٱللّيالى يَوَرِيّ لي

وهو مشابه لقول زهير :

واعلم علـم اليوم والامس قبله
ولـكنني عن علم ما في غد عم

ولفتت نظري قصيدة للشاعر عبدالعزيز القاضي تطابق في اكثر آبياتها معان لابيات من معلقة امرىء القيس مما يجعلنا نرجح ان يكون هذا الشاعر قد اطلع على قصيدة امرىء القيس او سمع بها • فهو يقول :

متى يا بِهِيمِ ٱلليّلْ بالصُبحِ تِنْجلي
ولا الصبحْ بأَرْوَحْ مِنْكْ هَمٍّ ولا شافي

وهو مطابق لقول امرىء القيس :

الا ايها الليل الطويل الا انجلي
بصبح وما الاصباح عنك بأمثل

وقولـه :

لَـكَنَّ ٱلثريَّا هاديَ الركب وانثنى
على خَلْفِهِمْ وِٱلركب ضيعٍ لَهُ ارْداف[1]

تِعرْضْ لَهَا ٱلجوزا نِظيمْةْ لَكَنّه
وْشَاحْ يِكْشَحْ فَاصْلُهْ لُوْلُوِ صافي

---

(١) لـكن الثريا : لـكأن الثريا • لـكنه : لـكأنه •

مطابق لقول امرىء القيس :

اذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض اثناء الوشاح المفصل

فكلاهما شبه الثريا بوشاح مفصل ، والمفصل الذي جعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤه .

وقوله في نفس القصيدة :

فَقَبْلِكْ كَمْ صافيتْ بكرٍ ونيبْ
وحَايِلٍ وْحِبْلَى جابْهَا ٱلشوقْ ميلافٍ[1]
وْكَمْ ذاتْ طِفْلٍ جاضَعَتْني وْطِفِلْهَا
يبكي وهي تِعْطِيهْ من حِشْمِتِي قافي

فهو مطابق لقول امرىء القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتها عن ذي تمائم محول
اذا ما بكى من خلفها انصرفت له
. . . .

وهذا الذي ذكرناه قليل من كثير يضاف الى ذلك الذي لاحظناه في الفصل الخاص بالغزل والفصول الاخرى فهي صور جاهلية مكروره فكأنما هي معان جاهزة يأخذ منها الشاعر ما يريد الا انهم رغم ضيق هذه المعاني ، قد برعوا ـ كأجدادهم في اعادة هذه المعاني وصوغها صوغا جديدا . فما ذكره الدكتور شوقي ضيف[2] بهذا الخصوص واضح كل الوضوح في

(١) جابها : جاء بها ، جاضعتني : ضاجعتني .
(٢) العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ـ ص ٢٢٢ .

شعرنا البدوي المعاصر ، خذ مثلا الجيد فالتشبيه المصطلح عليه هو التشبيه بجيد الريم •

فهذا عبدالعزيز القاضي اكتفى بهذا التشبيه فقط فقال :

كَنَّ ٱلقنا قَدُّهْ الى اهْتَزْ وانْقَاد
جيدِ ٱلمَهَا جيدُهْ وَٱلنِهُود قعَّاد

اما عبدالله بن حمود بن سبيل فلم يكتفي بهذا التشبيه العادي • فاختار تشبيها لجيد حبيبته بجيد ريم كانت ترعى ، فأحست بخطر فرفعت جيدها الى الاعلى لتستطلع الامر ••• يقول :

وَٱلعنُقْ عنْقِ الريمْ ترعى بالاقفار
اَوحَتِ حْسَاسٍ وْرَزَّتْهْ بِجْفَلاَنِ[1]

وثالث رأى ان يشبهه بجيد الريم الهاربة من وجه الصياد حتى يعطى صورة دقيقة لجيد حبيبته ، ويبدو أن في جيد حبيبته انحناء وتلعا ـ فالمعروف ان الغزال في عدوه يرجع رأسه الى الوراء فيستطيل عنقه بانحناء خفيف • يقول الشاعر :

وَٱلجيدْ جِيدِ غْزَيِّلٍ طالعْ شبوح
شافِ ٱلقنُوصِ وْجَامَجِرْ ودينه[2]

ومن الملاحظ انهم في عرضهم لمعانيهم الحسية يشيعون فيها الحركة فلا يعرضونها جامدة ، وقد لاحظ ذلك الدكتور شوقي ضيف في الشعر الجاهلي حيث يقول : ومن ثم كانوا اذا وصفوا الحيوان وصفوه متحركا لا واقفا جامدا • ثم يقول : وعلى هذا النحو كانوا يصفون خيولهم وكانوا

(١) اوحت : احست • حساس : مفردها حس وهو الصوت عندهم •

(٢) شاف : رأى • القنوص والقانوص : الصياد • جا : جاء • ودينه : الودين عرق في الرقبة •

ينتقلون منها ومن وصف النوق الى وصف النعـــام وبقر الوحش ••• ويصورونها لنا وهي تجري في الصحراء[1] •

يقول العوني :

يا راكباً من فوقْ سَرّاقةٍ آلوطَا
هِميمٍ الى سارتْ ذِعَرْهَا ظِلْالها

فهذه الناقة لسرعتها كانها تسرق الارض وهي لا تقف فاذا سارت ذعرها ظلها فتستمر بالجريان •

وقوله أيضا :

راكبٍ فوقْ حُرٍ يذْعَرُهْ ظلُّه
مِثِلْ طيرٍ كُفَخْ من كفْ قَضّابُه[2]

فهذا الجمل قوي اصيل دائم الجريان يخاف من ظله لذا ينطلق بأقصى سرعته كأنه طائر أفلت من كف قابض عليه •

وقوله أيضا :

يا نديبي سِرْ على كُورْ قَطْعيَّه
حُرَّةٍ مِنْ ساسْ ذرواةْ مَفْروده
ما حَلا رُوْلَهَا بْدَوَّهْ خَلاوِيَّة
كَنَّهَا آلرَبْدَا عنِ الدُوحْ مَطْرودَه[3]

(١) العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف • ص ٢٢٣ •

(٢) كفخ : هرب ، افلت • قضاب : من قضب أي قبض • كما في قوله دحق : أي حدق وسجد أي جسد •

(٣) ساس : اساس ، إصل • رولها : جريانها • دوة : مؤنث دو (أي القفر) خلاوية : وحيدة منفردة في هذا الخلاء الموحش •

يقول مخاطبا رسوله سر على ناقه حره عريقة في اصلها • وما اجمل جريانها في القفـــار الموحشة كأنها نعامة تركت الدوح هاربة من وجـــه مطاردها •

ويعلل الدكتور شوقي ضيف هذه الملاحظة بقوله : وما من شك في أن هذه الحركة مشتقة من حياتهم التي لم تكن تعرف الثبات والاستقرار ، فهم دائما راحلون وزاء الغيث ومساقط الـكلأ[1] •

وننتقل الآن الى جانب آخر من جوانب هذا الاتفاق بين الشعرين • وهو القصيدة •

فالقصيدة البدوية ما زالت في بنائهـــا وخصائصها تحاكي القصيدة العربية القديمة وقد سجلنا ذلك في فصل سابق عند حديثنا عن القصيـــده البدوية وخصائصها ، واوردنا امثلة لذلك ، ولا تجد مبررا لاعادة ذكرهـا الآن •

والذي نريد أن نقوله هو أن هذا الشعر موضوع بحثنا ، متفق مع الشعر الجاهلي في كل النواحي ، فالاغراض واحدة ، والصور والتشبيهات واحدة ، والمعاني مشتركة ، فالشاعر البدوي اليوم يعيد ويكرر نفس المعاني التي دارت على ألسنة اسلافه • ومتفق معـه في الخصائص العامة المعنوية واللفظية فما يتصف به شعر الجاهلية يتصف به شعر البدو المعاصرين •• وهيكل القصيدة واحد سواء في البناء والافتتاحيات ام في اشتمال القصيدة على معاني متعددة مختلفة ينتقل فيها الشاعر من معنى الى معنى •••

وهذا الذي ذهبنا اليه من الاتفاق ، واضح كل الوضوح في الفصول السابقة وقد أكدناه بما ذكرناه في هذا الباب •

نخرج من كل هذا الى القول بأن هذا الشعر قد حافظ على سمات

---

(١) العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف • ص ٢٢٣ •

الشعر الجاهلي فهو امتداد له ، بل هو نفسه قد جاء بلهجة أخرى ، وقد توارثوه خلفا عن سلف ولا عجب اذا رأينا في شعرهم الآن أبياتا لشعراء جاهلين معروفين مثال ذلك :

قول ابن لعبون :

وَاَقْفَى مْصِيرٍ كَنْ جاكاتْ شالهِ

(جلمود صخر حطه السيل من عال)

وجاء هذا الشطر على لسان محسن الهزاني حيث يقول :

وِانْ زَرْفَلِ اَلمَسْبوقْ وآرْخُو الاَعِنَّه

والجيشْ هَرْبَدْ وآلرِمْكْ يِشعِفَنَّه

يِدوي على جانبٍ منَ آلخيلْ كَنَّه

(جلمود صخر حطه السيل من عال)

وقد رويت لي هذه الرباعية باختلاف في بعض ألفاظها ونسبت لي على انها للشاعرة (فدعه) في رثاء اخيها ، وقد رويت هكذا :

لو دَرْهَم اَلمَظْهُورْ وآرْخَوا الاَعِنَّه

اَلرَمْكْ زَرْفَلْ وآلرَبْعْ يِشعِفَنَّه

يدوي على جانبٍ منِ آلخَيلْ كَنَّه

(جلمود صخر حطه السيل من عال)

ولابن لعبون أيضا قوله :

يِنْشِدْني يُومِ آنْتَوَى آلكلْ بِرحِيلْ

(هل عند رسم دارس من معول)

وله أيضا موافقا لزهير :

(تبصر خليلي هل ترى من ضعاين)

تِقَازَنْ بِهِمْ فُوقَ آلشِفَا مْنِ حزْومْهَا

ويقول باذراع وهو من فرسان الضفير وأمرائها :

وْبَايـمَانَنا كَنَّ ٱلـسيوفِ ٱلمِصَاقيل

(ومضات برق لو شــعاع شموس)

وهذا الشطر من بيت للاشتر النخعي[1] وهو :

حمى الحديد عليهـــم فكـأنه

ومضات برق أو شعاع شموس

والبيت الذي ذكرناه :

مِـثْلِ ٱلاَفاعي لَـيِّنَاتِ ٱلملاميس

وَٱلسُـــمْ بأنيابهـــمْ كامنــاتِ

هو بيت عنتره مع بعض التحريف :

ان الافاعي وان لانت ملامسها

عند التقلب في انيابها العطب

وقول ابن الرشيد :

(ْلُـمَّنْ لفينا الجالْ من بطنِ حايل)

يومِ ٱلنـفُوسِ ٱلخُوفْ سَدَّ ابْوَابْهَا

مشابه لقول شاعر الحماسة[2] :

ولما اتينا السفح من بطن حائل

. . . .

الحقيقة ان ورود هذه الابيات في اشعار البدو يلفت النظر ويدعو الى العجب ، فهؤلاء البدو أميون لا يعرفون القراءة ولا الـكتابة الا ما ندر ،

---

(١) ديوان الحماسة : لابي تمام . شرح التبريزي .

(٢) ديوان الحماسة . ج ١ .

فكيف جاءت هذه الابيات على ألسنتهم ، سواء في ذلك ما جاء متفقا باللفظ والمعنى ام ما جاء متفقا بالمعنى دون اللفظ • رب قائل يقول وما الذي يمنع ان يكون هؤلاء الشعراء قـــد اطلعوا على اشعار الجاهليين ونقلـــوها الى أشعارهم •

ولقد تساءلنا نحن هذا التساؤل ، الا أن عدم معرفة هؤلاء الشعراء للقراءة ينفي هذا التساؤل ، يضاف الى ذلك ان هؤلاء البدو منعزلون في صحاريهم فمن أين لهم كتب الادب ليطلعوا عليها أو لتقرأ لهم ••

الواقع أن هذا التساؤل مرفوض لهذا السبب الذي ذكرناه ، الا أنه قد يصح بالنسبة لمن يعرف القراءة من هؤلاء الشعراء كابن لعبون • أما بقية الشعراء ، فلا مجال لاتهامهم بسرقة هذه المعاني والابيات •

وحتى لو سلمنا جدلا بأنهم سرقوها ، فمجرد قبـــول البدو لها ، واحتفائهم بها ، وعدم استغرابهم لها ، يعني انها تتلائم وما طبعوا عليـــه وما تعودوه من معاني وصور شعرية ، وانها ليست غريبة عن البيئة التي يعيشون بها وعن أساليبهم • اذ اننا نعتقد لو أن شاعرا شعبيا من شعراء المدينة أو الريف أخذ هذه الابيات وجاء بها في اشعاره لما قبلت منه ، لأنها غريبة في لغتها أولا وفي أساليبها ومعانيها ثانيا •

وتفسيرنا لهذه الظاهرة ، انها متأتية من وحدة الظروف البيئوية ، والشعر انما هو انعكاس لهذه البيئة وهذه المؤثرات ، ولما كانت هذه جميعها واحدة في الشعرين فلا عجب في انهما جاءا متشابهين في معانيهما واغراضهما وصورهما وأساليبهما وفي بناء القصيدة ••• الخ اضف الى ذلك ان بدو اليوم هم بدو الامس وعلى هذا فالشعر عند بدونا المعاصرين استمرار لشعر الجاهليين ، وهو بالتالي شعر الجاهليين جاء بلهجة أخرى •

وورود هذه الابيات الجاهلية في اشعارهم ليس لها الا تفسير واحد ، هو انهم استمروا في رواية هذه الاشعار ، الا أن تقادم الفترة الزمنية بينهم وبين قائليها الاوائل أدى الى نسيانهم لاسماء قائليها وعاشت على ألسنتهم كما

عاشت الحكم والامثال القديمة ، اذ انهم ما زالوا يرددون كثيرا من هذه الامثال والحكم •

وهم يعرفون حتى الآن بعض شعراء الجاهلية ، أمثال عنتره ، وعمرو ابن معد يكرب الزبيدي ، وحاتم الطائي ، والمهلهل ، وامرىء القيس ، وقد وردت هذه الاسماء في اشعارهم • وهذا دليل على أن الرواة ما زالوا حتى الآن يروون اشعار القدامى وايامهم الا أن بعد الشقة بينهم وفساد لغة البدو المعاصرين أدى الى تحريف هذه الاشعار ، وقد ذكرنا أمثلة لذلك عند الحديث عن حياتهم العقلية •

وتكرار المعاني في هذا الشعر وورود هذه الابيات الجاهلية فيه ليست حديثة فقد كانت هذه الظاهرة موجودة فيه منذ أيام الجاهلية فقول زهير :

ما أرانا نقــول الا معــادا

وقول عنتره :

هل غادر الشعراء من مستردم

ثم التوافق بين امرىء القيس في قوله :

وقوفا بها صحبى علّى مطيهم
يقولون لا تهلك أسا وتجمل

وبين طرفه في قوله :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسا وتجلد

وغير ذلك مما هو ملاحظ في شعر الجاهلية ، فما المانع ان تكون نفس الاسباب التي أدت لذلك في شعر الجاهلية ان تكون نفسها التي ادت لهذا في شعر البدو المعاصرين ، فتكون هذه الظاهرة استمرار لتلك لان هــذا الشعر كما قلنا سابقا استمرار لذلك •

البَابُ السَّابِع

نماذج من الشعر البدوي

قال محمد العبدالله القاضي(*) في وصف القهوة العربية وكيفية صنعها ومبلغ احتفائهم بها :

★ ★ ★

يا من لقلب كـــل ما التم الاشفاق
من عام الاول به دواكيك وخفوق(١)

كنه مـــع الدلال يجلـــب بالاسواق
وعامين عنـــد معزل الوسط ماسوق(٢)

يجاهد جنـــود في سواهيج الاطراق
ويكشف له اسرار كتمها بصندوق(٣)

(*) هو محمد العبدالله بن محمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن محمد ابن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن منيف بن بسام بن منيف بن عساكر ابن بسام بن عقبه بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن عقبه بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب ابن ربيعه بن أبي أسود بن مالك بن حنضله بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مر بن أد بن طابخه بن الياس ن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ـ شاعر مشهور وهو عندهم من ائمة الشعر ومالـكي ناصيته ۰ ابدع في جميع فنون الشعر ولد في موطنه عنيزه عام ١٢٢٤هـ وتوفى عام ١٢٨٥هـ ۰ (ديوان النبط ـ خالد بن محمد الفرج) ۰

(١) كل ما التم الاشفاق : كل ما اقبل الليل والتأم الشفق ۰ عام الاول : العام الذي مضى منذ سنة ۰ دواكيك : افكار وهواجس ۰ خفوق : خفقـان ۰

(٢) كنه : كأنه ۰ الدلال : السمار ، المنادى على البضائع ۰ يجلب : يعرض للبيع ۰ معزل الوسط : ضامر الوسط ۰ ماسوق : مرهون ۰

(٣) سواهيج : مفردها ساهوج وسوهاج أي الاغراق في التفكير ۰ الاطراق : من اطرق برأسه لامر ما ۰

الى عــن لى تذكار الاحباب واشتاق
بالى وطاف بخاطري طارى الشوق(١)

دنيت لــك من غالى البــن مالاق
بالـكف ناقيها عِــن العذف منسوق(٢)

احمس ثلاث يا نديمي عــلى ســاق
ريحه على جمر الغضى يفضح السوق(٣)

واياك والنيــــه وبالك والاحـــــراق
واصحا تصير بحمسة البن مطفوق(٤)

---

(١) الى : اذا • عن لى : بدا لى • بالي : خاطري • طاري : طارىء • فهو يشكو من قلبه الذي تطرقه الوساوس والافكار كلما اقبل الليل ورقد الناس فهو في خفقان دائم واضطراب لا ينقطع كأنه بضاعة بيد دلال يجوب فيه بالاسواق يعرضه على الشارين • عامان من الهم والنكد وعامان آخران كان رهينة عند الحبيبة ضامرة الوسط لا يفكه احد من هذا الاسر فهو يجاهد الهموم والافكار التي تزحف عليه بجنودها وتتكشف له أسرار لن يظهرها ابدا فقد اقفل عليها صندوق اسراره وطوى عليها مكنون نفسه وهو اذا عن له ذكرى حبيبته واشتاق خاطره اليها وهزه الشوق لجأ حينئذ الى ما ينسيه •

(٢) دنيت : قربت • غالى : ثمين • البن : حبوب القهوة • مالاق : ما راق وطاب وما كان لائقا • ناقيها : منقيها • العذف : الخلط الردىء • منسوق : منقى •

فيدني لنديمه من البن النضيف ما نقاه بيده وما غلا ثمنه وطاب مشربه

(٣) احمس : فعل امر من حمس : أي اقل • على ساق : متواليان • من البن الذي يليق بمنزله الاضياف •

ريحه : رائحته • الغضى : شجر ينبت في البادية وتكون ناره قوية يضرب بها المثــل • يفضح السوق : بمعنى تنتشــر رائحته والفضح : الذيوع والانتشار •

(٤) اياك : احذر • النية : النيئة • بالك : احذر • اصح : انتبه • تصير : تصبح او تكــون • بحمسة البن مطفوق : بقلى البن مرتعشــا مستعجلا •

الى اصفر لونه ثم بشت بالاعـــراق

وغدت كما الياقوت يطرى لها الموق(١)

وعطـــت بريح فاخـــر فاضح فـــاق

ريحه كما العنبر بالانفاس منشوق(٢)

دقـــه بنجـــر يسمعه كـــل مشتاق

راع الهوى يطرب الى طق باخفوق(٣)

والقـــم بدلة مـــولى كنهـــا ســـاق

مصـــبوبة مربوبة تقـــل غـــرنوق(٤)

---

(١) الى : اذا • بشت : نضجت • بالاعراق : جمـــع عرق وهـــو ما يتصبب من الانسان والحيوان لشدة الحر • وقد استعمله الشاعر هنا لما يندى من القهوة عند القلى • كما : كمثل ، كأن • يطرب : يفرح ويستر • الموق البصر •

(٢) عطت : تضوعت رائحتها • بريح : برائحة • فاخر : جيد • فاضح منتشر • فاق : تفوق على غيره • العنبر : نوع من العطر •

(٣) دقه : اسحقه • بنجر : الهاون (الهون) • راعى : صاحب • الى : اذا • طق : دق ، رن • بخفوق بانغام خاصة يقول ان هاذا هزه الشوق لجأ الى ما ينسيه فيدنى من غالى البن ونقيه ما يليق بنديمه ثم يوصى بقليها حتى تتضوع رائحتها وتذيع وتنتشر واياك ان تكون عجولا في قليها فتكون نيئة أو تزيد قليها حتى تحترق وانما عليك ان ترفعها اذا اصفر لونهـا وتعرقت وأصبحت كالياقوت الذي تطرب له الانظار وبدأ عطرها ينتشر ويذيع بحيث يتفوق على رائحة العنبر حينئذ اطحنها (بهاون) يطرب لسماعه المشتاق ويهتز العاشق من انغامه •

(٤) القم : ضعها • بدلة : اناء من الصفر توضع فيه القهوه • كنها : كأنها • مصبوبة : مسكوبة في قالب • مربوبة : مجلو صدأها • تقل : تقول والمراد التشبيه هنا : فقوله تقل غرنوق أي تقول انها غرنوق أي مشابهة له والغرنوق طائر مائي أبيض •

خلهـــا تفوح وراعى الـكيف يشتاق
الى طفح له جوهر صح له ذوق[1]
أصغـر قمـــوره كالزمرد بالاشـــعاق
واكبارها الطافح كمـــا صافى الموق[2]
زله على وضحا بهـــا خمســـة ارناق
هيـــل ومسمار بالاسباب مسحوق[3]
مـــع زعفران والشمطرى الى انساق
والعنبر الغالي على الطـــاق مطبوق[4]
فـــلى اجتمع هـــذا وهـــذا بتيفاق
صبه كفيت العوق عن كل مخلوق[5]

---

(١) خلها : خلها اتركها • راعي : صاحب • الى : اذا طفح طفا • جوهر : يقصد الفقاقيع • ذوق : مذاق •

(٢) قموره : فقاقيعه • الاشعاق : الاشعاع • الطـــافح : الطافى صافي الموق : العيون الجميلة الصافية الحوراء •

(٣) زله : زلها أي اسكبها • على : يقصد في • وضحا : كناية عن دلة القهوة البيضاء التي يقدم منها للضيوف •

ارناق : الوان ، اشكال ، اصناف • الهيل : حب الهال • مسمار قرنفل • الاسباب : الاصناف •

(٤) الشمطري : نبات ذو رائحة زكية • الى انساق : اذا جرى • الطاق : الـكامل • مطبوق : مضاعف •

(٥) فلى : فاذا : تيفاق : إتفاق ، اتفقت الاصناف • صبه : اسكبه كفيت العوق : دعاء بان يكفه الله ما يعيقه •

يقول : بعد ان يتم سحقها ضعها في دلة كانها ساق حسناء جميلة أو كأنها غرنوق يزهو بياضه ثم اتركها على النار تفوح منها برائحتها وحولها السمار يشتاقون اليها فاذا صبغ لونها وطفت فقاقيعها ما بين صغار كأنها الزمرد وكبار كانها حدق العيون الجميلة الحوراء فهذا يعني ان ذوقها قد صح وطاب طعمها فحولها حينئذ مصفاة رائقة الى مصفاتها الاخيرة حيث تجد امامها الافاوية العطرية والازهار المعطرة وقد ضوعفت كمياتها فاذا اجتمعت كل هذه الاشياء واتفقت فما عليك الا صبها وتقديمها للحاضرين •

بفنجـــال صينى زاهى عنـــد الارماق
يغضي بكرسيه كما اغضاى غرنوق[1]

الى انطلـــق من ثعبته تقـــل شبراق
او دم جوف امزع منـــه معلوق[2]

خمر الى منـــه تسلسل •• بالارياق
وعليه من ما صافى الورد مذلوق[3]

راعيـــه كنـــه شـــارب ريق ترياق
كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق[4]

يحتاج من خمر السكارى الى فـــاق
طفل تمـــز شفاه والعنـــق مفهوق[5]

عبث يميل بحبته مـــا بعـــد مـــاق
وهو يزاهى باهـــر البدر بشعوق[6]

---

(١) فنجال : فنجان قدح القهوة • صين : الصيني ، الخزف المصنوع في الصين ويكون عادة ثمين • زاهى : زاه الارماق : مفردها رمق وهي عندهم البصر • يغضي : يغضي طرفه • بكرسيه : صحنه • اغضاي : اغضاء •

(٢) الى : اذا • ثعبته : رقبة اناء القهوة « الدلة » • تقل : تقول • شبراق : مادة قانية الحمرة • جـــوف : قلب • امزع : انخلع • معلوق ما يتصل بالقلب كالـكبد والطحال والرئة •

(٣) الى منه : اذا هو • الارياق : جمع ريق • من ما : من ماء • مذلوق : مهراق •

(٤) راعيه : صاحبه • كنه : كأنه • ريق ترياق : صافي الخمر • ذوق : مذاق •

(٥) الى فاق : اذا افاق • طفل : غاده حسناء • تمز : ترتشف • شفاه : شفتيها • مفهوق : متلع •

(٦) عبث : مرح معابث • حبته : قبلته • ما بعد ماق : ما تكبر قط • يزاهى : يشابه • شعوق : شعاع •

بـــين اشفتيه الى غنـــج حـــق براق

عجل رفيفه بالطهــــا يعطى اطبوق[1]

ســـطر كتب من حبـــر عينيه بوراق

خـــديه صادين ونونين من فـــوق[2]

كن العرق باخدودها حمــــر الارناق

ينثر على الوجنـــات باللون مشعوق[3]

بالعنق كـــن المسك والخـــد براق

والمشخص بصدره كما الشاخ مدقوق[4]

يقول : اسكبها في فنجان من الصينى الزاهي في اعين الناظرين فكانه في صحنه إذ يطفو عليه الحباب طائر الفرنوق يفضى بعينيه وهي في انسكابها من فم الدله الى الفنجان كانها الشبراق في احمراره القاني أو كأنها دم القلب فهي كالخمرة في تسلسلها في ريق شاربيها سيما وقد اريق عليها من ماء الورد الصافي ما ازادها عطرا على عطر فكأن شاربها قد احتسى كاسات الطلى . انها الطرب والسرور لمن ذاقها وارتشف منها رشفة وهو لا يحتاج اذا افاق من سكرته الا الى غادة رائعة الحسن يرتشف من شفاهها وينهل من رضابها فهي على جمالها معابثة لعوب ذات حسن باهر يفوق البدر اشعاعا وجيد تلع كجيد الريم مرحه غير متكبرة ولا غليظة طبع تميل اليك بقبلتها فهي ذات ظرف ولطف .

(١) اشفتيه : شفتيه . الى غنج : اذا مزح ولعب . حق براق : برد . رفيفه : وميضه . الطها : المزن يغشى السحاب . طبوق : طبقات .

(٢) الحبر : المداد . صادين ونونين : حرفا الصاد وحرفا النون .

(٣) كن : كأن . العـــرق : ما يتصبب من الانسان . الارناق : اليواقيت وما شابهها . مشعوق : مضيء .

(٤) براق : بارق شديد اللمعان . المشخص : حليه من الذهب .

ويستمر شاعرنا في وصف هذه الحسناء فيقول : ان ثغرها اذا تبسمت أو تضاحكت انما يفتر عن برد كأنما نثرته مزنه ممطره يضحك البرق بين طياتها وعينان سوداوان فكأنما أخذ منهما مداد رسم به شعر صدغيها على

يمشي برفق خـــايف مدمج الســـاق
يفصم حجول ضامها الثقل من فوق[1]

الى حصل لك ســـاعة وانت مشتاق
اقطف زهر ما لاق والعمر ملحوق[2]

فيلا حضر ما قلت عنـــدي فالارزاق
بيـــد كريم كافل كـــل مخلوق[3]

وصـــلاة ربي عـــدما بارق حـــاق
على النبي الهاشمي خـــير مخلوق[4]

شكل صادين وحاجبين كأنهما حرفا النون •• وكأن العرق الذي يتصبب على وجنتيها ياقوت انتثر عليهما يتلاقى اشعاعه باشعاع هذين الخدين اما جيدها فكأنما يتضوع مسكا وخدها لامع بياضه وصفائه ، يتدلى على صدرها عقد حوى انواع الجواهر •

(١) خايف : خائف • مدمج الساق : ملمومة ، مكتنزة • حجول : جمع حجل ـ أي الخلخال ـ وهو حليه تلبسها المرأة في ساقها • ضامها : ضيق عليها •

(٢) الى : اذا • حصل : اتفق وتحقق • لاق : راق • ملحوق : مدروك ، مدرك •

(٣) فيلا : فاذا •

(٤) عد ما : عدد ما • حاق : لمع •

ذات مشية مترفقة هادئة كأنما تخشى ان ينفصم خلخالها وقد ضامهما وضيق عليهما اكتناز ساقيها وتترفق على قدميها المترفتين من ثقل ردفهـا فكأنما هي صاحبة شاعرنا الجاهلي الاعشى حيث يقول :

غـــراء فرعـــاء مصـقول عوارضهـا
تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل

كـــأن مشيتها مـــن بيـت جارتها
مـــر السحابة لا ريث ولا عجـــل

قصيدة لماجد الحثربي(*) :

وأخيرا يقول اذا حصل ومنحك الدهر ساعة فاهتبلها وعش كما يريد قلبك وتمتع بهذه الحياة فلابد ان يفنى العمر فما عليك الا ان تغتنم الفرصة وتقطف الزهرة المعطارة والثمرة الناضجة وانا اذا حصل لي ذلك فهذا منتهى ما اريد من الحياة اما رزقي فهو بيد من كفل جميع الخلائق ٠

ثم يختتم القصيدة بالصلاة على النبي (ص) ما اومض برق في السماء ٠

(*) ماجد الحثربي : فارس من فرسان قبيلة شمر وشعرائها المعروفين قيلت هذه القصيدة ما بين عام ١١٩٠ ـ ١٢٠٠هـ وهناك قصة تروى عن سبب هذه القصيدة نرويها بايجاز :

كانت أواصر الصداقة بين ماجد الحثربي وزميله مفوز التجفيف وطيدة الاساس وثيقة العرى الى أقصى حد ٠ وفي يوم من الايام اغار قوم على شمر (وهي قبيلة الصديقين) فركبا جواديهما لخوض المعركة وكان جواد ماجد اسرع من جواد مفوز لذا ادرك القوم قبله وخلص الابل منهم واستمر في مطاردتهم حتى تمكن من احد فرسانهم فأخذه إسيرا ومنعه (اي اعطاه عهدا بان لا يمسه احد بسوء) واعطاه شيئا من ملابسه الخاصة حتى يعلم قومه بانه اجاره فلا يؤذوه ٠ واستمر في مطاردته للغزاة وهنا لحق مفوز القوم ورأى هذا الشخص الذي اجاره ماجد فعرف فيه قاتل ابيه فاخذته سكرة الغضب وبدون ان يلاحظ العلامة التي يحملها من ماجد طعنة برمحه ثأرا لابيه وتركه ومضى في اثر القوم وقبل ان يلفظ هذا الرجل انفاسه قال لمن مر به ان قاتله هو مفوز ٠٠٠ فلما عاد ماجد وعلم بالموضوع استشاط غضبا وثارت ثائرته اذ كيف يقتل من استجار به وهذا عار ما بعده عار في عرف البادية وقد حاول مفوز ان يعتذر لصديقه بانه لم يكن على علم بقضية (المنعة) ولكن ماجد رفض حتى مقابلته وارسل اليه من يخبره بضرورة الرحيل عن مضارب القبيلة وان يحرص على ألا يبيت في قبيلة أو أرض يجتمع به فيها واعلمه بانه ان لم يمتثل لهذه الاوامر فلن يأمن على نفسه وقد امتثل مفوز للامر ورحل عن منازل القبيلة ٠ وبقي ماجد بين قومه حزينا كاسف البال ولا غرابة في ذلك فلقد فارق اعز اصدقائه والمصيبة الكبرى التي حلت به هي ان الامر ليس فراق صديقه فقط والا لهان الامر ولكنه قطع وجهه (أي

خفر ذمته . وذلك ان ماجدا اعطى ذلك الرجل عهدا بالامان فجاء مفوز وخفر ذمة ماجد) وهذا اكبر شيء يعاب عليه الرجل في البادية وتبقى وصمة عار حتى يغسلها بأخذ الثار من قاتل المستجير به واستمر ماجد على هذه الحال حتى هزل ونحل جسمه واخذ ينفرد بنفسه طيلة الوقت ولا يتصل باحد فاحتارت اسرته في امره واعتقدوا انه عاشق لاحدى الحسناوات ويمنعه خجله من البوح باسمها . وقد كان له ابن عم اسمه « عمرو » أرقه حال ماجد واعتقد بماجد ما اعتقد القوم به فأرسل اختا له جميلة وافهمها ان تحاول اغراء ماجد لعله يبوح باسم من يهوى أو بالسر الذي يخفيه فانحل جسمه ... فتجملت الصبية وقصدت ماجدا وهو في وحدته وبدأت تمازحه وتحاول اغراءه فغضب منها وعنفها وطردها شر طردة ... وقد استغرب تصرف الفتاة وهو يعلم عفتها وطهرها ورجاحة عقلها وادرك ان هناك دافعا دفعها لذلك ورجح عنده ان ابن عمه « عمرو » هو الذي دفعها لذلك معتقدا بانه عاشق ولهان وقد اصاب في تقديره وتأثر فكانت هذه القصيدة ..

ونهاية القصة هي التقاء ماجد بمفوز في مكان واحد والسبب الداعي لذلك ان اراضي شمال نجد اجدبت عدا موضع فسيح يسمى (فيضه الاديان) فاتفقت القبائل فيما بينها على النزول في هذا المربع واتفقوا على عقد صلح فيما بينهم وقعه رؤساء قبائل شمر وعنزه والضفير اتفقوا فيه على ان لا يقوم فرد من الافراد بعمل يخل بالامن واذا جرى ذلك فلا يحق لاحد ان يجير القائم به وانما يجب ان يقتص منه .. وتحت هذه الشروط رأى ماجد صاحبه مفوزا فلم يتمالك نفسه فضربه بسيفه ضربة بترت رجله وفر هاربا والتجأ الى بيت آل هذال شيوخ قبيلة عنزه فرفضوا اجارته تمسكا منهم بمعاهدة الصلح فالتجأ الى بيت دغيم بن سويط شيخ قبيلة الضفير فاحتار هذا في الامر فهو ان اجاره يكون قد اخل بالاتفاقية ونكث بالعهد وان رفض اجارته فمن العار على البدوي ان يرفض استجارة المستجير به ... ولما كان في حيرته هذه اطلت أمه وعنفته ان هو فكر بتسليم المستجير به فاجابها بانه لن يفعل ذلك حتى ولو قتل ولكن الامر شائك فما هو الحل فقالت له ان الامر بسيط فانا لم اكن في القبيلة ساعة وقعتم المواثيق فانا في حل من ذلك وعليه فانا اجيره وهكذا اجارته في بيتها ... الا ان الاطراف الاخرى رفضت ذلك واعتبرته تحديا فثارت الحرب فيما بينهم والغيت اتفاقية الصلح المعقودة بسبب هذه الحادثة .

يا عمـــرو يا المدلاة يا نازل الخوف
اوذيتني وانت تنشـــد من العـــام[١]

ياخو فهيـــد اللي بك الطيب موصوف
يا زبن مضهـــود لجاليك منضـــام[٢]

لوزينوا لي هـــافي الخصـــر بشنوف
ما ابغيه لو انه على النفس عزام[٣]

والله لو انـــه يؤمن مـــن الخـــوف
في ســـهلة ما فيها كفر ولا اســـلام

---

(١) يا عمرو ••• يخاطب ابن عمه • المدلاة : الشجاع المغوار • يا نازل الخوف •• يا من ينزل الاماكن المخيفة • اوذيتني : آذيتني • تنشد : تسأل •

معنى البيت : يا عمرو يا ايهـــا الرجل المغوار الذي ينزل الاماكن المخيفة دون وجل من أحد أو خوف من عدو يتربص بك •• لقد آذيتني بالحاحك علي وكثرة السؤال منذ عام مضى عن أسباب تدهور صحتي •

(٢) اللى : الذي • زبن : مأوى • مضهود : مضطهد • لجا : لجأ أو التجأ •

معنى البيت : يكرر المدح لصاحبه عمرو فيكنيه بـ (اخي فهيد) الذي جمع الصفات الحسنة جميعها (والطيب معنى شامل يراد به جميع السجايا الحميدة) ••• ويا ايها البطـــل الذي تأوى وتجير الرجال المستجيرين بحماك •

(٣) الشنوف : قصب تزين به العباءة • ما ابغيه : لا اريده ، لا ابتغيـــه •

معنى البيت : يشير الشاعر هنا الى الفتاة التي بعثها (عمرو) فيقول انكم حتى ولو زينتم هذه الفتاة الناعمة الخصر بجميع الثياب فاني لا اريدها حتى ولو انها رمت نفسها علي وراودتني ومهما بلغ الجمال فانها لا تستطيع ان تصرف همتي عن مغزاها الاسمي •

وماكل ولو زينوا لي الزاد بالحـــوف
لو به فقـــار وسيّح الرز بايدام(١)

لو حنطة البلقا وتمرة اهـــل الجوف
ما تقبله نفس عليهـــا الطنـــا زام(٢)

ما تشوف حالى كنها حال ابو العوف
او حال محجوب عن الزاد صوام(٣)

شفى مفـــوز نقـــوة الغوش منقـــوف
خيالهـــن من بين عثعثٍ ورضـــام(٤)

---

(١) وما كل : لن أأكل • الزاد : الطعام • الحوف : العناية • الفقار : السنام • الايدام : يقصد السمن •

معنى البيت : يقول بانه ليست لديه الرغبة في الاكل مهما كان هذا الاكل حسنا معتنى به عناية كاملة •

(٢) البلقا : البلقاء وهي بقعة من بقاع الاردن المشهورة بحنطتها • الطنا : الشمم • زام : زاد وتجاوز حده •

معنى البيت : انه حتى ولو زيد على هذا الطعام خبزا مصنوعا من حنطة البلقاء وتمرا من نخيل الجوف (والجوف مشهورة بجودة التمر وهي بلاد قديمة مجاورة لدومة الجندل المعروفة) لا يمكن ان تقبله نفسه الابية ، فهو يقول (ما تقبله نفس عليها الطنا زام) فنفسه بلغت من الهم والعار الذي لحق به الشيء الذي تجاوزت به الحد حتى انها أصبحت ترى هذه المآكل الشهية اللذيذة امر من الحنظل على نفسه الابية •

(٣) ما تشوف : اما ترى • ابو العوف : دويبه اكبر من النملة • حالى : نفسي أو جسمي •

معنى البيت : يقول اما ترى جسمي قد نحل وأصبح كأبي العوف في رقة الحال ونحول الجسم (أو حال محجوب عن الزاد حوام) بقصد ان جسمه وصل في الهزال ما لا يصل اليـــه الا الرجل العليل الذي اصيب بمرض مزمن فمنعه الطبيب عن الاكل وحجب عنه جميع الاطعمة •

(٤) شفى : قصدى ، مرادي • نقوه : صفوه • الغوش : الفتية ، الصبيان منقوف : ابي النفس •

معنى البيت : يعلن الشاعر هنا صراحة السر الذي جعله ينحل ويعاف

اقلط عليـــه والنزل طـــوف وراطوف

اقلط عليـــــه بربعة البيت قـــدام[1]

ثم اضـــــربه بســـلة تلهب الجـــوف

ما زينت عنـــد الصنانيع بلحـــام[2]

اما عليـــه البيض يصـــفقن بكفـــوف

وان عاش ما يمشي على كل الاقدام[3]

لذيذ الطعام فيخبرنا ان هذا كله من عمل مفوز الذي جلب لي العار فغاية ما تتمناه نفسي هو القضاء عليه ولا ينسى ان يثني على مفوز هذا فيصفه بانه صفوة الفتيان والمقدام الذي لا تلين له قناة وهو الفارس المشهور الذي تعرفه الخيل وسوح المعارك •• فهو يثني على مفوز ويشيد بما يعتقد انه موجود فيه من السجايا الحميدة وهذا من شيمهم فلا يمكن ان ينكر البدوي ما لخصمه من الفضائل والمزايا مهما بلغت العداوة بينهما •

(١) اقلط : اقدم • النزل : البيوت • طوف وراطوف : صف وراء صف •

معنى البيت : يوضح الشاعر هنا قوة ارادته التنفيذية من انه سوف يقدم على خصمه مفوز حتى ولو كان بيته محاطا ببيوت كثيرة فهذا لن يمنعني من الاقدام عليه وضربه في بيته •

(٢) السله : نصل الخنجر • الصنانيع : الصناع ، الحدادون •

معنى البيت : يقول وسأضربه بسيفي أو خنجري ضربة تلهب النار في احشائه وتخرق امعاءه فسيفي مصقول وصارم وهـــو ليس بحاجة الى الحداد ليصقله •

(٣) البيض : النسوه •

معنى البيت : ان ضربته هذه ستكون القاضية فاما ان يقتله ويترك نساء القبيلة ينحن عليه (وذلك ان النساء في البادية يندبن وينحن عـــلى الشجاع اذا قتل) واما ان يقطع بها ساقية فلا يستطيع بعدها ان يمشي على قدميه •

اللى كساني الثوب الاسود وانا شوف
خله يقــع في سهر عيني وانا نام[1]

من عقــب مانى قنب حطنى صــوف
خــلاني للحضــر المقيمين فحــام[2]

-٣-

قصيدة للشاعر مجيدع الربوض(*) :

---

(١) وانا شوف : وانا ارى • خله : دعه •
معنى البيت : فهو الذي ســود وجهي وكساني ثوب العار وجعلني اسهر الليل من الهم والحزن ومع ذلك فهو مرتاح البال ينام مطمئنا لا يشغل باله شيء •• وسأتركه بعد ضربتي تلك يسهر من الهم والغبن كما كنت ساهرا حزينا بسبب فعلته وسيطيب لي بعد ذلك النوم •

(٢) من عقب : من بعد • مانى : ما انا • القنب : الحبل الابيض • حطنى : صيرني • خلاني : تركني ، جعلني •
معنى البيت : يقول ان (مفوزا) اراد بعمله هذا ان يغير مجرى حياتي فجعلني اسودا بعد ما كنت ابيضا ويعبر عن ذلك بطريق التمثيل فالقنب ناصع البياض والصوف اسود ويريد بذلك ان مفوزا نال من شرفه وصيره اسودا بعدما كان ناصعا غير ملوث ثم يقول (خلاني للحضر المقيـ ين فحام) أي جعلني بمثابة الرجل الذي يبيع الفحم لاهالي المدن • والمعروف عن البدو انهم يحتقرون الرجل الذي يبيع الفحم •

(*) مجيدع الربوض : شاعر من شــعراء قبيلة شمر وهــو من « الشلقان » وهؤلاء فخذ من قبيلة شمر المعروفة • قال هذه القصيدة على اثر معركة خاضها مع رفاق له عام ١٣٠٧هـ وكانوا ثمانية أفراد توجهوا من مضارب قبيلتهم في شمال نجد قاصدين غزو قبيلة الحويطات في بوادي الاردن ••• وقد تمكنوا من اخذ ابل الحويطات وساقوها عائدين منتصرين الا ان فرحتهم لم تستمر اذ ادركتهم خيول الحويطات وحدقت بهم من كل جانب فماذا يفعلون ؟ أيستسلمون من غير صدام ؟ لا •• فليس هذا من شيم ابطالهم فلابد اذن من ان يلجؤا الى طريقة أخرى تحفظ لهم كرامتهم

(١) البارحة عن لذة النوم سهار
بأيمن (صرغ) لاجاه وبل الشخاتير

وهي (الممانعة) وهي في عرفهم ان يقاوم المرء حتى يأخذ لنفسه عهدا من عدوه وهذه الممانعة تختلف باختلاف قوة الفريقين فاذا كان المدافعون يشعرون بالقوة فهم لا يقبلون ابدا اما اذا شعروا بضعف فهم يقبلون به والمنع ثلاثة أنواع ٠ النوع الاول وهو ان يكتفي بتجريدهم من سلاحهم واطلاقهم ٠ والثاني : ان يجردوا من سلاحهم ورواحلهم ومتاعهم والثالث ان يستسلموا للعدو بدون قيد أو شرط وتسمى هذه في عرفهم « الممانعة » على الحسنى » و « السابه » أي ان لخصمهم مطلق الحرية فان شاء عفى عنهم واطلقهم واحسن اليهم وان شاء قتلهم ٠ وقد حصل الغزاة على ممانعة من النوع الثاني أي الخلاص بارواحهم فقط وجرى الاتفاق بعد ضرب وطعن سقط فيه البعض من القتلى والجرحى ٠٠ وكان شاعرنا احد الجرحى وجرحه خطير وفي فخذه مما يستحيل عليه والحالة هذه ان يسير على قدميه ٠٠ وقد حار رفاقه فيه فليس عندهم دابة يحملونه عليها وليس من المروءة ان يتركوا رفيقهم يموت وحيدا ٠٠٠ فكروا في حل هذه المعضلة ولكن الشاعر الجريح سارع اليهم بحلها ٠٠٠ فقد كان شديد البأس راسخ العزيمة اشفق على رفاقه ان يترددوا من اجله فيهلكوا جميعا من الجوع والظمأ في هذه الارض المقفرة والحر اللاهب فعزاهم في نفسه واقنعهم بانه رجل مفارق الحياة وانه ميت لا محالة وأكد لهم انه حتى لو كان عند اهله لما طمع بالحياة لان جرحه خطير جدا واشار الى جرحه الذي ما زال ينزف والح عليهم ان يذهبوا ويغادروه واستودعهم الله فذهبوا من عنده كارهين ولكن لا حيلة لهم في الامر ٠٠ وقبل ان يغيب عن ابصارهم رأوا الطيور الجارحة المعتادة على اكل لحوم القتلى في المعارك تقترب من صاحبهم فعادوا مسرعين اليه واصروا على عدم تركه رغم محاولاته المتعددة وقرروا ان يحملوه على اكتافهم فأما ان يموتوا جميعا او يعيشوا جميعا ٠٠٠ وهكذا كان وساروا به (١٥ يوم) حتى وصلوا مضارب قبيلتهم ٠ فقال شاعرنا هذه القصيدة معبرا عن واقعه وواقع رفاقه ابلغ تعبير ٠

(١) البارحة عن لذة النوم سهار
بايمن صرغ لا جاه وبل الشخاتير

يقول الشاعر انه في الليلة الماضية ما تلذذ بالنوم من شدة البؤس والآلام التي يعانيها من تأثير الجرح ٠

(٢) لحقوا اهل البل فوق عدلات الازوار
قب تفاهق روسهن كالخنازير
(٣) ربع بغونا طمعة قبل الاشوار
لكن جبرناهم على المنع تجبير
(٤) قبل امس وانا للمناعير سبار
واليوم يامشكاى للرجل ما دير

اما قوله « بايمن صرغ ـ (صرغ) هو موضع أصبح محطة للسكة الحديد الحجازية السورية الواقعة بين طريق الاردن والحجاز ـ والشاعر يوضح ان المعركة وقعت بينه وبين اعدائه في موضع يكون على يمين صرغ ٠

اما قوله « لا جاه وبل الشخاتير » فهو يسأل الله الا ينزل على هذا الموضوع قطرة من الغيث ، ذلك انه يراه موضعا مشؤوما لانه نكب فيه بهذه النكبة ، والبدوي ، يرى ان الارض التي لا ينزل عليها المطر قد حرمت ابلغ الحرمان ، فهي وسكانها اشقى خلق الله ٠

(٢) لحقوا اهل البل فوق عدلات الازوار
قب تفاهق روسهن كالخنازير

يصور لنا الشاعر وضع اصحاب الابل عندما ادركوهم ، فيقول : انهم طوقوه هو واصحابه وما استطاعوا النجاة منهم ، وذلك لانهم كانوا راكبين على جياد سريعة الجرى ٠

اما قوله « كالخنازير » فهو يصف خيل اعدائه بانها سمان كالخنازير والشعراء الشعبيون كثيرا ما يصفون الخيل بالخنازير وذلك لصحتها وكثرة شحمها ٠

(٣) ربع بغونا طمعة قبل الاشوار
لكن جبرناهم على المنع تجبير

يقول : ان اعدائنا عندما رأوا قلتنا وكثرتهم طمعوا بنا طمعا جعلهم يظنون انهم سينتصرون علينا بدون قيد ولا شرط ، ولكنه يقول : اننا قاتلنا قتال المستميت حتى اوقفناهم عند حدهم واخذنا منهم عهدا على دمائنا ٠

(٤) قبل امس وانا للمناعير سبار
واليوم يا مشكاى للرجل مادير

يصف الشاعر وضعه الراهن ويأسف لحالته الواقعية فيقول : كيف كنت بالامس الشاب السليم القوى ، والوحيد الذي يختاره رفاقه ليسير

(٥) قلت ارشدوا حقي من الاخرة صار

مع السـلامة يا حمـاة المظـاهير

(٦) قالوا نشيلك فوق الامتان بحصـار

ذرب كـلامك لا تقول المصاخـير

غور العدو ، والآن تجدني عاجزا عن تحريك رجلي ، مشيرا الى الجـرح الذي ألم بـه :

(٥) قلت ارشـدوا حقي من الاخرة صار

مع السـلامة يا حمـاة المظاهـر

يفيدنا الشاعر انه حينما رأى نفسه بهذه الحالة السيئة الخطـرة ، عند ذلك اعتبر نفسه ميتا لا محالة ، لهذا قال لرفاقه : اسـلكوا سـبيل الرشاد وانجوا بانفسكم اذ انى سافارق الدنيا وسانتقل الى المقر الاخـير بعد فترة قصيرة من الزمان ، اما قوله « مع السلامة ياحماة المظاهير » فمعناه: استودعكم الله ايها الابطال الصناديد يا حماة الوطن والمحارم ٠

(٦) قالوا نشيلك فوق الامتان بحصـار

ذرب كـلامك لا تقـول المصاخـير

يفيدنا الجريح في هذا البيت انه عندما قال لرفاقـه اذهبوا لتنجوا بانفسكم واتركوني كان الجواب منهم ان قالوا : لن نتركك قطعيا ، بـل سنحملك على اكتافنا ٠ « الحصار » مفردها « حصرة » وهو نوع يجعلـه اهل البادية وقاية لينة يجلس عليها الراكب على الراحلة حتى لا يشـعر بالتعب والشاعر يزيدنا وضوحا بان رفاقه قالوا له سنجعل لك وقايـة لينة على اظهرنا لنحملك عليها ، كما انه يزيدنا توضيحا بان رفاقه عندمـا قال لهم اتركوني واذهبوا اجابوه بعنف ولهجة شديدة قائلين له : « ذرب كلامك » اي اسحب كلامك هذا الذي اسأت به التعبير علينا كما اسأت به الظن بنا ، فانت لا ترى فينا معنى الرجولة والجلد ، واما قوله « لا تقول المصاخير » اي لا تزدرينا ولا تنظر الينا نظرة الاحتقار والتهكم والازدراء ، وهذا هو معنى « التمصخر » او « المصخرة » ٠

(٧) خمسة عشر ليلة وانا ثقل بحصـــار
متمركي تحتي ظهـــور المناعــــــير

(٨) اثنين لي حضاي واتنـين حضـــار
غدولي اجواز تقل حطحطه ظــــير

(٩) والى اوجسوا اني من الشيل فتــار
قاموا يقصرون الخطا لي تقصــــير

---

(٧) خمسة عشر ليلة وانا ثقل بحصـــار
متمــركي تحتى اظهـــور المناعــــير

وفي هذا البيت يعطينا شاعرنا فكرة حقيقية تاريخية عن مدة الايــام التي قضاها وهو محمول على اظهر قومه ، وهي كما ذكرها ، (خمسة عشر ليلة) بايامها ، اما قوله « المناعــير » فمعناها الشباب الصناديد ومفردهــا « منعور » ومنعار ٠

(٨) اثنين لي حضــاي واثنــين حضـــار
غدو لي اجواز تقل حطحطة ظــــير

يصف كيف كان رفاقه يعتنون ويرأفون به ، ثم يشرح عنايتهم به بوضوح ودقة قائلا : زيادة على تبادلهم لحملهم لي على اكتافهم فانهم ايضــا يتبادلون تمريضي ومؤانستي ، ويؤكد لنا ان منهم اثنين مه تها تمريضــة والعناية به ، واثنين مهمتهما مؤانسته وقوله « تقل حطحطة ظير « يعني : ان عناية رفاقه ورحمتهم به وعطفهم وشفقتهم عليه هي اشبه ما تكـــون بعطف وحنان وشفقة الناقة على ابنها الصغير ٠

(٩) والى اوجســـوا اني من الشـــيل فتار
قاموا يقصرون الخطـــا لي تقصـــير

يصف الشاعر دقة عناية رفاقه به فيقول : انهم اذا احسوا اني متأثر او شبه لهم اني متألم من الجرح « قاموا يقصرون الخطا لي تقصير » اي انهم يمشون الهوينا به لكي لا يشعر جريحهم بأي ألم ٠

(١٠) حفايا بالقيـظ جهـال واصغـار
هو كيف لو عقيلهم لي حواضـير

(١١) عجبت لـدم وجيههم كيف ما غـار
كأنهم بـداة للمصنـع مسـايير

---

(١٠) حفايا بالقيط جهـال واصغـار
هو كيف لو عقيلهـم لي حواضـير

يزيدنا علما بان الزمان كان وقت صيف ، كما انه يصف حالة رفاقه الراهنة بانهم كانوا حفاة يطأون الرمضاء باقدامهم العارية من الوقاية ، من غير مبالاة وبدون اكتراث •

اما قوله « جهال واصغار » ـ « فجهال » هنا بمعنى شباب ـ حديثي السن ، ومعنى البيت : انه يتعجب مما يراه من هؤلاء الفتية من الصبر والجلد واحتمال المكارة ، ثم يوضح في المصراع الثاني ، كيف (لو عقيلهم لي حواضير) ، قائلا : ما دام هذا فعل الفتيان من قومي الذين لم يمارسوا الشدائد ولم يجربوا الامور ، فكيف اذن لو حضر عندي كهول قومي الذين مارسوا الحياة وبلغوا اشدهم •

(١١) عجبت لدم وجيههم كيف ما غـار
كأنهـم بداة للمصنع مسـايير

يعطينا بطل القصة مثالا حيا عن شدة جلد رفاقه ، فيقول :

ليس محل العجب في هؤلاء الفتية تحملهم لهذه الشدة وصبرهم على هذه المتاعب فحسب ، فهذا عنده ليس فقط محل الاعجاب ، ولكن يؤكد لنا ان الذي جعل اعجابه يتضاعف برفاقه ويزداد هو ما يبدو له من بشاشه وجوههم ، فيؤكد انها ليست هي بشاشة مصطنعة ، ولم يكن بها من التكلف ادنى شيء ، ثم يبرهن على ان عنايتهم هذه لا كلفة بها فيقول : اعجب ما في الامر انهم رغم هذه المتاعب والمشاق لم ار على وجوههم ملامح الكلفة والعناء ، بل ارى وجوههم تشع سرورا وطربا وحبورا وذلك ـ كما يزعم ـ انهم يرون عملهم هذا فيه راحة لضمائرهم وغذاء لنفوسهم • ورضاء لوجدانهم ، الا تراه يقول : كأنهم بداة للمصنع مسايير ، أي كأنهم سائرون الى « الملهى » الذي يكون موضعا لمرح الشباب ، ومسرحا لانسهم وطربهم ، والمصنع هذا اشبه ما يكون بالمسرح ، غير ان « المصنع » بريء من الخلاعة التي تحدث في ملاهي المدينة ، وغاية ما يكون في « المصنع » هو ان يحضره لفيف من فتيان

(١٢) معهم هديب الشام حمال الاقطـــار
زود على حمله نقل حمل ماديـــــر

(١٣) تراه الى جــاد اول العش ما بـــــار
لازم ان التالي يجي لـــه نوابــــير

الحي وفتياتهم كما يحضره نفر من كهول الطرفين ، ومن ثم يأتي شاعــر من هؤلاء الفتيان وينشد ابياتا شعريه ، والفتيــان الحاضرون يصفقــون ويرقصون رقصة قومية على نغمات قصيدة الشاعر ، ويكون في وســط حلقة هذا المسرح فتاة تسمى « الحاشي » هي مدار الحركة وهي التي تمثل دور المطرب بحيث انها ترقص على نغمات اناشيد الفتيان وتصفيقهم ، واذا انتهى دور هذه الفتاة جاءت بعدها فتاة اخرى تمثل نفس الــدور ، ولا يكون هذا « المصنع » الا في المناسبات الضرورية التي جرت العادة باعتبارها كالاعياد والافراح وما شابه ذلك ، وبالنظر لما لهذا (المصنع) من مكانـة مرموقة في نفوس شباب البادية ، حيث يجدون فيه ما تصبوا اليه نفوسهم من ابتهاج وسرور ، عندما يتجهون نحوه ووجوههم تشـــع بالبشاشـــة والسرور ، ولكنهم بهذه الحالة مسرورون سرور الفتيـــة الذاهبين الى ـ « المصنع » وهو بهذا المعنى يزيدنا تأكيدا بان نفوس هؤلاء الشباب تسـمو بفعل المرؤة وتحيا وتنمو كما تحيا وتنمو الشجرة بالماء ، وهذا ما ذهب اليه المتنبي حين قال :

تطيب له المــرؤة وهي تـــؤذي
ومن يعشـــق يطيب لـه الغـــرام

(١٢) معهم هديب الشــام حمال الاقطـار
زود على حملـه نقـل حمل ماديـــر

يمدح الشاعر احد رفاقه فيقول : ان قوته وصبره شبيهان بقـوة وصبر الجمل الذي كان يحمل المحمل الشامي بعهده ، ويوضح لنا بـــأن « رفيقي » هذا كان يحمله على كتفه بصورة خاصة كانت زائدة ومضاعفـة عن حمولة رفاقــه له •

(١٣) تراه الى جاد اول العـــش ما بــار
لازم ان التالـــي يجي له نوابـــير

يؤكد لنا الشاعر ان هؤلاء الفتيان ، اي رفاقه كل منهـــم من بيت عريق في مجده وحسبه ، واصيل في نسبه ، وعليه فليس بالغريب منهـــم فعل الجميل ، طالما انهم عريقون في انسابهم •

(١٤) حمدت ربي زينه وال الاقـــدار
زفن من الجمــة على ملفط البـــير

– ٤ –

الخلـــوج (*)

للشاعر العوني قال[١] :

---

(١٤) حمـدت ربي زينــه وال الاقـــدار
زفـــن من الجمــة على ملفظ البـــير

يحمد الشاعر الله الذي انقذه من العطب بعد ما كان يائسا مــن حياته ، ويقول ان الامر ليس الا قدرة الهية انتشلته من الهلاك ٠

(*) الخلوج تعني الناقة التي فقدت صغيرها ٠ وهذه القصيدة أشهر أشعار محمد العوني ، وقل أن تجد في نجد أحدا لا يحفظها أو يحفظ منهـا شيئا وذلك أن السليم أمراء عنيزة ، وآل أبا الخيل أمرأء بريدة ، كانـوا جالين من حكم ابن رشيد ولاجئين الى الكويت بعد وقعة الصريف المشـهورة والعوني معهم وكان ينقصهم المال والرجال لاسترداد اوطانهم ، وفي دمشق الشام كثير من اهل القصيم المعروفين (بعقيل) فاقترحـوا على العوني أن ينظم قصيدة يستثير بها هممهم ويستنجدهم لانقاذ الوطن ، وبالفعل لمـا قرئت عليهم بكوا وصفوا تجاراتهم ، وتجهزوا على حسابهم الخاص ، وحاربوا الى أن تم لهم استرجاع القصيم سنة ١٣٢١ هـ ، والخلـوج الناقة التــي فقدت ولدها فهي لا تهدأ من الحنين استوحى موضوعــة من حنين ناقـــة خلوج سمعها وهو في قصر الشيخ مبارك الصباح بالسره في الكويت ٠

(١) هو محمد بن عبدالله العوني ، شـــاعر الحـــرب ، والسياسة اللسن المهيج المتقلب ، ولد في بريدة ، ولم يكن من ذوي البيوت ، ولكنه نبغ بالشعر والشعر السياسي على الاخص ، فطار صيته ، وسارت بأشــعاره الركبان ، فهو شاعر عصـــره وابن بيئته لانــه نشأ في ظروف الحــروب والتطاحن والفتن والانقلابات ، نشأ في عهد احتراب أبناء الامام فيصل فيما بينهم حتى أضاعوا ملك آل سعود ، وكان محمد ابن رشيد قد اهتبل هذه الفرصة للاستيلاء على نجد كلها ٠ وبريدة عاصمة القصيم ، والقصيم هــو

خلـــوج تجـذ القلب بتلا عوالهـــا
تكسّـر بعبرات تحطـم سلالهـا

تهيض مفجوع الضمـير بحسّـها[1]
الى طوّحت حسّـه تزايد هجالها[2]

له قلت انا يا ناق كـفّى عن البكـــا
لا تبحثين النفّـس عما جـرى لهــا

محور الدائرة لتلك الحروب ، ففيه وقعة المليدا الفاصلة التي أزالت حكـم آل سعود وفيه وقعة البكيرية الفاصلة التي اعادت حكم آل سعود ومهـدت للقضاء على حكم الرشيد ، وتخلل هاتين الموقعتين مئات من الوقائع والحروب والتقلبات ، كلها شهدها العوني وشارك في كثير منها بشعره الذي له وقع السيف وكان الشعر في تلك الظروف يمثل دور الصحافة ، ويمتلك عنـان الدعاية ، فيهتم له الامراء المتحاربون ، فنرى الملك عبدالعزيز قد عرف قيمة شعر العوني فغمره بعطاياه ، لكن العوني لا يستقر في ولائه لأحد ، وقـد حصر عواطفه كلها في محمد العبدالله ابي الخيل ، فقد كان أول أمره صديقا لعبدالعزيز بن عبدالله المهنا أبي الخيل الى أن قتل في وقعـة المليـدا سنة ١٣٠٨ هـ فجلا العوني مع من جلا من أهل القصيم الى الكويت بعد أن استولى ابن رشيد على بريده وقبض على حسن المهنا وأولاده وكافة عائلـة آل أبا الخيل ومنهم محمد العبدالله أخو عبدالعزيز العبدالله صديق العوني، وفي سنة ١٣١٧ هـ قدم محمد العبدالله وآل أبي الخيل الى الكويت هاربين من سجن ابن رشيد فاتخذه صاحبا له بـدلا من أخيـه عبدالعزيز • =
= ولما رجع الامر الى الامـام عبدالعزيز بن السعود ، أمر صـالح الحسن على بريدة ، فاستوحش محمد العبدالله وذهب الى الكويت وبصحبته العوني، ولما استأمن ثانية وعاد بقي العوني مترددا بين سعدون وابن الرشيد ، وبعد سعدون وابنه اعجيمي بقي عند الرشيد الى أن فتحت حايل ، فاستأمن من الامام عبدالعزيز وأتى الى الرياض ، ولكنه لم يكف عن اثارة الفتن وتدبير المؤامرات السياسية فقبض عليه وزج به في السجن في الاحساء ثم عفى عنه وأخرج من السجن ولكنه لم يعش طويلا فتوفى في سنة ١٣٤٢ هـ •

(١) تهيض : تذكره حبيبه ، مفجوع الضمـير : مفجـوع القلب ، حسها : صوتها •

(٢) الى طوحت : الى نهضت بالحنين • اهجالها : تجولها •

لا تفجعين البـال بالله هـتّودى[3]
ولـّي خلـوج خبّت البين بالهـا
تبكـين فرقـا بكرة شـدّة العرب[4]
ضاعت يمين البـوش والا شمالهـا[5]
تجيـك يا ناق الخطـا أو تجينهـا
وان كان ضاعت لك بديل بدالهـا[6]

لكن أنا اليـوم ما تنعـد مصـاوبي
ولا علـّتي تبرا ولا ينشـكى لهـا
فلو البكا يا نـاق عـنّي يحلهـا
بكيـت بيـض أيامهـا مـع ليالهـا

ولو البكا يا ناق يرجـع لغايـب
بكيت لـين العـين ييبس ثمالها[7]

وابكي على الاثنين ما ذعـذع الهـوا
مدى الدهر لين النفس تلحق زوالها[8]

وابكي على ما صـاب نفسي وما جرى
وابكي على فتخان الايدي زلالهـا[9]

---

(٣) هودى : اسكنى من الحنين • ولي خلوج خبث البين : ابعـدي ايتها الخلوج التي خبلها الحنين والبعد •

(٤) بكرة : البكرة الصغيرة من الابل •

(٥) البوش : مجموع الابل أو الماشية •

(٦) تجيك : تأتيك • ضاعت : فقدت •

(٧) ييبس ثمالها : يقول لو يفيد البكاء على الفايت بكيت حتى تنشف عيوني وتيبس •

(٨) ما ذعذع الهوى : كلما تحركت الريح •

(٩) فتخان الايدي : يعني بها اهل القصيم : ومعنى فتخان الايدى : مبسوطي الكفوف •

وابكـــي عـلى دار ربينـا بربعهـــا
معلومهـا خشم الرعن من شمالها[١٠]

ومن شرق طعسين الاراخم تحدّها[١١]
بين اللوى والسر ما اطيب سهامها[١٢]

دار بنجـد جنّـــة كـان قبـــل ذا
ومن صكته غبر الليـــالي عنالها[١٣]

وصفـه من الخفـرات بيضـا عفيفـه
يفـوق كل البيـض باهـر جمالهـــا

حسـودها يغضي الى مـر حولهـــا
من خـوف عيـال تربوا بجالهـــا

هي أمنّـا واحلو مطعـــوم درّهـــا
غذتنـــا وربتّنـا وحنّـــا عيالهـــا

برور بنـا ما مثلهـا يـــكرم الضنـــا
وصـــول بنا لـكن نســـينا وصالهـــا

تلقى علينـا الجوخ والشـال فوقنـــا
وهي عاريـة تبكي ولا احد بكى لهـا

(١٠) خشم الرعن : موضع معروف شمالي بريده .
(١١) طعسين الاراخم : تلال رمل شرقي بريده .
(١٢) اللوى والسر بين الارض الصلبة والنفود وهذا نعت لسهول بريده .
(١٣) من صكته غبر الليالى : يقول انها ملجأ لمن لا ملجأ له وحصن حصين لأهلها .

ولاأحدجزع من صيحته يوم سبّلت[١٤]

ولا أخذ نشد من بعد ذاوش جرى لها

قلت آه واويـلاه يا خيبـة الرجـا

كيف أمّنـا تهضم وحنّـا قبالها[١٥]

يا طارش من فوق سرا ّقة الوطا[١٦]

هميـم الى سـارت ذهرها ظلالها[١٧]

حايل ثمان اسنين ما مس خلفهـا[١٨]

ولا بركّتْ للشيـّل جملـة حمالهـا

الى بدا لي لازم قلـت شـدهـا

واضبط عن الفزات مقضب حبالها[١٩]

ولا تعتني بالخرج ماذى بحز ّته[٢٠]

شل قربة واجعل ذهابـك عدالها[٢١]

---

(١٤) يوم سبلت يعني سالت دمعتها تبكي على اولادها الذي غذتهم وربتهم ولم يحموها من جور الاعادي •

(١٥) كيف امنا تهضم : يقول كيف ديرتنا يستبد بها عدونا ونحـن رجال اقوياء ومع هذا نسكت على الضيم •

(١٦) ياطارش : يا مسافر : سراقة الوطا يعني يا راكب الذلـول التي تقطع الارض مسرعة فكأنها لسرعتها تسرق الارض •

(١٧) الى سارت ذعرها ظلالها : يقول كلما لمحت لها ظلا ذعرها فزادت في سرعتها فهي والحالة هذه لا تقف •

(١٨) ما مس خلفها : الخلف ثدي الناقة : يقـول انها ما حلبت لأن الحليب يضعف قوتها يريد انها قوية جدا •

(١٩) واضبط : وثق • عن الفزات : عن الوثبات • مقاضب احبالها : يقول وثق حبالها حتى اذا وثبت بقوه لا تتقطع هذه الحبال ، وهذا ايضـا كنايه عن قوتها •

(٢٠) يقول لا تكثر العفش عليها واترك ذلولك خفيفـة لحاجتك الى جريهـا •

(٢١) يقول لا تثقلها • القربة وطعامك لا غير •

فالى شلت خذلي بالرسّن قدر ساعه[1]
أبلغك في دق المســايل جلالهـا[2]

والى ختمته بالسـلام فحثّهــا[3]
من دار (ابو جابر) سقى الغيث جالها[4]

اوصيك يا مرسال بالسير والســرى
واحذرك نوم الليـل عينـك ينالهـــا

الى سرتهــا عشر وخمس مغــــرب
مرواحك (الميدان) منها منالهــا[5]

والى جيت (سوق العصر) ياتيك غلمه[6]
تخثع بزبنـات البريســم انعالهــا[7]

يقولون لك يا صاح[8] عطنا علومـك
بلدان نجـد عقبنا وش جرى لهـــا

قل كل بلــدان القصيــم وغيرهـــا
عن الخوف زاموا[9] دون جاله رجالها

---

(١) الرسن الشكيمة وهي الحبل الذي يخطم به رأس الناقة ٠

(٢) المسايل : المسائل يقول اذا أكملت لوازم ذلولك انتظرني اعطيك الاخبار دقيقها وجليلها ٠

(٣) حثها سقها سوقا عجلا ٠

(٤) دار ابو جابر : الكويت وابو جابر الصباح ٠

(٥) الميدان : محل بالشام يجتمع فيها عقيل ٠

(٦) محل يجتمع فيه عقيل للبيع والمشترى لانهم كانوا يغربــون بضاعتهم وهي الابل الى اسواق الشام ومصر ٠

(٧) تخثع : تخطر وتمــرح ٠

(٨) يقول يا صاح عطنا علومك الصاحي المنتبه اللى يحفظ الاخبار ٠

(٩) زاموا : وقفوا ٠ دون جالها رجالها : يقول كل بلد وقف رجاله يحمونه من الاعداء ٠

مير داركم من عقبكم تندب الثرى[١٠]
تبكي على الماضين واعزتا لهـا

لعبوا بها الاجناب لا رحم حيكم
والبيض بالبلدان شتت لحالها[١١]

شيابكم تضرب على غير موجب
من عقب كبر الجاه تنتف سبالها[١٢]

اولاد على اليوم ذا وقت نفعكم
لا رحم ابو نفس تتاجر بمالها

اولاد على ان الليالي قصيرة
ولا للفتى غير الثنا من نوالها[١٣]

اولاد على اليوم ما هوب باكر
قوموا بعزم الليث ماضي فعالها[١٤]

لا تتبعون الهون والعجز والعسى[١٥]
او ربما او ليت يتعب سوالها

---

(١٠) تندب الثرا يقول ما غير داركم تطلب الثأر فان كأن فيكم عزم فتقدموا لحمايتها ٠

(١١) البيض يعني بها نسائهم يقول نساؤكم طردهن الاعداء ٠ فهن في كل بلد يسألن الناس من بعد فقد رجالهن ٠

(١٢) تنتف اسبالها : شواربها ولحاها ٠

(١٣) الثناء : المدح : نوالها يقول ما ينال الفتى بهذه الدنيا الا الثناء الجميل ٠

(١٤) بعزم الليث مبارك الصباح يقول قوموا لحماية بلادكم وسيعاونكم ابن صباح على الحرب ٠

(١٥) يقول لا تتأخروا عاجلوا عدوكم ولا تجعلوها وعودا كاذبة ٠

جود ورجا يا ناس ما هيب عندكـــم
هذيك ما لحقوا هل القول جالها(١٦)

وذي قالة ما ينطحـــه كود نادر(١٧)
اولاد علي من بـكم قـال انا لهـــا

ترى مركب الاخطار هو مصعد العـلى
ولا يدرك المقصـود غير احتمالهـــا

وترى بالسـيوف المال والعـز والبقـا
والجنـة الخضرا بخضرة اظلالهـــا

قوموا براى اللـه واقضـوا ديونـكم
انتم هل القالات ما انتم رذالهـا(١٨)

ما دام (أبو جابر) على العـــز والبقـا
عنا ثقيـلات الحمول ارتـكى لهـــا

الى احترك سبع القبايـــل تحركـــت
والى رسى ترسى رواسي جبالهـا(١٩)

قوموا برايه ثم راى (ابو ثامـر)(٢٠)
ابو كلمـة يافي بهـا حـــين قالهـــا

---

(١٦) جود ورجا الى آخر البيت يقول الخوف والوعود ما هي عاداتكم

(١٧) ما ينطحه : ما يتحملها • كودنادر : يقول هذا مسألة ثقيلـــة لا يتقدم لها الا نوادر الرجال •

(١٨) انتم هل القالات : يقول انتم رجال الحروب والعادات ولســتم بالناس الجبناء •

(١٩) الى احترك يعني بن صباح تتبعه القبائل شمر وعنيزه ومطـــير والروله والعجمان وعتيبه وحرب •

(٢٠) ابو ثامر بن سعدون •

عرق الصخا بحر الندى مرهق العدا[٢١]

لا اشتبت الهيجـا تعرفه رجالهـا[٢٢]

هيّـج سباع الحرب بالبر والبحـر

والشمس تشكي منه عجّة ينالها[٢٣]

ومصقلات الهند[٢٤] تدعى لـه البقا

لولاه كان اصدت بغمـدة سلالها[٢٥]

نشا مولع بالحرب والضرب ماشـكا

والخيل والعيرات تشـكى هزالها[٢٦]

من كثر ما مسّـه على السير والسرى

من كثر ما خاضت مهامه سهالهـا[٢٧]

قوى باس ما يلـين الى ما مضى

الى ضكتّه صعب الحمول ارتكى لها[٢٨]

---

(٢١) عرق الصخا بحر الجود والكرم ٠ بحر الندى مكرم الضيف : مرهق العدى : مخيف العدو ٠

(٢٢) الهيجا : الحرب ٠ يقول الشاعر ان رجال الهيجاء يعرفونـه بالفروسية ٠

(٢٣) اذا اشتبك بالحرب ثار الغبار وحجب الشمس ٠

(٢٤) مصقلات الهند السيوف المجلوة من كثر ضرب رقاب الاعداء في الحـروب ٠

(٢٥) لولاه كان اصدت بغمده اسلالها : يقول لولا كثرة حروبـه لاصاب السيوف صدأ من قلة الاستعمال ٠

(٢٦) والخيل المعروفة والعيرات هي الابل تشكو الهزال من كثـر الاسفار وخوض المعامع والحروب ٠

(٢٧) مهامة اسهالها : الفلوات الخالية من السكان ٠

(٢٨) الى ضكته صعب الحمول : كلما ثقلت عليه الامور احتملها ٠

شال الحمول الكايــــده يوم جدعــت
عفّى زمـول جدعتهـا وشــــالهـا

عفّى مراعيها وبّرد ظهورهــــا
وان جدّلت بالسيف عدّل جدالهــــا

تذّرى به السرحان والفهد والاسد[١]
من هيبتـه كل وقـف في اظلالهــــا

اقســمت بالمولى وبالنــور والصمـــد
واشهد بســكاب المطر من خيالهـــا

ما جابت الخفرات (سعدون) او مشى[٢]
مثله على وجـه الوطا من رجالهــــا

من مثل ابو ثامر الى ضبضب القتر[٣]
والخيل زاد امن البلنزا جفالهـــا[٤]

له هدّة ما قيل (ابا زيد) هدّهـــا[٥]
ولا (عنتر) المشهور ما قيل نالهــــا

---

(١) تذرا به السرحان والفهد والاسد : يقول الشاعر ان ابو ثامر ملأت هيبته قلوب الجميع من بشر وحيوان ٠

(٢) ما جابت الخفرات مثل سعدون : الخفرات : النساء المحصنات٠

(٣) ضبضب القتر : طار غبار ودخان البارود بين السماء والارض٠

(٤) البلنزا : ازيز الرصاص وضوضاء الحرب فتحجم الخيل عن التقدم من الذعر ٠

(٥) الهده خوض المعركة بقلب وجأش مطمئن اثبت من جأش عنتر وابي زيد الهلالي ٠

على سابق تعطي عـــلى ما يريـــده[٦]

ميــتم ضعافــين القبايل عيالهـــا[٧]

تلقى كما لطم العرانـين فوقهـــا[٨]

من خوف عيال تذكر مجالهـــا[٩]

شــبيبــة تلقى مقاديـــم حربهـــا

وذا من قــديم طبع عمّــه وخالهـــا

الى صاح بالمنشا وساروا وسبّلوا[١٠]

ورودا مثل سيل حدر من جبالها[١١]

نشاما يرون الموت هو متّجــرهم[١٢]

ومجادل الفرســان حــدر جدالهـــا

ابا الحق انا بعض الشــبيبه ملامـــه

وتكرم على شين الملامــه سبالهـــا[١٣]

---

(٦) السابق : الفرس ٠

(٧) ميتم ضعافين القبائل : يقول الشاعر انه يجعل بعد المعركـــة ابناء اعدائه ايتاما كنايه عن قتل آبائهم ٠

(٨) تلقا لطم العرانين فوقها : يقول ان الفرس متعودة ان تلقا مـــع ابي ثامر لطم الانوف بوجوه الاعدا ٠

(٩) العيال رجال الحرب الذين يضربون بقلوب قاسية اعدائهم ٠

(١٠) الى صاح بالمنشأ يريد آل سعدون أنهم ذرية بركات الشـــريف الذي اصله من الحجاز من منشأ السحاب فاذا صار نهار الحرب يتناخون منشـــا منشـــا ٠

(١١) اذا سمعوا قول منشا انقادوا للحرب وخاضوا المعركة كالســـيل لا يردهم خوف ولا كثرة جيش ٠

(١٢) هو متجرهم يعني اما الموت واما النصر والحرب هي سوقهـــم التي يبيعون فيها ارواحهم ٠

(١٣) يقول انا الوم بعضهم ٠

قل كيف عبدالله تعدوه وابنه
ملحق قصيرات السّبايا طوالها[١٤]

خلّى مساعير الصّريف ترودهم
والضبّعة العرجا تنادي عيالها[١٥]

وهم يزرعون العيش ماكن كارهم
ويلاه يا عين تزايد همالها[١٦]

لولا ابو ثامر يبرد بفعله
فرض سنة الشغموم ميتم اطفالها[١٧]

سنة مهلهل عن كليب خليصة
فرضها ابو ثامر وجدّد اسمالها[١٨]

ذبح بعدالله شيوخ كثيرة[١٩]
مصابيح ظلما بالدجى يعني لها[٢٠]

---

(١٤) الملامة على تركهم عبدالله بن سعدون وابنه بأيدي العدو وهو فارس يلحق الطويل بالقصير يوم اللقاء ٠

(١٥) يذكرهم ان عبدالله كان في معركة الصريف يجندل الاعداء حتى ان الضباع تدعوا اولادها لاكل الجثث ٠

(١٦) يقول كان عبدالله زراعا بالعرق يزرع البر ولكن الاقدار ساقته فهو لم يكن من اصحاب الحرب وطالبيها ٠

(١٧) الشغموم صاحب العادات الجميلة بالحروب والتقدم وعدم الخوف ٠

(١٨) سنة مهلل يذكر ان ابو ثامر في عمله كالمهلهل بن ربيعة اي انه اخذ الثأر لعبدالله كما اخذ الثأر مهلهل لاخيه كليب وهذه سنة جعلها ابو ثامر فأحياها بعد اندراسها ٠

(١٩) يقول ان ابن سعدون قتل بعبد الله وابنه فرسانا كثيرة كما قتل مهلهل بأخيه ٠

(٢٠) يعني مصابيح الدجا آل سعدون يذكرون انهم اعلام بارزون يوم الحرب لهم علامات يعرفون بها ٠

ومن عقبهم مايه وعشـرين لحيـــة

ونفسه وعينـه ما قضى عشر مالهـا[٣]

وان عاش ابو ثامر وساعف له الهوى

كم خفرة ترمى الغطا من هبالهــا[٤]

تبـكي قصـارها وتبـكي حليلهــا

وتبـكي مشافيقه وترمي دلالهـا[٥]

هذا وتـم القيل والـلـه بـه الرجـا

وصلوا على المختار ما اهمل خيالها[٦]

— ٥ —

قصيدة للشاعر عبدالله النجيدي(*) :

يا مزنـــة غرّا من الوسـم مبـــذار

برگج جذبني من بعيـــد رفيفـــه

(٣) يقول الشاعر ان ابو ثامر قتل بابن عمه عبدالله مائة وتسعين رجلا وانه يراهم مع ذلك اقل مما يجب وانهم لا يساوون دم عبدالله .

(٤) وان عاش ابو ثامر وحالفه النصر لا يزال يفجع الخفرات برجالهن .

(٥) يقول ان نساء اعداء ابو ثامر كل يوم لهن فجيعة على اخ او عم او جار حتى ترمي خمارها مجنونة على زوجها وجارها واخيها الذين ذهبوا تحت حوافر فرس ابو ثامر كل ذلك ليأخذ ثار عبدالله وابنه .

(٦) ما همل خيالها : يقول صلوا على محمد عدد ما هل المطر .

(*) احد شعراء القرن الماضي وهو من عشيرة الصقور احدى قبـائل عنزه وقصيدته هذه تعتبر من روائع الشعر البدوي حتى انهم اطلقوا عليها اسم « الشيخه » اي شيخة القصيد ويريدون بذلك ان لا قصيدة فوقها .

ترعى بهـــا قطعانـــا ســـر وجهـــار
وتسمن بها العفر النشاش الضعيفه(١)
قطعـــانا مـــا ترتعـــي دمنـــة الـــدار
يرعن صحاصيـــح الفيـــاض النظيفـــه
ترتـــع بهـــا عفرا من الذود معطـــار
عدولـــة الخطـــار عجـــل عطيفـــه
يبني عليهـــا بنيـــة اللبـــن بجـــدار
وعكب الضعف راحت ردوم منيفه«٢»
ما هي ســـوالف مســـعر عقب ما نـــار
الى نكس واطراف رمحـــه نظيفـــه«٣»
زود عـــلى هـــذا لك الله لنـــا كـــار
على جارنا ما قـــط نخفي الطريفـــه«٤»

---

(١) ويروي البيت رواية اخرى :
ترعى بهـــا قطعـــانا ســـر وجهـــار
ومن دونها نروي الغلب والرهيفـــه
(٢) اللبن : مفردها لبنه وهي قوالب من الطين تستعمل في البناء ٠ عگب : بعد ٠ ردوم فيفه يقصد انها رجعت بعـــد ضعفها وهزالها وافـــرة اللحم والشحم ٠
«٣» نكس : عاد ، رجع ٠ سوالف : مفردها سالفه ويريدون بهـــا القصة والحكايا ٠
«٤» ويروي البيت كالآتي :
وحنا ترى هـــذا لك الله لنـــا كـــار
وعن جارنـــا ما عـــاد نخفي الطريفـــه
ويروي ايضا كالآتي :
الا ومـــع هـــذا لك الله لنـــا كار
عن جـــارنا ما قـــد نخفي الطريفـــه
زود على هذا : علاوه عليه ٠ لك الله : جملة معترضه دعائية فيهـــا معنى التعجب ٠ كار : عاده ، تقليد ٠ الطريفه : الشيء الطريف الثمين ٠

واحد على جاره بختري ونوّار
وّاحد على جاره صفاة محيفه[1]

والجار لابدّه مقفي عن الجار
وكل تذكر ما جرى من وليفه[2]

نرفي خماله رفية العش بالغار
وندعي له النفس القويه ضعيفه[3]

خطو الولد مثل البليهي ليا ثار
وزود على حمله نكل حمل اليفه[4]

وخطو الولد مثل النداوي ليا طار
وصيده قليل ولا يصيد الضعيفه

وخطو الولد ناشٍ على موتة النار
صفر على عود تطبه كنيفه

---

(١) البختري والنوار : من نباتات البادية وازهارها • صفاة محيفه: ارض مقفرة بلاقع لا نبت فيها •

(٢) ويروي البيت كالآتي :

والجار لا بده مقفي عن الجار
وكل على جاره يعد الوصيفه

ويروي ايضا :

باغي الى ما بدل الدار بديار
وعگب البطا كل تذكر وليفه

لابده : لابد أنه • مقفي : مفارق • وليفه : الفه ، اليفه •

(٣) نرفي : نرفوا • خماله : عيبه ، يقول نستر عيبه كما يستر الطائر عشه في الكهف او الغار •

(٤) خطو الولد : تستعمل بكثره عندهم وهي تحمل معنى المدح ويوصف بها الفتى الكامل البليهي : الزمل من الابل • ليا ثار : اذا نهض•

قال ابن لعبون(*) في عبدالله بن ربيعه :

البارحة سهر وديـر التفاكير
في ذم نذل بادي بالعياره

لا طالب دم يبي له مشاوير
ولا هوب يطلبنا بقايا تجاره

بلا ذنب أركى في قفانا مشاغير
وشوف ناظرنا بعين الحقاره(1)

حنّا هل الوادي وحنّا المناعير
وحنّا ودينا جارنا من جداره(2)

يشهد لنا جريس اليماني بتفخير
يومن عن أهل الدين محد أجاره(3)

خطلان الايدي كالاسود الهزابير
مقابس للحرب وان شب ناره(4)

(*) هو محمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوائلي . ولد في حرمه (ولا نعرف تاريخ ميلاده) نشأ في عصر اشتداد الدعوة الوهابية ، وكان بطبعه ميالا للهو فلم ترق له الحياة فنزح الى الزبير وفيها من عمومته من ينافس آل وطبان وهم قوم الشاعر ابن ربيعة على الرئاسة ـ لذا اشتدت الخصومة بين الشاعرين وجرت بينهما نقائض ، وهذه القصيدة احداها . توفى الشاعر بالطاعون عام ١٢٤٧ هـ .

(١) اركى بالمكواه : ضغط بها على الجلد . المشاغير : من شغره أي نخسه من خلف .

(٢) وقصة ودينا جارنا من جداره : ان جارا لهم وقع عليه جدار بستان قضاء وقدرا فدفعوا ديته لورثته .

(٣) جريس : رجل اجاروه ولم نقف على قصته .

(٤) خطلان : طوال .

ما حدّرت وديان بيشه مياسير
كل اليمن بالسيف نملك دياره

عند المجد انشد ولد يام ومطير
وانشد جماجم روسهم عندواره[٥]

منداتهم يشبع بها السّبع والطير
بيوم تغيّب شمسها في نهاره

حريبهم لو صار دونه نواطير
لابد ما يفجا صباح بغاره

خذ ما تراه وخل عنك الخماكير
من شق جيب الناس شقو وزاره[٦]

ترى ذهاب النمل سعيه بتطير
خذ راسها يا اللي تجشمت قاره

عن قولتك ولد حسن نسل صنفير
الغير كرعان وجدّه فقاره[٧]

شيخ نشا ماداس عرضه بتصغير
ولا قيل يوم لدّ عينه بجاره[٨]

---

(٥) ولد يام : يريد بهم قبيلتي العجمان والمرة • ومطير : قبيلة مشهورة واره : موضع قرب الكويت •

(٦) الخماكير : الكلام الملفق •

(٧) صنفير وصنيفر العبد الغبي •

(٨) لد : امعن النظر •

جده نحا جدك عن العرض والنير
حــدرك يم الشسـط تاكل صبـــاره[٩]

أخذ الصحيح ان كان قصدك معايير
العيب من ذر الخمر والحجاره[١٠]

ويمناك تقصر عن فعل نية الخير
ومن المراجل ما ذكر بـك نمـاره

حمـراك ما ذكرت تلاقي المشـاهير
تنـير وصط الليل ياهي نيـــاره[١١]

من طلعتك سهمتك رقص وتسطير
وبالعون ما بك عقب شعرك تجاره[١٢]

تفخر بسلطان العرب وانت من غير
ما مفخـر البزون ليث المغـــاره[١٣]

تدري بجدك من مقافي بقاقـــير
أقبل وحطـه مقـرن في جـواره[١٤]

خلّاه بالخدمــه بدار الخطاطــير
ومن عقب ذا داره برسم العشاره

---

(٩) العرض : العارض من نجد • والنير : جبل عتيبـة المعـروف •
حدرك : في اصطلاحهم حدر من نجد الى الساحل وسند اليها •
(١٠) الحجارة : من انحجر في غارة لجأ اليه • اي يختبيء وقت الحرب •
(١١) حمراك : يقصد بها فرسه • المشاهير : الشارات التي يلبسها الشجعان مقطمره : مختبئة • النيارة : الهرب •
(١٢) سهمتك : ديدنك • بالعون : كلمة تأكيد كالقسم •
(١٣) البزون : القط في لغة العراق • سلطان العرب : المقصود ابن سعود لان ابن ربيعة ينتمي اليهم •
(١٤) مقرن : جد آل مقرن وهو جد الملك عبدالعزيز •

ولفاك تركي يوم جيته بتزويــــر
من اصلك ثم اطلعك في نهاره[١٥]

واقفيــت تشــتم الصغرات والبــير
تقول عــود جيتّي له خســاره[١٦]

واقبلت من نجد تباري الحداديــر
ومن عقب ذا ما شفت خضرة دياره[١٧]

لو انت منهم ما رضوا لك بتصغير
عنــد القبائل مظهرين وقــاره[١٨]

يا عبيد جد أمك يفحج على الكير
أصلــه من اصليب يدق الصباره[١٩]

شطر بصنعه للحــــذا والمسامـــــير
ودقنـــــه خلاص الكير كله بشراره

عينــت ثاقب اخذته بنت بنقــــير
شقحــا ظهيرة داخليّــه طهــاره[٢٠]

---

(١٥) تركي : هو الامام تركي بن عبدالله السعود ·

(١٦) الصفرات والبير قريتان من المحمل في نجد ·

(١٧) الحدادير : القوافل القادمة من نجد ·

(١٨) بتصفير : بتحقير · وقاره : احترامه واعظامه ·

(١٩) يفحج : يباعد ما بين رجليه · الكير : كير الحداد · صليب : قبيلة معروفة وهي محتقرة عندهم ·

(٢٠) ثاقب الوطبان : ابن عم ابن ربيعة · وبنقير من بدو العراق · الشقحا : البيضاء · ظهيره : كبيرة الجسم · الطهارة : بيت الخلاء ·

في وسط عانه تسدي الغزل وتنير
وزوّر لاهلها بالحياكه تجاره[٢١]

يا عبيد بن عمك اخواله بياسير
وعينك عمت عن شوف عيبك وعاره[٢٢]

وان طعتني عن ذا السباع المظاهير
عندك أخو مريم تصلفط بداره[٢٣]

أبو صباح ريف ركب معابير
هو زبن مضيوم جلا عن دياره[٢٤]

جابر لنا سدره وحنا عصافير
لا ضيم عصفور لجا في جواره

يستاهل البيضا بروس المقاصير
واولاده اللى كل منهم نعاره[٢٥]

يوم اظهرك ياعبيد من جمّة البير
يكرم وسامعها جزينه نكاره

فان كان دارتنا الهبايب على خير
الا يجرّابها ربابه وطاره

---

(٢١) عانة : بلد بالعراق على الفرات • تسدى الغزل وتنير : اي تلحمه •

(٢٢) البياسر جميع بيسر : من لا أصل له وهي كلمة فارسية : بي سر: أي بلا رأس •

(٢٣) اخو مريم : جابر بن عبدالله الصباح • تصلفط : وقع في بئر أو شبهها •

(٢٤) زبن : ملجأ • مضيوم : مضام ، مضطهد • جلا : من الجلاء اي النزوح •

(٢٥) البيضاء من عاداتهم أن يقف من يريد التنويه بأحد على مرتفع وينادي فلان بيض الله وجهه : النعارة : الانفة والحمية •

قال عبدالله بن ربيعه(*) في الرد على ابن لعبون :

خذ ما تراه وخل عنك التفاكيـر
يا قلب يا للى كـل ما جاد داره

لابد للعسـر المنوخ مياسـير
ولابد ما تقفى النـذاره بشاره

العبـد ماله عن حتـوف المقاديـر
واللى كتب لو هو بصندوق زاره

ما قل دل وحاجتي يا هل العيـر
طرس تودونه لحامي جـواره

من ديرة العوام روحوا مسافـير
تلفون ينبوع النـدى والنمـاره[١]

ربع يسرك وردهم والمصـادير
صبيـان ياما شتتوا كل غـاره

صار الجزا لي من رفيقي معايـير
ليته يشارهني مشـاري مشـاره[٢]

(*) عبدالله بن ربيعه بن عبدالله بن وطبان • وهو من بيت اماره ، كانت لهم امارة « الدرعيه » ثم امارة الزبير ، جرت بينه وبين الشاعر ابن لعبون مناقضات ومهاجاة ايام اشتداد التنافس بين قومه وبين اهل حرمـه وحريمه وكان ابن لعبون شاعر خصوم قوم بن ربيعة ، فاندلعت بينهمـا معركة عنيفة وما زالت تتردد على الالسن النقائض التي جرت بينهما ••• مما يعيد لاذهاننا نقائض جرير والغرزوق • وهذه القصيدة احدى هـذه النقائض وهي في الرد على القصيدة السابقة التي ذكرناها لابن لعبون • توفى الشاعر عام ١٢٧٣ هـ •

(١) ديرة العوام : اي بلد الزبير بن العـوام • مسافير : سـعداء ميمونين • تلفون : تلقون تصلون الى •

(٢) المشاره : العتاب •

ان كان حنا يا خوالك عطاطير
فحمود تبطل شيمته واعتباره[٣]

ابوك اخذ هندية بالدنانير
بيضا وتكرم داخليها طهاره[٤]

مرباه في دسبول والجد بنجير
شقرا ولطامة خدوده خساره[٥]

حنا هل الباس القوى المناعير
وحنا الى خرب المذاهب عماره

تشهد لنا عقال قومك بتفخير
وحنا هل العوجا وحنا فقاره[٦]

يا هيه من صنعا الى ما ورا الدير
انشدك من كل البوادي جواره[٧]

وبانشدك من خيلة بفارس مشاهير
وانشدك من فوق العجم شب ناره[٨]

---

(٣) كان العرب ولا يزال كثير منهم يعدون الصناعة كالحدادة والنجارة وبعض انواع التجارة كالعطارة عارا ولا يمتهنها الا من ليس عربي ، ومتى كان عطارا فهو ساقط النسب • ح ود : هو ابن ثامر السعدون •

(٤) الطهارة : بيت الخلاء ، المرحاض •

(٥) دسبول ونجير : من بلاد العجم ولطامة الخدود : يقصدون بها الشيعة وذلك لكثرة ما يلطمون خدودهم وصدورهم حزنا على سيدنا الحسين عليه السلام •

(٦) هل العوجا : اهل العارض وبهذه الكلمة يعتزون وقت الحرب•

(٧) الدير : دير الزور •

(٨) مشاهير : معلمات •

وان قيل ثور مقرى السبع والطير
اسهر عيون اهل المدن بالنطاره(٩)

هذاك بن عمي وخل الجماهير
ياخو عمر وش جابنا للعطاره(١٠)

فان كان ذا الغربه رمتنا بتصغير
خذ راسها يالى تجشمت قاره(١١)

الراية البيضا لأهل نية الخير
ما دامت العينين تنظر سماره(١٢)

بيت السلف بيت الخلف والمظاهير
بيت عمار المنتفق من عماره(١٣)

بيت لهم ورد الرياسة بتصدير
حلوين علقم للذي به مراره

بيت لهم شيمه علامه على الغير
ملجا لجت نجد ودور وجاره

بيت اليتامى والهجافا المقاصير
بيت سلاطين العرب من جواره

---

(٩) مقرى السبع والطير : يقصد به الامام تركي بن عبدالله السعود
(١٠) الجماهير : الكذب والبهتان ٠
(١١) القاره : الجبل ٠ تجشمت : تكلف الصعود ٠
(١٢) الراية البيضاء ٠ كان الرجل اذا احسن الى الرجل واراد مكافأته ينصب على بيته راية بيضاء وينادي فلان بيض الله وجهه ٠ والسمار : سواد النخيل او الشجر من بعيد ٠
(١٣) المنتفك من اكبر القبائل العراقية من بني عامر بن صعصعة وامراؤهم السعدون من اشراف الحجاز قدموا العراق واتفق المنتفق على تأميرهم ٠

بيت الندى بيت الغنا والمياسير

بيت الرياسة والحكم والوزارة

بيت تذكره مزبن للمنايير

اللـه يدمر من سعى في دماره[1]

بيت المحمد من تزينته اصغير

مالى سواهم يعلم الله تجاره[2]

اختص ابو هزاع حيس الطوابير

كم حلة داسه وجدد مغاره[3]

شيخ على وضح النقا كونه اعصير

والليل غطا من لقاله ذعاره[4]

يبون مرباع وربع مساير

وخلوا عمر عمودهم بالمعاره

دوا لمن زاد وعلاكنه الطير

واللى على قربه عقبهم شراره[5]

---

(١) المنايير • الهاربون من نار : بمعنى هرب •

(٢) بيت المحمد من السعدون في عيسى ابن محمد واخوانه وينازعهم الرئاسة آل ثامر السعدون وآل عقيل السعدون وقد توفي عيسى بن محمد حريقا سنة ١٢٥٩ هـ وحكم بعده اخوه بندر •

(٣) الطوابير : يقصد جنود الاتراك ومفردها طابور اي الصف من الجيش •

(٤) كونه : اغارته • عصير : مساء يصفه بأنه لا يهاجم خصمه الا مشاء في وضح النهار اعتدادا بنفسه وحتى يهيء له الهرب بالليل •

(٥) يريد ان ممدوحه مثل الدواء لمن به غرور العلى والطغيان ، والطير نوع من الطاعون يصيب ذوات الحافر • اما القريبون منه فلا يصيبهم شيء من شرار غضبه • عقبهم • تعداهم •

حر تذكر ما كره وادلج السير
عزى الكم يا اللى سكنتو بداره[٦]

أدمى العرب من شنبل الشام للدير
ولا عاش من يسكن بعدهم دياره[٧]

آمين قولوها معي خاتمة خير
من مخلص بالود سره جهاره

- ٨ -

قصيدة للشاعر ابن جعيثين[*] :

ينجلى همي الى جيّة الفوج
وبالقرايا دايم صدري يضيق

قمت أطوّح ونّةٍ اللى به فروج
من غزالٍ عنقها عنقِ آلبريق

ريح عطر الشاه من فاها ينوج
وطيبها العنبر ايجاب الها عتيق[٨]

والعسل ريق الغضى زين الهروج
دايم قلب الخطا معها وسيق

---

(٦) عزى لكم : اي عزاء لكم • سكنتوا بداره : رعيتم حماه •

(٧) ادمى فلان فلانا صادف مطلوبا له بدم أي ثأر والعرب بمعنى الناس يريد أنه قتل كثيرا من كل القبائل ولكن دماؤها تذهب هدرا • الشنبل : منطقة من مناطق بادية الشام • الدير : المقصود دير الزور وهي مدينة على الفرات •

(*) ابراهيم بن عبدالله بن جعيثين ، أحد شعراء نجد البارزين • ولد في (تويم) من نواحي (سدير) عام ١٢٦ هـ تقريبا وهو من المعمرين عاش حتى بلغ من العمر مائة وسنتين تقريبا • وتوفى عام ١٣٦٢ هـ •

(٨) ينوج : يفوح •

في هواهـــا صايِرْ مثل الخلـــوج
لم أزل بوصالهـــا مثل الشفيق[٩]

افتتنت الجـب غطروف غنـــوج
صافي الخـدين متلول الدليـــق[١٠]

قمت اعذل القلب عيًّــا ، لا يمـوج
عن هواها قلت ما صابك حقيـــق

قال قلبي لا تهقـا ما بي اعلـــوج
ما عزا عن زاهي الثوب الرفيـق[١١]

مالها فوق الوطا جنس يـــدوج
من بلد هرقل الى باب الحريق[١٢]

كل زين الحور فيهـا والگروج
والجمال اليوسـفي فيها وسـيق[١٣]

في هواها فجت غبـات اللجـوج
محملى بالموج خطرانـــه غريق[١٤]

من شقاء العـين كن ابها يلـوج
الهـزوم ابدمعهـــا عيت تليـــق[١٥]

---

(٩) الخلوج : الناقة التي فقدت ولدها .
(١٠) الدليق : الشعر .
(١١) تهقـا : تظن .
(١٢) يدوج : يدور يمشي .
(١٣) الگروج : الگرج ، وهم اهل جورجيا وقد اشتهروا بالجمال .
وسيق : منسق منتظم .
(١٤) محملى : محمل السفينة .
(١٥) تليق : تستقر .

حط في باب الموده لـه الهـوج
كم ذالى بالوعد ياقف يويـق[1]

يا ملاكل المماطـل والمـروج
بالعذارى حين يجفن الرفيـق

هيه ألا يا معتلـين اكوار عـوج
اعوجيـات الاصل ظراب هيـق

بالمهامه والشـراب اللى يـروج
سيرهن في كنـه الجوزا خفيـق

كنهن الى تجـاذبن الخـروج
سبرتات بالسـهم ما قط عيـق[2]

بالمسافـه يسبقن عجل الـدروج
منوة المندوب ظراب الطريـق

لي خذو روس النظاندى مـروج
قدر شرب امولع أضحى وافيـق

ابتدي بالقيل ما دام امهجـوج
الف باب بالهـوا ما هوب ضيـق

بـه سلام عد ما ركب الـسروج
او عدد ما فات من رمح زريـق

ملتفاكم بلخ بالشيف امخـروج
حمص واحصان ترا جريه طليـق

---

(١) يويق : ينظر خلسة .
(٢) سبرتات : البراري ، وهو يكني في هذا البيت عن سرعة الابل.

اشــر حوله حال همي بــالدروج
والنبــا ينبيك عن حال الصديـــق

اشتكي لك من هــوا غرو بهــوج
شـــيلتني بالهــوا مالا أطيـــق[1]

ابو نهود ما لهجهـــن لهــــوج
بين أشافيها العسل ما قط ذيــق[2]

اسمها روض الخضــاري بالــبروج
فوق عشر في شفا واد العتيـــق

يزرع الليمون في بقشـــه بلـــوج
عبدنـــا محبـــوب يا زين الرفيــق[3]

ذاكر بالصفح غابــة ما يحـــــوج
لي وسامح ما يجي به من سنيق

ختمهـــا صلو على اذكار الحجوج
عد ما ينقـــاد للمجــزر وسيـــق

احمد اللى قد سعى لــه بالعــروج
عد ما صدر من الدنيـــا يضيـــق

---

(١) غرو : الفتاة الجميلة ٠

(٢) لهجن : المعنى انها ذات انهود لم يرضعهن الطفل ٠

(٣) بقشــه : البســتان ٠

قصيدة لشاعر من قبائل صلبه[١] :

يراكب حمره لها الكور شـــدى
قم يا وليفي واعتلى فوق هيـاف[٢]

انسف عليها الخرج حينا تمـدى
اسرع من اللى بالسما ريش رداف[٣]

ودي سلامي للهند والسند ودي
وعتـلي الدنيا من القاف للقـاف[٤]

يا نمر وين اللى بنا قصر جـدي
وين دغيمش يا نمر وين كـاف[٥]

---

(١) لم اتمكن من معرفة اسم صاحبها ، وقصتها ان رجلا من قبيلة صليب اصطحب ولده معه الى الصيد ، وعند وصولهم مواطن الصيد اتجه الاب الى جهة والابن الى جهة ثانية كل وراء طريدته واصطاد الابن بعـض طيور الحباري وجلس بانتظار ابيه ، ولشدة الشمس عليه وضع هـــذه الطيور على عليقة ليستظل بظلها واخذته سنة من النوم ، وعاد الاب فرأى هذه الطيور من بعد فحسبها طيورا طليقة فأطلق عليها النار ولما جاء وجد ابنه صريعا اذ انه اصيب برصاص والده ـ فقال هـــذه القصيدة يصف الحادثة ويعزي نفسه ويعزي زوجته •

(٢) حمره : ناقة حمراء • الكور : ما يوضـــع على الناقـة عنـد الركوب • شدى : شد واربط •

(٣) انسف : ارم ، القى • الخرج : العـــدل ويصنع من الصوف ويوضع على الدابة وله فتحتان تكونان على جانبي الدابة توضع بهما الحاجيات التي يحتاجها المسافر •

(٤) من القاف للقاف : يعني من اول الدنيا الى آخرها ، وفي اعتقادهم ان في طرفي الارض جبلان هما جبلا قاف •

(٥) يتعزى في هذا البيت ، بان الموت لم يترك احدا •

يا نمر وين اللى حفر بير غـدي
من يوم ابن زقطيط عالباب وقاف[٦]

من دونـه ارّق العـين ودي
وعيني تسكف دموعها جواز ورداف[٧]

على جنين اللى باول العمر مدي
هو مهجتي يا نمر من تحت الحتاف[٨]

قاصد يروم ريامهـا بالتهـدى
تنحـا وبرمها وخالطو ريح نساف[٩]

صايد حبر والحر زايد بشـدى
وناشر جناحينه على الراس رفراف[١٠]

طليت كن لاح لي بزي المهدى
مثل اللى يزوح بروحه عالبعد ينشاف[١١]

---

(٦) ويتعزى في هذا البيت ايضا ، ويعدد اسماء ويتساءل اين هي ، ويقصد طبعا ان الموت قضى عليهم جميعا ٠

(٧) تسكف : تهمل الدمع : جواز ورداف : اي ان الدموع تنهـل ردافا وباستمرار ٠

(٨) جنين : الجنين ويقصد ولده ٠ مدي : مـد ٠ اي ذهب ومضى يقصد انه مات ٠

(٩) اي انه قصد متهديا لصيدها ــ يعني ولده ــ وقد اصطادهـا وكانت الريح شديدة ٠

(١٠) حبر : جمع حبارة نوع من طيور الصحراء ٠ والحر زايـد بشدى : اي ان الحر ازداد بشدة ٠

(١١) نظرت واذ بهذه الطيور تلوح لي وكأنها هدأت من طيرانهـا وحطت لترتاح ٠

اخفيت حالي وقصدي اليوم جـــدى

وشاعل فتيل وناهض له بالاكتـــاف[1]

كانت مفيضـــه ولا تغالط بيـــدي

ثار الذخير ، القلب في ثورتـه خاف[2]

جيت ولن هـــدب عينـه منـــدى

ويا جرح قلبي ما وصفه قط وصـاف[3]

شلته مفطى ملتقح فوق يـــدي

من فوق شهري يقطع الدو بسـلاف[4]

وصلنا بدغوش وقلت يا ام فهد مدى

وهاتي لقدر البين ما ناشـــه طراف[5]

---

(١) حالي : نفسي ، يصف في هذا البيت وضعه عندما أراد اصطياد هذه الطيور فيقول انه اخفى نفسه واشعل فتيل البندقية ، ورفع اكتافـه ليأخذ وضع الرامي •

(٢) يصف في هذا البيت بندقيته فيقول انها لم تغالط يوما في رميها فهي دائما تصيب ولا تخطىء • وفي الشطر الثاني يخبرنا عن اطلاقها وان الذخيرة انطلقت بصوت يرعب القلب •

(٣) جيت : جئت • ولن : واذ • يصف في هذا البيت كيف انه بعد اطلاق النار جاء الى مكان الطيور فرأى ابنه قتيلا •• فيصرخ بأن جـــرح قلبه لن يتمكن احد من وصفه •

(٤) شلته : حملته • ملتقح : مرتى ، ممدد • يقول انه حمله فوق يديه وركب حمارا شهريا سريعا يقطع الصحاري بسرعة خاطفة ، والشهري نوع من الحمير القوية وقد اشتهرت قبائل صليب بهذا النوع من الحمير •

(٥) دغوش : ظلمه • يقول وصلت الدار ليلا وقلت لام فهد ــ اي زوجته ــ هاتي قدرا لم يمت احد من اهله « يريد ان يعزيها » بأن الموت مر على الجميع •

راحت ولاحت واكثرت بالتصـــدى
وتقول عزرايبل ماضن حدا عــاف[٦]

قلت لها دونـك صيدة اليوم بيـدى
يا صيدتي ما صادها لابي ولا اسلاف[٧]

دونك فهــد ما حـد المــودي
دونك فهد اليوم لدنيـــاه عــاف[٨]

رجايــة بالعمر كن فات حـــدى
ولا باس ما قالوا عن وضحة بالوصاف[٩]

طير المنيه بكل ديــره مهــدى
يشرف على دنياك بحقوق وانصاف[١٠]

— ١٠ —

قال عبيد العلي الرشيد[*] :

---

(٦) يصف زوجته وكيف انها ذهبت وطرقت جميع الحي وعـادت لتقول له بأن الموت زار جميع البيوت فلا يوجد اي بيت لم يمت به ميت حتى نطلب منه قدرا ٠

(٧) حينئذ قال لها خذي صيدنا لهذا اليوم الذي اصطدتـه بيدي ، وهو صيد لم يصطده من قبل لا أبي ولا أحد من اسلافي ٠

(٨) يقول لها هذا فهد ولدنا وقد عاف دنياه هذا اليوم ٠

(٩) رجاية العمر : رجائي بالعمر ٠ يقول انه وان مات وحيـــدنا فرجائي ان نرزق بغيره فـ ا زلت باول العمر وانت امرأة ولود لم يصفهـا احد بما يشين ٠

(١٠) يقول في هذا البيت ان الموت طائر يحط في كل مكان ، والموت حق ، وهو نتيجة حتمية لكل البشر ٠

(*) من فرسان البادية المشهورين وشعرائها الافذاذ ، نشأ في وقت تسوده الفوضى والاضطراب فالحروب قائمة في كل بقعة من بقاع جزيرة العرب ، والقبائل تغزو بعضها البعض ٠ وشاعرنا نشأ لذلك فارسا وبطلا

يا الله ياللّي تبـــدي الخلق وتعيـــد

والى بغيت امـــراً قضـــيت المرادي

يا الواحـــد اللي ترجـــاك ما تعيـــد

ومن هـــو بحرزك لايذٍ مـــا يصادي

جـــونا وجيناهم وصـــارت مطـــاريد

بيـــوم حصل بـــه مثل يوم التنادي

لـكَنْ جدع الروس حذف الجلاميد

كـــرامةٍ للي نصـــا الجيشـــ بادي

يوم ان بعض الناس كســـبه بواريد

ترى كســـبنا روس العـــدا بالعوادي

وردنا بربـــع عقـــب الاقفـــا مواريد

كَنٍّ يحداهم من ورا الطعس حادي

وردنا بسمحين الوجيـــه الاجـــاويد

ونادا لهـــم من عنـــد ربي منـــادي

خلـــوا جنايزهم ســـوات المجاليـــد

بصـــوارم بايمـــان غـــوش الجهادي

يتلون حـــرٍ دايمٍ يغرس الصـــيد

خلّى بديد الريش مثـــل الجرادي

من ابطال البادية ، وهو احد الدعائم التي استند اليها حكم آل الرشيد ، وقد تولى أمارة حائل بعد موت اخيه عبدالله العلي مباشرة سنة ١٢٦٣هـ . ولـكن لم يستمر توليه للامارة حيث تنازل عنها لابن اخيه طلال العبدالله العلي الرشيد لان الاخير احق بها منه . توفي شاعرنا عام ١٢٨٢هـ . وقد اختلف في مكان وفاته منهم من قال انه توفي في الرياض ومنهم من قال انه توفي في حائل وقد بلغ من العمر عتيا .

جديم مصرعهم بشـــر باسق القيـــد
وامر لهـــم والى الســـما بالحصادي

اطيابهم رميـــوا على صحصح البيـــد
كـــل على مضرب مطيحه ايفـــادي

شـــكر لمـــن حطـــه بروس النماريد
دوارة الفتنـــه عـــلى غـــير جـادي

وشيطلع المملوك مـــن وليـــه السـيد
ومـــن خلجه الدنيا وحيـــه يسادى

وعن طلعـــة اللي فات بشر بتجديد
ورده شـــرايد بيضـــهم بالحـــدادي

لعيـــون حســـنا ما تعـــرف التسانيد
ونروى السيوف وان عرضـــه بالمعادي

يـــوم اعترضناهـــم بزين وتهـــديد
عذره يبي منـــا يقـــول الســـدادي

تاهـــت بصـــايرهم ادروب المـــواريد
ولا لهـــم من قايد الرشـــد هـــادي

وصلوا على اللي مهـــد الدين تمهيد
ما شيف فجر مع شفا الشرق بادي

- ١١ -

وقال محمد العبدالله الرشيد(*) في وقعة ياطب :

(*) احد امراء آل الرشيد وقل ان تجد واحدا من هذه العائلة الا وله شعر يردده البدو وشعر أفراد هذه العائلة كله في الفخر اولحماسة والاعتداد

عـزيل قلـــب كلمـــا قرب الليـــل
عليـــه صـــارنّ الدقايق جـــلايل[١]

اعتاض عـــن طيب الـكرى بالتعاليل
بافكـــار واذكار وقـــول وقـــايل[٢]

والعـــين كنّ آبموقها يدرج الميـــل
عيت تطيق النوم مـــن فور جايل[٣]

عـــلى بنى عمى سنادى عـــن الميل
نطـــاحة الـكايد كبار الوهـــايل[٤]

اقفـــوا كمـــا مـــزن ثقيـــل المخاييل
من زاعج الغربى حدر له شعايل[٥]

بالنفس عاش في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي · وآل الرشيد من الجعافرة وهم فخذ من عشيرة الدغيرات من عبده احدى البطون الـكبرى التي تتألف منها قبيلة شمر وينتسب آل الرشيد الى عرار بن شهوان آل ضيغم · وقد حكموا حايل حولي مائة وخمسين عاما وقد آل اليهم هذا الحكم بعد ابناء عمهم آل بن علي · وقد انتهت امارة آل الرشيد على يد الملك عبدالعزيز العبد الرحمن الفيصل السعود ، وآخر من حكم من آل الرشيد هو عبدالعزيز الرشيد ·

وهذه القصيدة تسبها صاحب ديوان النبط الى العوني وقال إن العوني قالها على لسان ابن الرشيد ، في حين ان كل من قرأها لي من البدو الذين التقيت بهم نسبها الى ابن الرشيد ·

(١) يا من يعزى قلبا كلما قرب الليل طالت اوقاته ·

(٢) اسهر اتفكر واميز بين قيل وقال ·

(٣) والعين كأنها تضرب بميل الدواء عجزت تطيق النوم من فوران قلبـــي ·

(٤) سنادى : سندي الذين يدفعون المـكروه عني بطعنات كبـــار بالاعداء ·

(٥) راحوا كما يروح السحاب تشتعل بروقه ·

شمر مقابيس المنايا هل الخيل
عصم الروايا مقحمين الدبايل(٦)

يا دار وين اهل المهار المشاويل
أهل النزول اللي تعز النزايل(٧)

بكيتهم يوم ارتكم فوقي الشيل
وذكرتهم يوم اقبل الضد صايل(٨)

وصاح الصياح وطوّحنّ الهلاهيل
وهلت دموع امعكرشات الجدايل(٩)

وقلت ابشرن ما دام بالعمر تمهيل
ما دام ما رزت عليّ النصايل(١٠)

لا تبكن الوحده وقل الرجاجيل
ما دام عين الله علينا تخايل(١١)

وظهرت أنا باسم العصاه المشاكيل
لو هم قليل يدركون الجمايل(١٢)

---

(٦) شمر ولعة الحرب ورجالها • آراؤهم وجيوشهم متقدمة •

(٧) يسأل الديره عن أهل الخيل اهل البيوت الكبار مكرمين الضيف •

(٨) ذكرتهم يوم ثقل على الحمل ويوم جاءني اعدائي وقد كانوا يدافعون معي صوله الصائلين •

(٩) وصاح صياح الهجوم وزغردت النساء وبكت زينات البنات على الرجال الذين يمنعون العدو عنهن •

(١٠) قمت ابشرهن ما دام راسي باقيا وما دمت لم ادفن ولم تنصب على قبري الحجارة •

(١١) لا تبكين قلة الرجال فنحن بعدن الله نحميكن •

(١٢) طلعت بما عندي من الفرسان وهم رغم قلتهم يحصلون الجميل •

هـــم حاصلي لاكملـــن المحاصـــيل
غوش الجبـــل خزني غلامين حايل[١٣]

باعـــوا عزيز العمـــر دون المظاليـــل
وحمـــوا حماها مقدمين الفعـــايل[١٤]

قالوا عليهم قلت زجـي هـــل الخيل
وقهرتهم غصـــب وردوا غـــلايل[١٥]

وادنيـــت هجـــن يقـــربن المحـــاويل
هـــوج هجاهيج هجـاف نحـــايل[١٦]

علاكـــم تطـــرب اقلـــوب المراسيل
خفقـات رفقـــات صلاب جـلايل[١٧]

قـــلايص عـــوص صعاصع شـــماليل
من سلسلة نســـل السباق السلايل[١٨]

الصبح مـــدن كنهن جـــولة الريل
عوص علت من فوقها ارجال حايل[١٩]

وصبح اربع تلقى نزول كمـــا الليل
شـــمر الى عـــدت فروع القبـــايل

---

(١٣) هم رأس مالي عيال حايل خزنتي وقت الحاجة •
(١٤) باعوا نفوسهم دون نسائهم وحموها كما هي عادتهم •
(١٥) قالوا عليهم : أي اهجموا عليهم • قلت زجي هل الخيل : اي اصبروا ايها الفرسان •
(١٦) قربت لهم ابلا حمرا نحيلات من كثر السرى :
(١٧) تخفق مثل الطيور رفيقات صبورات من كرايم الابل •
(١٨) قلايص ناشفة لحومها ، عوص : قويات : صعاصع يرقلـن بمشيهن • شمايل : كرايم ، من اصل معروف •
(١٩) انطلقن صباحا مثل القطار ، فوقهن اولاد شمر •

أدنى بالادنى خبروهم بتفصيل
لا تسفهون اصغارهم والحمايل[١]

ولازم الى شافوا اركاب مقايل
تلزمهم النشدات عن سكن حايل[٢]

قولوا لهم يا معتلين على حيل
نجد وهلها يطلبون الاوايل[٣]

جونا هل العارض بقوم كما السيل
يبغون دار هابها كل عايل[٤]

وجرى لنا يوم بياطب به الشيل
يطيح ما تثنى عليه الرحايل[٥]

وضفا على عكاش مثل الهماليل
وردوا عليهم كاملين الخصايل[٦]

وان كان هم قفوا بستة مخاليل
يا طول ما حنا لهم بالاوايل[٧]

---

(١) خبروهم وفصلوا لهم عما وقع كبيرهم قبل صغيرهم .

(٢) وهم من عادتهم اذا جاءهم رسول اجتمعوا لطلب الاخبار .

(٣) قولوا لهم نجد تطلب النجدة . حيل : جمال سمينات لم تحمل .

(٤) أي يريدون دخول حائل التي هابها كل عائل : أي معتد .

(٥) جرى بيننا وبينهم حرب طاحنة . وياطب : اسم محل بالقصيم حصلت فيه المعركة .

(٦) وطلع الغبار على جبل عكاش قرب حائل مثل المطر ورد عليهم أهل حايل ومنعوهم .

(٧) يعترف بأنهم اخذوا بعض الحلال من الابل ، ولابد إننا ندرك الثأر .

وين الطنـــايا ؟ وين شرابة الهيل ؟
وين الحيود اللي تشيل الثقايل ؟[٨]

وين السيوف اللي تعدل عن الميل ؟
وين الرماح اللي نحت كل عايل ؟[٩]

وين النشـــامى والعصـــاة المفاليـــل ؟
وجميع من ضربه نضيع الدلايل ؟[١٠]

شرابهـــم صـــافي القـــراح الشهاليل
ومنزالهم غصب على كـــل طايل[١١]

غلبـــا ! ترى بلدانكم لبست النيـــل
تنخى الرجـــال امكرمات الأصايل[١٢]

تنخى هـــل العـــاده كرام الاسابيل
يوم التغازى والدخن لـــه صلايل[١٣]

---

(٨) وين الطنايا هذا الاسم مخصوص لشمر والطنا الزعل : وين شرابه القهوة وين الجبال اللى تشيل ثقيل المسئوليات بقلوبها •

(٩) أين السيوف التي تجعل المايل عدلا وأين الرماح التي تبعد كل معتند عن بلادنا •

(١٠) النشامى : كل شجاع فدائي يجود بنفسه وجموع تضيع قلوب الاعداء بفعلها •

(١١) الذين يشربون اذا وردوا رغما عن الاعداء وينزلون في الاعالي والشهاليل : الماء البارد •

(١٢) غلبا اسم من أسماء شمر لغلبتهم على عدوهم كما يقول الشاعر • ترا بلادهم لبست النيل أي السواد اذا لم تحموها بخيل وجيش •

(١٣) تنخـا : تحث • الاسابيل : الشوارب • الدخـن : البارود • صلايل : صوت •

قلتـــه وانا معكـــم على العدل والميل
لعـــل مـــا نعتاض عنـــكم بدايل(١٤)

تمـــت وصلوا عـــد وبل المخاييـــل
على نبي الحـــق ما زال زايـــل(١٥)

- ١٢ -

قصيدة لمشعان بن هذّال(*) :ـ

يا الله بتعـــريف الهبـــايب والادوار
شانك عسى تعريف شانك لنا خـــير

يا الله يا عالـــم خفيـــات الاســـرار
ما معتنـــي بالخلـــق والـــي المقادير

قلتـــه ونوم العـــين عن جفنها طـــار
والقلب كنـــه فوق حـــامي المجامير

وهلت ادموع العـــين من شوفها الدار
سكانهـــا الاجنـــاب هـــم والبقاقـــير

من عقب ما حنا بهـــا مثل الازوار
نامر وننهى نحمي الجـــار ونجـــير

---

(١٤) يقول : هذا كلامي وانا معكم على الخير والشر عساي ما ادور فيكم بديل •

(١٥) صلاة الله على نبينا كل ما هل المطر وزال الشبح والزول •

(*) هـــو مشعان بن مغيلث بن هذال شيخ عنزه واحـــد فرســـانها المشهورين • كما وانه من ابرع شعراء عصره في الحماسة والاعتداد بالنفس عاش الشاعر خلال حكم الامام تركي العبدالله السعود آل مجرن وادرك بداية حكم الامام فيصل بن تركي العبدالله السعود وقتل في عهـــده سنة ١٢٦٦ للهجرة •

حامينها في لابة تسقي الامرار
عدوهم ما يحتسب بالمخاسير

ولولا شفاتي فيك يا نجد ما صار
أنادي نذيرات الهواجيس وانذير

ونـدير حيلات بالاريا وتبصار
وارجى من الباري عساها مسافير

ولابد ما ناتي لا باتات زوار
بأسلاف عجلات تعدى المظاهير

يهومن هومات بعيدات واعسار
وكم ذيّرن من واحد ما بعد ذير

كم فاجن العدوان غرات واجهار
والى انتون كم يسبقن من معابير

ضعاين حطن ملك بسنجار
وبنن على الخابور زين الدوايير

تواهلن الذور حصن لهن كار
وامن البطين الى الرها والمعابير

نامر وننهي ما نداري بها ادوار
ونهدي العاصي بخسر ومخاسير

ومرن على الشنبل وحطن لهن كار
وخذن خضرات بسيف وتدبير

هم انتون مع كفة الشط حدّار
هم انتحن مع روس هاك العناقير

واقفن وگالن من شثاثا بالاسعار
وحطن للسوم المسمى مصادير

واقطعن ينوون الخطايط بالاقفار
يطيرن جيشان الحبارى المخامير

وخلف فوق الشبك عج الرمك طار
واحلو هاك اليوم خز المغاتير

وحطن على ورد الدجاني لهب نار
وغدوا بها الريلان مثل المداوير

وابا ذراع اصبح امقيم على الدار
وقطعن حلال المحمره والمسامير

وشدن وحطن الثمامي بالايسار
وخلن على المطران مثل المعاصير

باغي عليهم جارى مثل ما صار
ذبح الشفايا والغنم والمظاهير

كسيرة ما قط عدت بالاذكار
وابها القلايع كنهن الخنازير

وفهدن بالجير وداسن بالاشوار
وجاهن كتاب من زبون المعاصير

من ماجد (ابن عريعر) حر الاوكار
يقول وليت داركم يا المناعير

وجيناه مثل السيل طمام الاوعار
ليما غدو عنه البوادي شعاثير

رفاقته واللي حذانا لهم جار
وحنا عليهم نحمي الجار ونجير

وصحنا عليهم صيحة تجلي الامرار
من ابواب للحير السبايا مقادير

اولاد عم وعندنا غيرهم جار
وشيخ لنا عنده جلال وتقدير

وحنا شبات الحرب وان شبت النار
وتفازعت بين الجموع المشاهير

وحناهل الجمع المسما الى سار
مركاضنا يشبع به السبع والطير

وصلاة ربي عدما بالهوى طار
وعدما وردن ظمايا على البير

— ١٣ —

قصيدة لراكان بن حثلين[*] :

يا ما حلا الفنجال مع سيحة البال
في مجلس ما فيه نفس ثجيله[1]

(*) هو راكان بن حزام بن حثلين زعيم قبيلة العجمان . كان فارسا شجاعا وشاعرا فذا من طراز عبيد العلي الرشيد ومشعان بن هذال . وهو من القلائل الذين قضوا مضاجع الاتراك ولم يهدأ لهم بال حتى قبضوا عليه ونقلوه مخفورا الى تركيا حيث قضى عدة سنوات في المنفى مسجونا وقد اطلق سراحه لعمل بطولي قام به ساعد فيه الجيش التركي من الانتصار على الجيش الروسي في احدى المعارك . توفي الشاعر سنة ١٣١٠ للهجرة .

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ثجيله ، جليله ، الجبيله ، الصجيله : معناها على التوالي ، ثقيلة ، قليلة ، القبيلة ، الصقيلة .

هـذا ولد عـم وهـذا ولد خـال
وهـذا رفيـج مـا لقينـا مثيـله
يابو هـلا طـير الهوى خبث البال
طبعـه خبيـث والحبارى جليلـه
يا الله يا للي طالبـه ما بعـد قال
يا للي من الضيقات ينجـي دخيلـه
افرج لمن قلبه غـدا فيـه ولوال
والنـوم ماجـا عينـه الا جليله(٢)
الى من ذكرت ارموس عصر لنا زال
شوف الفياض وفقـد عز الجبيله(٣)
يا زيـن شـدتهم الى وزع المـال
يتلـون بـراق تـلالا مخيـله
يتلون براق سـمر يشـعل اشـعال
تلقـا التريبي فايض عقـب سـيله
يسـقي اخسيفا والثمان ارضهم سـال
مرتع معطـرة السيوف الصـجيله(٤)
من حمـو ساقات الى السـيف همـال
وينـوش حسـنا والرديفـه مثيـله
فان قادنا من يمـة القفـر خيـال
يصبح شديد البـدو عجـل رحيـله
قاد السـلف واستجنبوا كـل مشـوال
وبالقصر يا محـلا تخيط نزيلـه
فان شرف البادي عـلى روس الاقذال
والمـال كثـير الزول محمى جفيله

تلامحت ما بينهم شهب الاذيال
ومن ضيع المفتاح واعزتي له

ركبوا على طوعاتهم كل عيال
كل ابلج يحري بكسب النفيله

تفازوا المفزاع ذربين الافعال
من قبل سبق غارته تنثني له

يبغون طوعة روسهم حين الادمال
تفازو واخلق كثير هجيله

ان جا الكمي من دون عطرات الاجهال
مرقوا ولحقوا مقحمين الدبيله

واللي تثنوا كلهم تلبس الشال
ومن صنع داود ابشوت ثقيله

لزم عليهم علة عقب الانهال
ومن غارته لزم يضيع دليله

والدم من قحصى الرمك يشعل اثعال
يزعج على اوراك السبايا وشيله

هذيك راعيها من المعرقه مال
وهذي ثكلها مطرق ما تشيله

من وقع كل امجرنس جدله افعال
وفروخ صادن الحباري فضيله

قصيدة لمحمد بن سعود بن فيصل(*) :

بديت ذكـــر الله على كـــل شاني
ومن وحّد الواحد على الرشد له فن

وخـــلاف ذا يا راكبـــين السمـــاني
اكواعهـــن لزوارهـــن مـــا ينوشـــن

قطـــم الفخـــوذ ، موردات المثـــاني
بتـــر الفخوذ اذيالهن مثلهن هـــن

ورقابهـــن مثـــل الجـــريد الليـــاني
شـــبه الادامي بالسهل يـــوم ينحن

يا زين ســـوق اعصـــيهن باليمـــاني
من قصر جدي يا ســـعد وين يمسن

باسفل شعيب اسدير عنـــد الشباني
ان نوخوهن اقتـــرن هـــن واهلهـــن

عنـــد الفـــريد امعزب مرحبـــاني
كـــل يقـــول ابجيرتي ما يفـــوتن

(*) هو الامير محمد بن سعود بن فيصل والد الامير سلمان بن محمد اشتهر بالشجاعة والاقدام توفي في مطلع هذا القرن • وقصيدته هذه من أشهر القصائد التي قل ان تجد بدويا الا ويحفظها أو يحفظ شيئا منها • ويبدو أنه كان مقلا اذ أننا لم نجد له الا هذه القصيدة ، ولهذه القصيدة قصة نرويها بايجاز : عرف عن الامير محمد انه كان جميلا جدا حتى انهم لقبوه بـ « غزالان » وقد غلب عليه هذا اللقب ــ وغزالان صيغة مبالغة من « الغزال » ــ وقد بعث له محمدا العبدالله الرشيد امير حائل قصيدة ــ أيام كانت الحروب مشتجره بين آل الرشيد وآل السعود ــ غمزه فيها بجماله فرد عليه الامير محمد بهذه القصيدة الجوابية أو بالاحرى « النقيضه « •

يجـــري لهـــن بالبن زين الاوانـــي
ومهارجٍ يطـــرب لـــه البال لا جن

يا ســـايرين قبـــل وقـــت الاذانِ
قبـــل الطيـــور لرزقهـــن ما يطـــيرن

الى اعتليتوا مـــن كبـــار المثـــاني
عوجوا رقـــاب اركابكم لا يخفـــن

لا روّجن مـــع جـــال دوّ دناني
خوف الزمل ما لاج بقلوب اهلهن

يلفن أخـــو نوره منجي الحصـــاني
ولاَ لفنُّـــهْ جعلهـــن لا يـــردّن

مومـــي الهشـــال الخـــلا بالرداني
لولاه طـــاوع بايـــع التبن والبـــن

لا يحسبني عـــن لقـــاه امتـــواني
ناحيـــة وَبْغَـــاتيهْ لزماً بلا مـــن(١)

لو كـــان في برزان زين المبـــاني
ان ســـلم راســـي والهبايب يهبـــن

حيـــاة رب البيـــت مغـــن البنـــاني
يا جموعنا واجموعكـــم بي يتْلاقـــن

وهـــذي دار لابونا مـــن زمـــان
اعرف ترى سن اللبن يقلعه سن(٢)

---

(١)وبغاتيه : وأبتغي ان آتيه ، يريد : أود أن اجيء اليه .
(٢) يروى هذا البيت روايه اخرى هي :
الجـــاز يعبـــا للضروس المثـــاني وافطن ترى سن اللبن يشلعه سن

وانتـــو شيوخ من قـــديم الزمـــان
مار انكصم مفراكهـــا والسعد كـــن

حتيشـــس يا نقـــالة الشيشخـــاني
معنـــا افرنجـــي للالواح يشـــفن

الناس مثـــل الناس ما غـــط بان
ومن قال انا الطيب يعديه ابن من[٣]

الشـــين ما يدقـــم شـــباة الســـنان
والزين ما يقصـــر ايدينِ يطولن[٤]

الى اجتمـــع زين وفعـــل اليمـــاني
لذة نعيـــم بالحشـــا وِن توافـــن[٥]

الى اعتليت اقطـــى بنت الحصـــان
عيب على احرافهـــن لـــين ينحـــن[٦]

اضرب بحد السيف وارخ العنـــاني
لين العذارى يا ســـعد لي يعذرن[٧]

---

(٣) وقد روي الشطر الاخير :
ومن قال انا الطيب ايعايبه ابن من

(٤) وروي هكذا :
الزين . . . . . .　　　والشين . . . . . .

(٥) وروي :
الى ايتفى زين وفعـــل بيـــان　　　لذة نعيم بالجسد ون توافن

(٦) وروي أيضا :
الى اعتليت اقطى بنت الحصان　　　عيب عـــلى احرافته لـــين يقفن

(٧) وروي صدر البيت هكذا :
اضرب بحد السيف هو والسنان

ذا قـــول من لاهوب ولدة هــداني
ولدة شجاع مـــن شجاع علي فـــن

عــلى راســٍ فيــه مثــل النواني
مثـــل العشق في ليلٍ غـدرا يصبن

رســم ابهـــامة نـــادر زعتـــراني
رســم ابهـامة نـادر يقلــع الســن

وهذا الجواب اللي ظهـــر من لساني
والامـــر لله والسبب نفعـــله حـــن

- ١٥ -

من قصيدة لراشد الخلاوي(*) :

يقـــوم الخلاوي الـــذي ما يكـــوده
جـــديد البنـــا من غاليات القصـــايد

(*) الخلاوي : من اقدم الشعراء البدو الذين وصلنا شعرهم ونحن لا تعرف بالضبط مولده أو وفاته ، فتاريخهمجهول ، وليس بين يدينا ما يجلي هذا الغموض وكل الذي نقدر ان نقوله انه عاش في القرن التاسع الهجري لانه كان ملازما « لمنيع بن سالم بن عريعر » احد شيوخ الاحساء ورئيس الخوالد وقد عاش هذا الاخير في ذلك القرن • والمعروف عن هذا الشاعر انه من قبيلة « صليب » وقد كان عالما بمواسم الامطار ومواطن هطولها ، ملمـــا بعلم النجوم ومواقع البروج والفصول الاربعـة وهبوب الريــاح • والخلاوي لقب لحقه لانه كان يجوب الفيافي « خلاويا » أي وحيدا يمتاز شعره بالمعنى الرصين والحكم وبعض الآراء الفلسفية البسيطة ـ اذا جاز لنا القول ـ لذا كان شعره مرغوبا عند الناس ولولا ذلك لما بقي لنا من شعره شيء لطول المدة بيننا وبينه ولو لم يقل في مطالع قصائده (يقول الخلاوي والخلاوي راشد) لتعذر علينا أيضا نسبة هذه القصائد له أو لغيره • ومن الملاحظ انه في ذلك يسير على نفس الطريقة التي ذكرها ابن خلدون عند حديثه عن هذا النوع من الشعر ، ولغته بصورة عامة اقرب الى الفصحى من شعر المتأخرين •

قصـــايد لابـــد الـــردا تســـتفيدها
لازا غريم الروح للـــروح صـــايد

لعـــل الذي يروونهـــا يذكـــروني
بترحيمـــه تودع اعظـــامي جـــرايد

اوصيك يا اولدي اوصـــاة تظمهـــا
الى عاد مالي من مـــدا العمر زايد

وصية عـــود ثالثة رجله العصـــا
وقصرت اخطاه من عقب ما هي بعايد

وصيـــة عـــود زل حلـــو شـــبابه
وعانيـــه بالدنيـــا وعانيـــك واحـــد

يبدّيك يا الغالي على شـــف نفســـه
شفيق من ايام الدخـــا عنك ناشـــد

لا تأخـــذ الهزلا على شان مالهـــا
ولا تقتبســـن من نارهـــا بالمواقـــد

لا تأخـــذ الا بنت قـــوم حميـــدة
عســـى ولد منهـــا يجيب الحمـــايد

ايجـــازى الراعـــي الحســـاني بمثلها
ويجـــازى الراعـــي النكـــد بالنكايـد

ولا تتجي بخصلة ما بهـــا لك ذرا
ولا تنزل الاّ عنـــد راعـــي الوكايد

ولا تخيب المنيـــوب الى جـــاك عاني
واياك يا ولدي ومطـــل الوعـــايد

ابيـــك اتسوّى بي اسواتي بوالدى
وانتــا عـلى غـيره برى الزوايــد

فلي من جديم العمر نفس رفيعــه
اعضـ عــلى عصيانهــا بالنواجــد

جد الزمتهـــا ما كان خوف الى بقـــا
على مـــن ايـــام الردا ان تعـــاود
فيـــا طال ما وسدت راســـي نكاده
مـــن خوفتي يعتـــاد لـــين الوسايد

فمـــن عـــود العـــين المنـــام تعودت
أو عـــود العـــين المسارى اتعـــاود

ومن عوّد القـــوم المناعـــير مطمـــع
تلـــو بالانضـــا والجيـــاد العـــدايد

ومـــن عـــوّد الصبيان اكـــل ابيّته
عادوه في عســـر الليالي الشـــدايد

ومن عوّد الصبيان ضـــرب بالجنـــا
نخـــوه يوم الـكون يابا العـــوايد

ومن كثـــر الطلعـات للصـيد ربمـــا
يوافيـــه عرات يجي منـــه صايـــد

الايـــام مابقـــا منهـــا كثر مامضا
والاعمار ما اللي فات منهـــا ابعايد

نعـــد الليـــالي والليـــالي تعدنـــا
والاعمـــار تفنـــا والليالي ابزايـــد

الى دقـت الوسط الحـزام تذكرت
زمـان مضا ما هو لمثلي بعايـد

فلابـد ما سـحم الظهور اتحوفني
بليـل ولا لي عن لقاهن بزايـد

ويمشعن هبـر مـن الظهر كنـه
خبايب افعـى بـين حـدب الجرايد

فقلت العـوّاد منا هاشل الخـلا
الى جـو يدزّون المطـايا البـلايد

فيا عيـد يا عـواد ان شاملت بكـم
اكبـار الهوادي ناحـلات المقـاود

كفرق القطـا صـفر الحلاقيم ساقها
سـموم من الجوزا كحـامي الوقايد

وجـزت الدياميم الذي مـد لهمـه
وطيّـرت بالظلمـا اقطـا اللوابـد

على عيـد هي أو على عيد هيـه
حـداكم ما بـين النجيرين قاعـد

يتيـه يسـل القيـظ فيهـا اسيوفه
عـلى الحـي الا الجازيات الرواغد

بها القوم تقتسم الانطاف على الصفـا
لايبست الصمّـلان الا زهـايد

يزيد نجيـب الخـال فيهـا جلاده
وتزداد فيهـا اللايمـات الجـلايد

الى ما لفيتـــوا بالمطـــايا تقيـــدوا
لدا مـــن تقـــا راياتهـــا بالحدايد

فعجلـــي بهـــا لاعاقـــك الله بالنيـــا
فحبـــل المنـــايا للبـــرايا قلايـــد

تفكـــر يا ميمـــون في ربع ومنـــه
خـــلا ربعها من حـــين يا ابن قايد

دار لكـــن الحي ما وقفـــوا بهـــــا
ولا شبوا فيهـــا جحيـــم الوقايـــد

شـــمالي اعطـــاف النقا من تقيـــد
سقاها الحيا سيل الرعـــود الشـــواهد

وقـــل ياليالينـــا القـــدام التي مضـــت
بالاقبـــال هل لي في لقاكـــم عايـــد

قل الله قـــد شـــفت الصخى ابن سالم
منيع ومـــن حاش الثنـــا والفوايـــد

تطاوحتـــه الايـــام لـــين اودعنـــه
يشـــد على ثلب قصيف البدايـــد

يشد على ثلب وهـــو كـــان قبل ذا
على ظهر الجدعا يـــدور الفوايـــد

وهو كان في ماجد مضى من زمانـــه
جميل الثنا من حامـــدات وحامـــد

وهو عجيـــد الركب لولاه ماغـــزوا
ولا نســـفوا بكوارهن الجواعـــد

ودليـــل عوص الناجيـــات الى اختفت
معالمهـــا والنابيـــات الفرايـــد

والى بغي يمضي على العـــزم وانتوى
اخذ راى الف وانتقا منـــه واحـــد

يا طـــول ما ردبهـــم جاهليـــــة
يفجي الشـــباعن كوكب ماه بـــارد

قل ما منيـــع كاسب الحمـد والثنـــا
الى ما القنـــا الوت عليـــه المطـــارد

يا ابن النـدا وجالي الهـــم ان طـــووا
على عد من بعض الجلاعيد صايـــــد

ابزرقا لاهلهـــا ماطهـــاها وســـاقهـا
مع الحكم نقض من بنـــان وســاعد

فمن مفجبـــات الشيب في لمة الصبـا
الى مالفا مـــن رمعـــة السو زايـــد

قل اللـــه لي من رمعـــة يابن ســـالم
لها جـــادر قلبي اهمـــوم وصاعـــد

لفاني بهـــا لا ســـاعد اللـــه ركبـــه
الى ساعد الركبـــان مع من يســـــاعد

على شان ســـلطاني عقيـــل كميتهـــا
زمان القســـا يشفي قراه الولايـــــد

سريع القرا للضيف في ليلـــة الشـــتا
وعيد المقـــاوي سيد الناس ماجـــد

قوى اوساع السمط في كل مسغبه
تعادا بها نسل القيام الولايد

ذوى من يلبي الضيف في مدلهمه
من الليل والما في مغانيه جامد

يقوم ابها عن مجضع الليل منتون
ذبحه اسمان عن لقاح الجلاعد

يهلي بضيفه بالنيا حينما لفا
عن العذر دون اللوايا الزهايد

منا خاظر الظلما والايد لكنها
اعضاب من اثار السيوف الحدايد

فمن عاش بالدنيا يرى يابن سالم
كريه الليالي والامور الشدايد

ومن ساعدته الايام ادمجن حبله
وينقضن في حبل الذي ما يساعد

كفا الله ذاك الوجه نار من اللضا
بحق المصلي والدعا في المساجد

يامن غذا من حرة عامرّية
سماوّية نمرا الذراعين صايد

الى اضربت ما تضرب الاّ امتونها
بيوم على منصاه للصيد جالد

وليس يعطي بالايادين صيدها
ولو عضنا دهر بناب وناجد

سوا عنـــدها ماراتــع او مذيـــــــر

او وما يتنـــازا بالحـــزوم البعايـــد

فجا ميمر يا طـال ما صبــح العــدا

على الهجن والخيل الجيـاد العدايـــد

يعنـّهـــا للضـــــد ثـــم اريـــدّهـا

بالارســـان كره والنضـــا كالجرايـــد

بشـــر وبلا شـــر من صبيح العـــدا

حفايا ومنهـــا ناقضـــات البلايـــــد

يتلـــن كالقنـــاص يوم جـــرا لـــه

هموم ويوم راج فـــرح وصايـــــد

لكنـــه على ميرادهـــا حيــن يعتـــدى

على الضد من بين الفجـــوج البعايـــد

قطامى فتا يا طـــال ما ناش نوشـــه

يلج الهوا في مرهفـــات الحدايـــد

ترى الثنـــا يابن اكليب عـلى الفتـــى

امكاد كما بالعين شـــوك الكتايـــد

فلا واخليـلي الـــذي يعطي الغنـــا

وخلف العطا منـه الرجا بالوعايـــد

ترا ان كان جدما توافيا طـــول ماملو

مزاود اضيوف من جـــراه القواصـد

وان كان هي مالت فياطـــول ماملـــو

ابطون اليتامى في السنين الشـــدايد

اوى صبح كرمتـــه حد جوعـــه

تعـــادا بها سمح الوجـــوه الولايـد

يشـــور عمود الصبح ماشـيل فضـــله

ذا صـــادر منهـــا وهـــذاك وارد

بجوزيـــة ما يبـــرح الضيف فوقهـــا

كما الثاقب المنقـــاد بين البدايـــــد

فقولوا لبيت الفقر لا يأمـــن الغنـــا

وبيت الغنا لا يأمـــن الفقر عايـــــد

ولا يأمـــن المظهـــود قـــوم تعـــزه

ولا يأمن الجمع العزيـــز الظهـــايد

واد جرى لابـــد يجري من الحيـــا

ان ما جرى عامه جرى عـام عايـــد

ومنهـــــا :

متى ما الثريا مع ســـنا الصبح وايقيت

على كل خضـــرا علقت بالســـنايد

من عقبهـــا فرخ كمـــا نجم متلـــي

على الشوف تبليهـــا بمشـــيه ايمايـــد

بوارح الجوزا ربت فيهـــا بســـرها

تخالف الالـــوان بـــين الجرايـــــد

الى ظهـــر المرزم شـــبع كل كالـــف

من الغين ونحن الليـــالي الشـــدايد

نجم الكليبين الـذي يرشـف الجسم
يغـور فيه ماء العيـون الوكايـد

والى مضى عقبـه ثمـان مع اربـع
الخامسه طالـع اسـهيل يحايـد

تشـوفه كقلب الذيب يلعـج ابنـوره
امويـج على غراة حدب الجرايـد

الى غابت النسـرين بالفجـر علقـن
مخاوف من بين عـوج الجرايـد

والى مضـا واحـد وخمسـين ليلـة
لا يامن المامن خفـوق الرعايـد

غـذا القيـظ نحـن السـبايا ولا
من الضيف لا مرجفـات العلايـد

من لا يسجي كنت القيـظ زرعـه
فهـو مفلس منه ليـالي الحصـايد

ومنهـا :

وصلـوا على خـير البرايـا محمـد
ما ناح ورق فـوق حدب الجرايـد

وليست هذه القصيدة هي كلها وانما جزء منها لانها على ما يقـال تتجاوز الالف بيت ولكن مالا يدرك كله لا يترك جلـه .

المراجـــع

« أ »

الابدال : أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي • منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق

الادب الشعبي : أحمد رشدي صالح • القاهرة

الادب الشعبي : عبدالحميد يونس • محاضره ، من مطبوعات جامعة القاهرة

الادب الشعبي في جزيرة العرب : عبدالله بن خميس • الرياض

الارشاد « ارشاد الاديب » : ياقوت الحموي

أسماء جبال تهامه وسكانها : عرام بن الاصبغ السلمي • سلسلة نوادر المخطوطات • القاهرة

الاصمعيات : عبدالملك بن قريب الاصمعي • نشرها وليم بن الورد • طبعة ليبزغ •

الاصمعيات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون • القاهرة

الاضداد : أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي • منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق

الاضداد : محمد بن القاسم الانباري • الكويت

الاغاني : أبو فرج الاصفهاني • طبعة ساسي ، وطبعة دار الكتب ، وطبعة بيروت

الامالي : أبو علي القالي • دار الكتب • القاهرة

انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء : نشره الاب لويس شيخو • المطبعة الكاثوليكية

انساب السمعاني : السمعاني

« ب »

بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الآلوسي • تحقيق بهجت الاثري

البيان والتبيين : الجاحظ • تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة

« ت »

تاريخ الادب العربي : بروكلمان • ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار • القاهرة

تاريخ الآداب العربية : كارلو نالينو • نشرته مريم نالينو • القاهرة

تاريخ الادب العربي : ريجيس بلاشير • تعريب ابراهيم كيلاني • دمشق

تاريخ العرب : فيليب حتي • بيروت

تاريخ العرب : جواد علي • مطبوعات المجمع العلمي العراقي • بغداد

تاريخ الشعر العربي : محمد نجيب البهبيتي • القاهرة

تاريخ شرق الاردن وقبائلها : العقيد ج•بيك الانكليزي • ترجمه بهاء طوقان • القدس

تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون • القاهرة

« ج »

الجمهرة : ابن دريد • حيدر آباد الدكن

جمهرة اشعار العرب • أبو زيد بن ابي طالب القرشي

« ح »

الحياة الادبية في جزيرة العرب : طه حسين • دمشق

الحياة العربية من الشعر الجاهلي : أحمد محمد الحوفي • القاهرة

الحيوان : الجاحظ • تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة

« خ »

خمسة اعوام في شرق الاردن : القس بولس سلمان : مطبعة حريصا بلبنان

الخصائص : ابن جني • دار الكتب • القاهرة

« د »

ديوان الاعشى : الطبعة الاوربية • نشره رودولف جاير

ديوان الاعشى : الطبعة المصرية • الدكتور م•محمد حسين

ديوان امرىء القيس : السندوبي • القاهرة

ديوان امرىء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف • مصر

ديوان الحماسة : أبو تمام • شرح التبريزي • القاهرة

ديوان حسان بن ثابت : محمد شكري المكي • مطبعة الامام • القاهرة

ديوان ذي الرمه : الطبعة الاوربية • تحقيق كارليل هنري هيس مكارتني • كامبرج

ديوان زهير بن ابي سلمى : طبعة دار الكتب المصرية • القاهرة

ديوان طرفه بن العبد : شرح الاعلم الشنتمري • الطبعة الاوربية

ديوان عبيد بن الابرص : تحقيق الدكتور حسين نصار • القاهرة

ديوان عبيد بن الابرص : الطبعة الاوربية • تحقيق وجمع السير تشارلس ليال

ديوان لبيد : طبعة ليدن • الدكتور هابر

ديوان لبيد : تحقيق الدكتور احسان عباس • الكويت

ديوان المتنبي : شرح الواحدي • الطبعة الاوربية • نشره فريدريك ديتريصي • برلين

ديوان المتنبي : شرح العكبري • الطبعة المصرية

دائرة المعارف : البستاني افرام • بيروت

« س »

سبائك الذهب : السويدي • القاهرة

« ش »

الشعر عند قبائل الروله : أحمد حسن الخطيب • بحث لم يطبع
شرح ابن عقيل : تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد • القاهرة
شرح النقائض : الطبعة الاوربية • ليدن
شرح شواهد الشافيه :
شرح القصائد العشر : شرح التبريزي • تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد • القاهرة
شرح المعلقات : شرح الزوزني • طبعة بيروت
الشعر والشعراء : ابن قتيبه • الطبعة الاوربية • ليدن
شرح اشعار هذيل : تحقيق عبدالستار أحمد فراح • القاهرة
شرح اشعار الهذليين : الطبعة الاوربية • لندن

« ص »

الصاحبي : ابن فارس • مؤسسة بدران • بيروت
صبح الاعشى : القلقشندي • القاهرة
صفة جزيرة العرب : الهمداني • القاهرة
الصحاح : الجوهري • القاهرة

« ط »

الطراز : ابن سناء الملك

« ع »

العبر (تاريخ ابن خلدون) : ابن خلدون • طبعة بولاق ، وطبعة بيروت

العربية ـ دراسات : يوهان فك • ترجمة عبدالحليم النجار • القاهرة

العمده : ابن رشيق القيرواني

العقد الفريد : ابن عبد ربه • لجنة التأليف والترجمة والنشر • القاهرة

عشائر الشام : وصفي زكريا • دمشق

عشائر العراق : عباس العزاوي • بغداد

العصر الجاهلي : شوقي ضيف • دار المعارف • القاهرة

« ف »

الفلسفة اللغوية : جرجي زيدان • القاهرة

فقه اللغة : الدكتور صبحي الصالح

فقه اللغة : الثعالبي • القاهرة

فن التوشيح : الدكتور مصطفى عوض الكريم

فن الشعر : الدكتور محمد مندور • القاهرة

في الادب الجاهلي : الدكتور طه حسين • دار المعارف • القاهرة

في الادب الاندلسي : الدكتور جودت الركابي • دمشق

في اللهجات العربية : ابراهيم انيس • القاهرة

« ق »

القاموس المحيط : الفيروزبادي • القاهرة

قلائد الجمان : القلقشندي • القاهرة

القلب والابدال : ابن السكيت • طبع ضمن الكنز اللغوي • نشره المستشرق هفنر • بيروت

« ك »

الكامل : المبرد • القاهرة

الـكتاب : سيبويه • القاهرة
كتاب الحماسة : البحتري • القاهرة
الـكشاف : الزمخشري • طبعة بولاق • القاهرة

« ل »

لسان العرب : ابن منظور • طبعة بولاق • وطبعة بيروت

« م »

مجالس ثعلب : تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة
مجلة المجمــع العلمي العــربي : المجمع العلمي العربي بدمشق • ج ٢ مجلد ٢٨
مجلة المشرق : بيروت
المخصص : ابن سيده • طبعة بولاق • القاهرة
المزهر : السيوطي • القاهرة
ما رأيت وما سمعت : خيرالدين الزركلي • القاهرة
معجم الشعراء : المرزباني • فشره كرنكو • القاهرة
معجم الشعراء : المرزباني • تحقيق عبدالستار أحمد فراح • القاهرة
معجم قبائل العرب : رضا كحاله • دمشق
معجم البلدان : ياقوت الحموي • القاهرة
المعلقات العشر : الشنقيطي • المطبعة الرحمانية بمصر
مطالع السعود : مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد
الموشح : المرزباني • القاهرة

« ن »

النشر في القراآت العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي • القاهرة

النوادر : أبو زيد • بيروت
النوادر : أبو مسحل الاعرابي • منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق
نهاية الارب في معرفة انساب العرب : القلقشندي • القاهرة

« هـ »

الهوامل والشوامل : التوحيدي ومسكويه • القاهرة

« و »

الوصف في الشعر العربي : عبدالعظيم قناوي • القاهرة

« ي »

يتيمة الدهر : الثعالبي • القاهرة

* * *

المراجع الاجنبية

1. Capitaine Raynaud et Médicin - Major Martinet, les Bédouins de la Mouveuce de Damas 1922.
2. Commandant Victor Muller, en Syrie avec les Béduoins. Paris 1931.
3. Les tribues nomades et semi-nomades des états du levant placés sous mandat Français 1930. Beyrouth.
4. P. Jaussen et Savignac Coutumes des Arabes en pays de Moabe 1939.
5. Farmer. A History of Arabian Music.

فهارس الكتاب

القبائل والامم والشعوب وما اليها

الاماكن والبقاع والجبال والانهار وما اليها

الاعـــلام

الثبت

الفصـل الخامس

البـاب الثـاني

البـاب الثالث

البـاب الرابـع

الفصــل الاول

الفصــل الثاني

الفصــل الثالث

البـاب الخامس

الفصــل الاول

الفصـل الثاني

الفصـل الثالث

الفصـل الرابع

الفصـل الخامس


م. سرمد حاتم شكر

AL-SHI'R 'INDAL-BADU

BY

SHAFIQ AL-KAMALI

PRINTED WITH ASSISTANCE FROM BAGHDAD UNIVERSITY